الحالة 107

دار الكنزي للنشر والتوزيع

الكنزي
ALKANZY

رئيس مجلس الإدارة
محمد صلاح شديد

المدير العام
إيناس الدسوقي

مدير الإنتاج
أحمد عبد الحليم

مدير النشر
مهند يحى

الكتاب : الحالة ١٠٧
تأليف : ديانا حسام الدين
تصنيف الكتاب : رواية
إخراج : أحمد عبد الحليم
المقاس ١٤ × ٢٠
رقم الإيداع : ٢٧٢٤٥ / ٢٠١٩
الترقيم الدولي : 978 - 977 - 6660 - 64 - 9

All Rights Reserved
Alkanzy for Publishing and Distribution
+01062104822
Alkanzy.co@gmail.com
info@alkanzy.net

محفوظة جميع الحقوق

الحالة 107

رواية

ديانا حسام الدين

كانت ندى تجلس منزوية على نفسها فى شرود تنظر خارجًا من النافذة كما لو كانت لا تشعر بما حولها!!

تطل النافذة على حديقة واسعة لمستشفى كبير للأمراض النفسية، كانت نظراتها فارغة تملأها دموع متحجرة، وأمامها بعض النزلاء يتريضون يمينًا ويسارًا، بعضًا منهم بصحبة الممرضات، والبعض الآخر يسير فى سكون وحده كما لو كان قد جاء بإرادتة للابتعاد عن جنون الحياة!!

دلفت الممرضة إلى الحجرة ووضعت بجانبها صينية الطعام.

- الإفطار .. قالتها الممرضة نجلاء مبتسمة فى حين لم تبدِ ندى أي استجابة .

- ندى .. !! يجب أن تتناولى الطعام حتى لا يغضب د.خالد! قالتها الممرضة مؤنِّبة

ألقت عليها ندى نظرة سريعة لا مبالية قبل أن تعيد نظرها للخارج.

- لم يعد شيئاً يهمني. أجابتها بصوت رقيق يتوافق مع جمالها الهادئ .

- أخبريه أن الجثث لا تأكل. ** أكملت بسخرية مريرة

نظرت لها الممرضة نجلاء بإشفاق دون أن تجيب، لا تعلم لماذا لا تستجيب تلك الفتاة للعلاج من هذه الحالة الغريبة!!

كانت ندى فتاة جميلة، ذلك الجمال الرقيق الذى يجعلك تشعر أنك تريد النظر إلى ملامحها مطولا وتغرق فيها،، رقيقه كالنسمة يتعاطف

مع حالتها كل الممرضات ويشعرون بالإشفاق عليها، لقد جاء بها د.خالد إلى المستشفى منذ فترة، ولكنها لم تكن تبدي أي استجابة للعلاج!!

كانت شديدة الخوف وتتحدث عن أشياء غريبة، فى الواقع كانت الممرضات أول مرة يمر عليهنَّ هذا النوع من الأمراض!

ظلت حديث المستشفى لفترة لا بأس بها ثم بدأوا يعتادون الأمر، فكما يحدث دائمًا عند التعرض لمثيرغريب يبدأ الوضع بالفضول والاندهاش، ثم بعد فترة يتحول إلى التعود وبعدها يصبح كل شيء عادي لدرجة الروتينية!!

هزت نجلاء رأسها بعدم رضى وخرجت من الغرفه لتقابل أخرى بطريقها .

- ألم تتحسن بعد ؟؟

- مسكينة تلك الفتاة أن ما يحدث لها أكثر مما تتحمله شابة بعمرها، ربنا يشفيها .

- ما يدهشني هو موقف أهلها الغريب!، كيف يتركون ابنتهم دون سؤال هكذا ؟! إنها مازالت صغيرة وتحتاج إلى الدعم لكي تتماثل للشفاء .

- إن هؤلاء الأثرياء أحيانًا يخشون من الفضيحة عندما يتعلق الأمر بمرض نفسي، فينبذون ذويهم كما لو كان ليس لهم وجود، إنها ليست الحالة الأولى التى نرى أهلها يفعلون ذلك، فليتولاهم الله برحمته!!

***

غدًا سنقوم بأول جولة لمستشفى الأمراض النفسية، كل منكم سيختار حالة لتكون موضوع البحث لسنة الامتياز. قالها الدكتور هادي لتلامذتة من طلبة الطب النفسي بنهاية المحاضرة.

ثم نظر لشاب يجلس بهدوء فى الصفوف الخلفية قائلاً موجها الحديث إليه : أتمنى ألَّا تقوم بالتأخير كعادتك .

- نظر الشاب خلفه كما لو كان الكلام لأحد غيره فى حين نظر له الجميع بعضهم بفضول والبعض الآخر بابتسامة واسعة .

أشار الشاب إلى نفسه رافعًا حاجبية بحركة كوميدية متسائلاً: إذا كان يقصده هو ؟

أخذ الدكتور يلملم أوراقه بداخل حقيبتة قائلاً دون أن ينظر إليه: لا يوجد أحد هنا غيرك يتفنن فى التأخير يا أحمد .

تعالت الهمهمات والضحكات داخل المدرج فى حين تحرك د.هادي باتجاه الباب قائلاً: موعدنا غدًا فى الساعه الثامنة صباحًا، إذا تأخر أحدكم لن أدخله للمستشفى، لقد ميزت دفعتكم بأن أجعلها تقوم بتدريب سنة الامتياز على حالات المستشفى الخاص التي أشغل منصب المدير بها وأنتم تعلمون أن تلك مسئولية كبيرة بالنسبة لي، لذلك إذا بدر من أحدكم أي بادرة عدم التزام أو إثارة للمشاكل سأقوم باستثنائه فورًا من تلك المنحة.

خرج د.هادي بعد أن أنهى كلامة محذرًا، ليقفز أحد الشباب من الخلف ويجلس بجانب أحمد قائلاً : يبدو أنك أصبحت تحت المجهر بعد تأخرك أكثر من مرة على محاضرات د. هادى .

- أنت تعلم أن عملي مع الدراسة يسبب لى الكثير من المشاكل .

- ولكن دائمًا المشاكل تحدث مع د.هادى فقط! ألَّا ترى معي أنه أمرغريب أم أنك تعتمد على كونه صديق لوالدك وجاركم قديمًا!! تساءل أيمن بخبث مبتسمًا.

كان أيمن هو الصديق المقرب لأحمد، قامت بينهم علاقة صداقة قوية منذ أول سنة دراسة واستمرت حتى تلك اللحظة التى أصبحوا بها أطباء تحت التدريب، فقط تنتهي سنة الامتياز ليصبحوا أطباء رسميًّا. كان الاثنان قد اختارا معًا التخصص بعلم النفس ونشأت بينهم صداقة قوية، فلقد وجد كلا منهما ما ينقصه بالآخر، حيث أيمن

الشاب الهادئ المتزن،خفيف الظل، بينما كان أحمد مندفع وجرئ. كان أحمد شاب يمتلك روحًا خفيفة وجرأة، يخدر من أسرة بسيطة مما جعله يتحمل مسئولية نفسه، ويبحث عن عمل يعينه على تكاليف دراستة ليهون على أسرتة المصاريف رأفة بوالده الشيخ محمد الذى يراه أبًا مثاليًا وعلاقتهما على جانب من الوفاق والصداقة يتوجهما الاحترام .

كان والد أحمد يعمل معلمًا بالأزهر، رجل طيب على قدر كبير من العلم، ولكن ما يأخذه من مقابل آخر كل شهر ليس بالكثير، وكان لدى أحمد أخت وأخ أصغر مما جعله يشعر بالمسئولية مبكرًا، أمَّا والدتة فكانت امرأة بسيطة ومتدينة، حياتها تكمن فى بيتها وأولادها التى تسهر على راحتهم، في الواقع كانت حياة أحمد مثالية بالرغم من قلة المال، ولكن الترابط العائلي والرضا هما سر السعادة الحقيقية.

***

وصل أحمد متأخرًا عن الموعد المتفق عليه، كالعادة!

كان زملاؤه قد سبقوه للداخل ووجد الباب مغلقا فاضطر إلى الاتصال بد.هادى: سلام عليكم يا دكتور، أنا أحمد.

- ماذا تريد!! تساءل الدكتور دون ترحيب

- أنا أقف خارج المستشفى، ولكن الباب مغلق ولا يريدون إدخالي.

- وكم الساعة معك الآن!! تساءل الدكتور بعتاب.

- أنا آسف يا دكتور، أعدك إنها لن تتكرر، المواصلات كما تعلم وقد .....

- انتهينا. قاطعة د. هادى بحسم قبل أن يكمل: أنت شاب جيد يا أحمد ولن أكون مسرورًا بحرمانك من درجات البحث، ولكنها ستكون المرة الأخيرة، فأنت تعلم أن مهنة الطب بالذات تحتاج للالتزام، ولن أسمح بذلك مرة أخرى .

- شكرًا يا دكتور. قالها أحمد ممتنًا.

- سأبلغهم على البوابة حتى يسمحوا بإدخالك، ستجدنا عند قسم الإدمان.

أنهى أحمد المكالمة وتحرّك ليدخل من البوابة ليطلب منه رجل الأمن إثبات هوية قبل أن يسمح له بالدخول بعد أن أبلغهم الدكتور هادى على الهاتف الخاص.

شعر بالإثارة وهو يتحرك داخل تلك الحديقة الواسعة متجهًا لأول مبنى وقعت عليه عيناه.

كان مبنىً ضخمًا ويتناثر على جانبيه مبان أخرى أصغر منه حجمًا، كان يرى بعض المرضى يسيرون داخل الحديقة والبعض الآخر يجلس فى هدوء على بعض المناضد المتناثرة .

لم يكن الأمر كما اختبره من قبل في المستشفى النفسية الحكومية! ربما لأنها مستشفى خاص!! فى الواقع ليس من السهل الحصول على تصريح لدخول طلبة الطب لمثل تلك المستشفيات الضخمة، ولكن حالفهم الحظ بأن دكتور هادي هو نفسه مدير تلك المستشفى.

أخذ أحمد يتلفت حوله محاولاً العثور على شخص ما يستطيع سؤاله، ولكنه لم يجد، حاول الاتصال بأيمن، ولكن هاتفه كان مغلقاً.

بالطبع، كيف سيتركه مفتوحًا فى حضور دكتور هادى، ولكن ألا يعرف شيئًا عن وضعية الذبذبات!! حدَّث نفسه مغتاظًا.

فجأه وقعت عيناه عليها!!

تجلس بين الورود كما لو كانت الملكة الأم، وتلك الورود نابعه منها! تغلفها سكينة ملائكية، تتلاعب نسمات الهواء بشعرها الكستنائي الطويل، وبشرتها بيضاء شاحبة تدل على الضعف المحبب إلى النفس وعينان واسعتان عسليتان تنظر بعيدًا كما لو كانت لوحة منفصلة عن ذلك العالم.

تلاقت أعينهم فجأة وبدت كما لو كانت قد انتبهت لحملقتة بها، ومع ذلك لم يستطع إنزال عينه من عليها! انتابه إحساس غريب كما لو كانت تتوغل بداخله، لا يعلم مدى مر من الوقت وهو واقف هناك ينظرإليها كالمسحور، ولكنه أفاق على صوت زملائه والدكتور هادى، وهم يخرجون من المبنى أمامه وقد علا صوته بشرح شيئ ما .

تحرَّك أيمن بخطوات واسعة متجهًا إلى أحمد قائلاً : أين كنت ؟؟ لقد فاتك الكثير.

- أحمد .. قالها دكتور هادى مقاطعًا إيّاهم : لماذا لم تدخل إلى القسم؟!

- لقد فقدت الطريق ولم أكن متأكد من الاتجاه الصحيح .

- لاااااا ... لا أريد رؤية نفسيييي.

التف الطلبة وقد لفت انتباههم تلك الصرخات المفاجأة التى اخترقت الأجواء الهادئة للمستشفى، كانت تلك هى الفتاة الجميلة التي جذبت أنظار أحمد منذ قليل!! لقد قدَّموا إليها الطعام على صينية فضية من النوع الذى يعكس الصورة كالمرآة لتنتفض الفتاة فجأة وتحذف صينية الطعام وقد أصابتها حالة من الهستيريا!

حاول الممرضون تهدئتها فى حين وقف الجميع يشاهدون ما يحدث، ولكن أكثرهم اهتمامًا كان أحمد الذى عقد حاجبيه تعقيبًا على كلامها والحالة المفاجأة التى أصابتها دون سابق إنذار! هي التي كانت تجلس منذ دقائق كالملائكة!

فجأة ظهر طبيب يبدو فى الأربعينيات بخطوات واسعة وألقى نظرة سريعة إلى دكتور هادى والطلبة قبل أن يقول شيئ ما للممرضات والتي على إثرها تبادلا النظرات لبعضهما قبل أن يجذبا الفتاة بعيدًا،

التفتت إليه فجأة مثبته نظرها عليه لتتلاقى أعينهم مجددًا فى اشتباك غريب قبل أن تختفي مع الممرضتين داخل إحدى المباني!!

- ما هى حالة تلك الفتاة يا د.هادى ؟؟ تساءل أحمد باهتمام.

- إنها الحالة ١٠٧، من أغرب الحالات التى مرت عليَّ في المستشفى، جيد أنك سألت يا أحمد .

التف الجميع فى شكل دائري حول الدكتور وهو يستطرد في الشرح قائلاً : لقد جاءت إلينا تلك الفتاة منذ حوالى ستة أشهر، جاء بها د.خالد وهى تعاني من هلاوس مرئية وسمعية وبعد الفحص وجدنا أنها تعاني من أكثر من مرض نفسي! أكثرهم بروزًا هي أعراض مرض نادر بالطب النفسي، ولكي أكون صريحًا معكم فنحن لم نصادفه من قبل في حياتنا العملية! هذا المرض يُدعى «متلازمة كوتار» أو «متلازمة الجثة المتحركة»** وأي اضطربات نفسية أخرى أدرجناها تحت ذلك المرض.

وهو عبارة عن هلاوس تصيب المريض فيرى نفسه متوفيًّا أو جثة متعفنة طوال الوقت وأنه يفنى مع الزمن ويمر ذلك المرض بثلاث مراحل..

النشوء: يبدي المرضى في هذه المرحلة اكتئاب ذهاني ووساوس مرضية لا وجود لها من الأساس.**

التفتح: تشخص هذه المرحلة بتطور كامل للمتلازمة ووهم الإنكار.**

مزمن: تشخص هذه المرحلة بأوهام شديدة واكتئاب مزمن.**

وتلك الفتاة مازالت فى مرحلة النشوء ويتم علاجها بالطريقة القديمة وهى المتعارف عليها بأنها قد أتت بمفعول من قبل فى مثل تلك الحالات وهى العلاج بالصدمة الكهربائية مع بعض أدوية مضادات الاكتئاب ومضادات الذهان ****

- وبتلك الحالة ما هو سبب الإصابة ؟ تساءل أحمد

- لم يتوصل الطب لأسباب محددة لذلك المرض حتى الآن، ولكن من دراستي للحالة أرجح أن السبب هو تعرضها لصدمة نفسية شديدة تسببت لها باضطراب نفسي شديد كالاكتئاب الذهاني مثلاً أو اضطراب ثنائي القطب! مازالت الحالة تحت الملاحظة والمسؤول عنها د.خالد وهو من أكفء أطباء المستشفى ويُعتبر ساعدي الأيمن.

- وماذا تعنى الحالة ١٠٧ يا دكتور ؟ تساءل أحد الطلبة

- إننا هنا نسمي الحالات بأرقام الغرف الخاصة بهم، ليكون الأمر سهلاً علينا كأطباء فى التخاطب مع المساعدين، هذا الأمر يسير كاتفاق غير معلن لو تفهم قصدى، وهذا ما ستلاحظونه عندما تبدأوا في مزاولة المهنة .

- ولكن يا دكتور هل مازال العلاج بالصدمة الكهربائية موجود؟!! تساءلت إحدى الطالبات بإشفاق .

نظر لها د.هادي مجيباً : إذا كانت الحالة تستدعي ذلك نستخدمها، ولكنها ليست متداولة مثلما كانت قديماً، هي فقط فى حدود إلزام المرض وما يحتمه علينا من ضرورة اللجوء إليه، وتلك الحالة نادرة خاصة فى العالم العربي ولا أنجل من الاعتراف أننا ليس لدينا خبرة كافية للتعامل معها فيما عدا ما يوجد من المراجع حول هذا المرض الغريب، ولكنه يعتبر من أعقد أنواع الأمراض النفسية وأكثرها خطورة على المريض نفسه.

تعالت الهمهمات حول الدكتور، فيبدو أن الطب النفسي يحمل فى جعبته الكثير من الغموض والمفاجآت!!

سرح أحمد بعيداً إلى مكان إختفاء الفتاة بالداخل وقد انتابه شعور غريب تجاه تلك الفتاة! كما لو كانت قد بعثت له بنظرتها استغاثة غير مسموعة!! لا يعلم ما الذى أصابه! فهو حتى لا يعرف اسمها !! مجرد فتاة مريضة مثل الكثيرات التى تمتلئ بهم المستشفيات، ولكن... منذ أن تلاقت نظراتهم وهى تجلس هناك وسط الحديقة كالزهرة التى تنتظر من يسقيها الماء ليوهب لها الحياة، هناك شعور غريب انتابه تجاهها !!!!

- فلننتقل إلى قسم التالي. قالها دكتور هادي مقاطعاً أفكار أحمد لينتبه الجميع ويسير خلفه فى تجمعات ثنائية وثلاثية .

مرّ اليوم وانتهت الجولة وانتظر أحمد وقد اختار كل زمايله حالات البحث التى سيقومون بها ليتجه إلى الدكتور قائلاً وقد استجمع شجاعته: دكتور هادي، لقد اخترت أن يكون موضوع البحث مختلفاً.

- عقد الدكتور حاجبيه متسائلاً : ماذا تقصد ؟؟

- أريد أن تكون حالة البحث هى الحالة ١٠٧.

- ضاقت عين الدكتور ناظرًا إلى أحمد بتمعن متسائلاً: ولماذا هي بالذات ؟!

- إنها حالة نادرة كما أخبرتنا يا دكتور ولا تتكرر كثيرًا، وأريد أن يكون بحثي جديد ومفيد، أرجوك يا دكتور، أعدك أننى سأكون عند حسن ظنك بي .

وقف د.هادي صامتًا للحظات وهو يفكر بتمعن، فليس من المفترض أن يتعدى حدود سلطته لأنها مستشفى خاص، وتلك الحالة بالذات عليها تشديد، ولكن كبرياءه يمنعه من أن يكون ضعيفًا بسلطته أمام إحدى طلابه خصوصًا أنها حالة تستدعى الاهتمام والبحث فعلاً، وقد يكون ذلك مفيدًا على كل حال، لذلك قرر أن يعطيه فرصة، لم يكن أحمد بالشخص الذى من الممكن أن يقلق منه أو هذا ما يتمنى!

- حسنًا .. ولكنى سأتابعك بنفسي وهناك أمرًا آخر، تلك الحالة يتابعها دكتور خالد بنفسه، وهو لا يحب التدخل فى عمله فلا تحاول أن تسبب مشاكل أو سأسحب منك حالة البحث .

- إن شاء الله . قالها أحمد مؤكدًا .

حرَّك الدكتور رأسه موافقاً قبل أن يناديه أحد الطلبة فقال موجهًا كلامه لأحمد قبل أن يلتفت مبتعدًا : تستطيع القدوم غدًا والاطلاع على ملف المريضة بالكامل لتبدأ فى البحث، وحاول أن تقرأ عنه لتكون ملمًا بالحالة .. سيساعدك ذلك كثيرًا .

اقترب أيمن منه فور ابتعاد دكتور هادى متسائلاً : ماذا يحدث ؟؟

- نظر له أحمد دون أن ينطق وعقله مشغول بغد ..

ربما يكون قد تسرع، ولكن قد سبق السيف العزل ويجب أن يكون مستعدًا لتلك الحالة...

الحالة ١٠٧ !!!

***

 # ملحوظه :

كل ما ورد بجانبه علامة النجمة ** فهو معلومات حقيقية ..

***** متلازمة وهم كوتار، متلازمة كوتار، أو متلازمة الجثة المتحركة أو متلازمة الجثمان السائر (بالإنجليزية: Cotard delusion) هي اضطراب نفسي نادر يتوهم المصاب به بأنه ميِّت (مجازيًّا أو حرفيًّا)، غير موجود، متعفن أو فقد دماءه أو أعضاءه الداخلية. وفي حالات نادرة يتوهم المصاب بالخلود. تحدث متلازمة الجثمان السائر عادةً للأشخاص الذين يعانون من اضطرابات نفسية أخرى مثل الفصام أو الاضطراب ثنائي القطب، وفي بعض الأحيان جرّاء صدمات نفسية أو إصابات جسدية كحوادث السير وغيرها.[١]**

***

كان أحمد يشعر بالإثارة وهو فى طريقه إلى المستشفى ..

لقد مرّ عليه أيمن بسيارتة للذهاب معًا وأخذ يثرثر طوال الطريق حول البحث والمريض الذى اختاره وحماسه للانتهاء من تلك السنة الباقية لهم فى حين سرح أحمد بعيدًا فى الطريق وهو يفكر بها .

تلك الفتاة الغريبة التى جذبته دون سابق إنذار أو حتى سبب مقنع !!

لقد سهر أمس يحاول أن يلملم كل المعلومات المتاحه عن ذلك المرض النفسى ليكون على علم بما سوف يواجهه معها وبالرغم من أنه طبيب إلَّا أنه يشعر كأنه طفل سيذهب فى رحله لأول مره تمتزج مشاعره بالإثارة والحماس مع الخوف والقلق فى سيمفونية واحدة... !!

أفاق من أفكاره على صوت أيمن قائلاً : أخيرًا وصلنا، لقد أصبح الزحام لا يعرف وقتًا، الوقت مبكر أو متأخر لا تخلو الشوارع من السيارات .

ابتسم أحمد قائلاً بسخرية : لقد أصبحنا بلدًا متعددة الجنسيات، كرم الضيافة له ثمن .

توقف أيمن بجراج المستشفى واتفقا أن يلتقيا عند السيارة بعد ساعة.

تحرَّك أحمد متجهًا إلى المبنى الذى قاموا بإدخال الفتاة به أمس واستوقف إحدى الممرضات متسائلاً عن الحالة ١٠٧ .

- هل تقصد ندى ؟؟ هل أنت قريبًا لها ؟! تساءلت الممرضة بفضول

- لا ، أنا طالب لدى د.هادى بأخر سنه وندى ستكون موضوع البحث الخاص بى .

- اااه ... حسنًا وهل د.خالد على علم بذلك ، هل معك تصريح من د.هادى كي أتأكد؟

- أخرج أحمد ورقه صغيرة كان د.هادى قد أعطاه إيّاها أمس قبل أن يرحلوا . نظرت فيها الممرضة نظرة عابرة قبل أن تتقدمه قائلة: أنا نجلاء، سأكون معك أثناء مقابلتك لها فليس مسموح للطلبة الانفراد بالمرضى وأيضًا للأمان .

- هل الفتاة تدعى ندى ؟

- نعم

- هل أنتى المسئولة عنها؟

- أنا نجلاء، ومعي ممرضة أخرى تدعى هدى. قالتها وهى تضع يدها بجيب البلطو الأبيض الخاص بالممرضات الذى ترتديه وتسبقه بخطوتين.

قال وهو يحاول اللحاق بها : لماذا سألتني إذا كنت قريبًا لها ؟ أليس لديها أقرباء؟

- للأسف منذ أن جلبتها والدتها إلى هنا من ثلاثة أشهر تقريبًا لم تحضر لرؤيتها سوى مرتين وبين كل مرة والأخرى حوالى شهر، ومنذ أسبوعين جاء شاب فى الثلاثينيات تقريبًا، ولكنه لم يدخل إليها، يبدو أنه أحد أقربائها، لقد تحدث إلى د.خالد، أعتقد أنه منعه من الدخول إليها لذلك ذهب على الفور.

توقفت الممرضة أمام الحجرة ١٠٧ ثم التفتت لأحمد قائلة: أتمنى أن تكون لديك القدرة على التعامل معها، فهي لا تتحدث إلَّا نادرًا ومع أشخاص بعينهم، مسكينة، لقد سمعت د.خالد يخبر د.هادي أنها لا تستجيب للعلاج الذي من المفترض أن ينجح بنسبه ٨٠٪.

همت بفتح الباب ولكن أحمد استوقفها قائلاً : انتظري .

هو يعلم جيدًا أنه لا يستطيع إغرائها بالمال لأنه لا يملكه، ولكنه استشعر بحكم اختلاطه وخبرتة بالناس بما أنه يعمل منذ الصغر ومر عليه الكثير من الشخصيات أن تلك الممرضة متعاطفة مع حالة ندى ومن الممكن أن تساعدة دون مقابل لذلك استجمع شجاعتة قائلاً: أنا أعلم أنه ليس من المفترض أن أطلب منك هذا، ولكننى أحتاج أن أنفرد بها فقط بأول لقاء، لن أستطيع اكتساب ثقتها تحت المراقبة، فإذا سمحتي لي سأكون شاكرًا جدًا لكي .

- آسفة يا د.أحمد، أنا لا أستطيع أن أتركك معها وحدكما، هناك أوامر مشدّدة من د.خالد لحالة ندى بالذات، وإذا علم بهذا الأمر قد يؤذيني .

بدت خيبه الأمل على وجهه واحمرت أذناه خجلا، استطردت قائلة بتردد: ولكني أستطيع أن أتركك أول عشر دقائق فقط دون أن يلاحظ أحد.

ابتسم أحمد وحرَّك رأسه شاكرًا ففتحت باب الغرفة وأشارت له أن ينتظر فى حين زادت دقات قلبه بشكل غريب، خرجت له بعد دقيقة قائلة : تفضل، عشر دقائق فقط وسأكون هنا. أكدت عليه.

- تمام. قالها أحمد قبل أن يدلف إلى الحجرة واقفلت الممرضة الباب خلفه وهى تتنهد .

وقف أحمد ينظر للفتاة دون أن يتحرك، كانت تجلس عند نافذة الحجرة المغلقة بقضبان حديدية كالسجن وظهرها له، يتلاعب النسيم المتسلل بخصلات شعرها الناعمة ويلامس بشرتها كما لو كان يربت عليها، لا يعلم لماذا ينتابه ذلك الشعور الغريب عند رؤيتها! للمرة الثانية يشعر كما لو كان مسئولاً عنها !!

- احمممم ... تخنخ ليشعرها بوجوده، ولكنها لم تلتفت!

ندى، ياله من اسم رقيق يتوافق مع جمالها. فكر وهو يقترب منها ببطء متمعنا بملامحها الرقيقة .

- أنا اسمى أحمد، طبيب تحت التمرين، لقد رأيتك بالأمس فى الحديقة ،هل تتذكرين؟ جذب مقعدًا وجلس بجانبها دون أن يقطع

حديثه : فى الواقع لقد أصبحتي مريضتي الآن، لقد اخترتك كي أحاول مساعدتك.

كان يحاول جذب انتباهها واكتساب ثقتها، استطرد قائلاً بتردد:

- أعلم أن الأمر قد يبدو مريبًا، ولكني حقًا لا أعلم لماذا أشعر كما لو كنتي قد طلبتي منى ذلك عندما تقابلت نظراتنا أمس!!

كانت تجلس كالتمثال دون حراك، فقط خصلات شعرها هى التى يبدو عليها الحياة من نسمات الهواء التى تداعبها .

دلفت الممرضة إلى الحجرة بتلك اللحظة فانتبه إليها أحمد ولم يلاحظ ندى التى حركت عيناها لتنظر له نظرة جانبية!

- أشارت له الممرضة فيما معناه : إلى ماذا توصلت ليحرك أحمد رأسه «بلا» مجيبًا عليها، شعر أنه خسر من أول جولة، ربما لا يتعامل معها بشكل احترافي! وما الذى كان يهلوس به على كل حال!! إذا كان استمع له د.هادي ربما كان طرده من الجامعة بأكملها وليس المستشفى، يا لى من غبي. قالها محدثا نفسه، إنها مجرد حالة عقلها مريض وعلى الأرجح لم تنتبة لكلمة مما قلت! سيكون ذلك جيدًا على أى حال حفاظًا على ماء وجهه، وقف أحمد والأفكار تتضارب بداخله لتؤنبه ..

تحرَّك ليخرج من الحجرة وقد سبقته الممرضة قبل أن يلتفت ليلقي عليها نظرة أخيرة ليتفاجأ بها تنظر له !!!!

توقف قلبه قبل قدماه وقد التقت أعينهما، هل تذكرته؟

اللعنة، إن عيناها بهما سحر خاص، شعر فجأة أنهما يجذباه للمجهول بتلك النظرة!

- انتظر. قالتها فجأة.

تحرَّك أحمد خطوة عائدًا وهو لا يصدق أنها استجابت له حقًا، وانتبهت نجلاء فتراجعت بدورها لتراقب ما يحدث بفضول.

- هل تذكرتيني؟

-أومأت برأسها في بطء.

ابتلع أحمد لعابه بصعوبة وقد زادت خفقات قلبه ونظر لنجلاء التى كانت تراقب ما يحدث باندهاش!

أشار لندى قائلاً : حسناً .. هذا جيد، سوف أسألك بعض الأسئلة البسيطة وأريدك أن تجاوبي عليها .. اتفقنا ؟!!

- أومأت بالموافقة مجددًا وقد تعلّق نظرها به .

- أخرج أحمد جواله المحمول ليسجل عليه إجابتها وعاد ليجلس بجانبها مرة أخرى، ولكن قبل أن ينطق بأول سؤال تحدثت فجأة قائلة: أريدك أن تعدني أولاً.

سألها باهتمام: أعدك بماذا ؟؟

- أنك ستصدقني مهما بدى لك كلامي غريبًا أو غير منطقي.

-تردد أحمد للحظة تبادل فيها النظرات مع نجلاء قبل أن يجيبها قائلاً :

- أعدك ..

كان يجب أن يعدها بالكذب طبعًا ليحاول كسب ثقتها، فلا يوجد وعد يستطيع طبيب أمراض نفسية أن يعطيه لمريضة بالهلوسة والاضطراب العقلى!!

ولكنه بالرغم من ذلك شعر داخله بهاجس ملح يخبره أن يستمع إليها!!!!

***

كان د.خالد يجلس بمكتبة يطالع بعض الأوراق قبل أن يدق باب حجرتة فيسمح للطارق بالدخول.

كان الطارق هي الممرضة إلهام مساعدتة الخاصة والتي لها اليد العليا على باقي الممرضات بالمستشفى.

- د.خالد، هناك أمر هام حدث بخصوص الحالة ١٠٧

- ماذا هناك؟ تساءل منتبهًا باهتمام.

- لقد وصلني خبر أن نجلاء الآن مع طالب من طلاب د.هادى، يقول أن حالة ١٠٧ هى حالة البحث الذى يقوم به لسنة الامتياز.

- ماذا ؟؟؟ عقد د.خالد حاجبيه ووقف عن مكتبة بعصبية: كيف تسمحون له بذلك؟

- شعرت الممرضة بالارتباك : إنه يملك تصريح من د.هادى، كيف يمكننا منعه!

- وكيف لم يخبرني د.هادي؟؟ ألا يعلم أن تلك الحالة تخصنى!!

لم تجيب الممرضة فى حين تحرك د.خالد مندفعًا إلى الحجرة ١٠٧!!!

***

كان أحمد يستعد للحديث مع ندى وقد غمرة الحماس بتلك الخطوة الإيجابية التى تبشر بالخير، ولكن قبل أن ينال ما يريد انفتح باب الغرفة بقوة لتجفل نجلاء ويرفع أحمد رأسه مندهشًا، أمَّا ندى فقد تحركت مسرعة وانكمشت على نفسها بالفراش فى خوف!

- ما الذى يحدث هنا ؟! تساءل د.خالد بحدة.

وقف أحمد وعقد حاجبيه فى تساؤل ناظرًا لنجلاء التى تحدثت بارتباك شارحة : لا شئ يا د.خالد، أن د.أحمد قد جاء بتوصية من د.هادى وقد صرح له بنفسه بأن يستلم حالة ندى.

وقف د.خالد ناظراً لأحمد الذى رفع رأسه بتحدى متسائلاً : ما المشكله هنا ؟

- أشار له د.خالد بغضب مكتوم قائلاً : كلامي ليس معك، ولكني أمنع وجودك هنا حتى أتحدث مع د.هادى.

لبرهة كان أحمد على وشك الرد بشكل لن يعجب ذلك الطبيب المتعجرف، ولكنه فضل الصمت حتى لا يضيع حقه.

في حين نظر د.خالد لنجلاء شذراً قائلاً: لا أريد تواجد لأى مخلوق هنا حتى أتحدث مع د.هادى ثم ألقى نظرة أخيرة إلى أحمد قبل أن يلتفت خارجًا من الحجرة.

- ما الذى يحدث ؟؟ لماذا يهتم بحالة ندى بذلك الشكل المبالغ ؟؟! سأل أحمد نجلاء التى تنهدت قائلة: هذا هو د.خالد، هو من أكفء الأطباء هنا وله كلمة مسموعة، د.هادى تقريبًا تارك له كل أمور المستشفى، منذ أن وصلت ندى وهو المسئول عن حالتها بحكم صداقته لعائلتها، وهو الوحيد الذى يتابع حالتها ولا يسمح لأى طبيب آخر بالتدخل .

- نظر أحمد لندى المنكمشة على نفسها تنظر لهم دون حِراك قبل أن يسأل مشيراً له باستفهام: ولماذا تخشاه ندى بهذا الشكل!!

نظرت لها نجلاء بإشفاق واقتربت منها لتربت عليها بحنان لتطمئنها قبل أن تجيبه قائلة : هي لا تخشاه هو، بل تخشى جلسات الكهرباء، وأنت كطبيب تعلم ما يفعله هذا بالمريض.

- نظر لها أحمد غير متخيل كيف لفتاة بتلك الرقة والبراءة يكون ذلك مصيرها!

- ولكن أليس من المفترض أن يشرف د.هادي على الحالة بنفسه!

- كما أخبرتك، د.هادى يترك زمام الأمور هنا لدكتور خالد، من فضلك يا د.أحمد يجب عليك الذهاب الآن حتى لا تسبب لى المشاكل.

نظر أحمد لها وهو يشعر بالغيظ قبل أن يأخذ هاتفه من على المنضدة ويلتفت خارجًا.

فجأه انتفضت ندى من على الفراش وتحركت بخطوات واسعة لتمسك بذراعه قبل أن يخرج من الحجرة، وقفت نجلاء وهى تنظر لها فى ذهول فى حين التفت أحمد ليجدها تنظر له برجاء قبل أن تقول بصوت ضعيف : هل ستعود ؟؟

ظل ناظرًا لها للحظة وقد شعر بتوتر من حركتها الغير متوقعة! نظر لنجلاء قبل أن يجيبها قائلاً: سأعود.

- هل تعدني ؟؟ تحركت نجلاء وأمسكتها بلطف من الخلف ونظرت لأحمد كما لو كانت تنتظر إجابتة بدورها.

نظر لها أحمد برفق قبل أن يربت على يدها قائلاً : أعدك.

حاولت نجلاء أن تجذبها برفق بعيدًا عنه، ولكنها تشبثت بذراعة قائلة: يجب أن تعود، لقد وعدتني.

- سأعود. قالها مؤكدًا وهو ينظر لنجلاء التى شعرت بالقلق من تشبثها بذراعه بهذا الشكل، ولكنها خففت قبضتها عنه ثم ابتعدت معها وهي تنظر له.

شعر أحمد أنه يزداد غرقًا بتلك القصة، تضاربت الأفكار والمشاعر بداخله وهو يخرج من الحجرة مفكرًا: هناك شيئ ما خطأ بكل هذا، لا يعلم ماهو، ولكنه لديه ذلك الحدث الذى لطالما كان لا يخيب!

تحرَّك أحمد باليوم التالي صباحًا متجهًا إلى مكتب د.هادى بالمستشفى كما اتفق معه أمس بعد أن حدثة هاتفيًّا ليخبره بما حدث. كان أحمد يشطاط غيظًا من د.خالد بعد ما حدث فليس من حقه أن يهاجمه ويطرده بتلك الطريقة المهينة حتى لو كان الطبيب المختص بحالة ندى ولم يكن هناك مبرر لحالة الغضب الغريبة التى أظهرها أمس!!

دخل أحمد إلى مكتب د.هادى بعد أن استأذن.

- صباح الخير يا د.هادي.

- اجلس يا أحمد. قالها د.هادي وهو يعقد أصابع يده على المكتب أمامه ناظرًا له باهتمام .

- لقد بعثت إلى د.خالد لأفهم منه أسباب ما حدث أمس، أتمنى ألا تكون قد أخطأت بشئ ما لأن هذا سيكون بوجهي أنا.

- أقسم لك يا دكتور أن ما أخبرتك به فقط هو ما حدث، ولا أعلم سببًا لتلك العدوانية التى عاملني بها!

دق الباب بتلك اللحظة وانفتح ليدخل د.خالد وقد بدى على وجهه الضيق عند رؤيته لأحمد.

- تفضل يا دكتور. قالها د.هادى مشيرًا له ليجلس على المقعد المواجه لأحمد.

جلس د.خالد فى صمت قبل أن يوجه له د.هادى الحديث قائلاً: لقد أخبرني أحمد أنك قد منعته من التواصل مع حالة البحث الخاصة به دون سبب وجيه! أريد أن أعلم منك ما حدث لأعرف إذا كان قد أخطأ بشئ ؟!

- د.هادي، أنت تعلم جيدًا أن الحالة ١٠٧ هي حالة خاصة جدًا، وأني مسئول عنها بشكل شخصي لمعرفتي بعائلتها أولاً ولإلمامي بدراسة حالتها ثانيًا، وأخشى أن أى تدخل خارجي الآن قد يتسبب في تدهورحالتها خصوصًا أنها حالة نادرة ولا يوجد أطباء على خبرة كافية بها، فما بالك بطالب امتياز مازال تحت التدريب!!

- ولكن ما وصلني أن حالتها لا تتحسن من الأساس وأنها لا تستجيب للعلاج . قالها أحمد وهو ينظر لد.هادى بالرغم من أن كلامه موجه لدكتور خالد .

- الحالة صعبة ونحن مازلنا ببداية العلاج وأى تدخل قد يسبب لى مشاكل فى خطوات العلاج التى وضعتها بعناية. إجابة خالد بعصبية.

- ولكن ما قرأته عن تلك الحالة أنها عادة ما تستجيب لدواء الاكتئاب والذهان مع جلسات الكهرباء* وإذا لم يكن قد افلح ذلك فهناك خطأ أكيد فى الخطوات العلاجية التى تتحدث عنها .

- من تعتقد نفسك لتعدل على عملي!! قالها د.خالد بغضب وهو يقف قبل أن يوجه كلامه إلى د.هادي قائلاً : أنا مضطر للانسحاب من تلك المناقشة يا دكتور، فأنا لن أسمح لطالب أن يعطي نفسه الحق فى انتقادي، ثم إن الفتاة لا تستجب في العموم مع من حولها، وأرى أن وجوده لن يكون إلَّا عقبة ليس أكثر، ولن يستفيد شيئ من الحالة كموضوع بحث، أقترح أن يقوم باختيار حالة أخرى غير الحالة ١٠٧.

- تحرَّك أحمد موجهًا حديثة إلى د.هادي بحماس وإصرار: د.هادى، اسمح لي، لقد تجاوبت معي الفتاة بالأمس، حتى باستطاعتك أن تسأل الممرضة نجلاء لقد كانت معنا وتشهد على ذلك، وإذا أخذنا بحديث د.خالد على أنها ترفض الاستجابة لأي شخص، واستجابت معي! فهذا يعنى أن هناك فرصة لتقديم المساعدة.

كان د.هادي ينقل نظرة بينهما مستمعًا لوجهة نظر كلا منهما قبل أن يعدل من وضع نظارتة متسائلاً : هل حقًا تجاوبت معك الحالة ؟؟ ثم نظر لدكتور خالد الذى كان ينظر إلى أحمد بضيق قائلاً : أعتقد يا د.خالد أن هذا يعتبر تقدم من أول مرة، لماذا لا تتخذ من أحمد مساعدًا لك؟ منها يستفيد من خبراتك الطبية ومن جهة أخرى سيكون عامل مساعد للتواصل مع مريضتك خصوصًا أنها المرة الأولى التى تتجاوب بها مع شخص ما منذ وصولها إلى المستشفى، أعتقد أن الأمر سيكون مفيدًا لكلاكما بالعمل معًا.

- ولكن يا دكتور... قاطعه د.هادى قائلاً : د.خالد، من فضلك، أحمد طالب مجتهد وأنا أهتم به بشكل شخصي فغير أنه من أفضل طلابي إلَّا انه أيضًا ابن لأعز أصدقائي، وتجاوب المريضة معه أمر مذهل من المفترض أن نستغله، وأنتظر منك كطبيب كفء أن تساعده لينهي بحثه، وإذا حدث منه أى تجاوز لا عليك سوى أن تبلغني بذلك وأعدك أنى سأتخذ معه الإجراء اللازم، بخلاف ذلك لا أرى أى سبب يستدعى منك الرفض.

- لم يجد د.خالد ما يقوله فصمت على مضض فى حين شعر أحمد بالانتصار أخيرًا، وشعر بسعادة غريبة لأنه سيحافظ على وعده لندى ويعود إليها!

***

للمرة الثانية يدخل أحمد إلى غرفة ندى، ولكن تلك المرة مع الممرضة هدى وهى المسئولة الثانية عن ندى، تمنى ألَّا يكون قد سبب مشكلة لنجلاء فقد بدى أنها على استعداد لمساعدته.

كان استقبال ندى مختلفًا تلك المرة، فقد بدت كما لو كانت تنتظره، عندما دخل عليها وقفت لاستقباله بابتسامة رقيقة وعيون لامعة.

جلس أحمد مقابلاً لها يبادلها الابتسام وهو يشعر ببعض التوتر، وجلست هدى على المقعد المجاور للفراش بالخلف تراقبهما فى صمت.

أخرج أحمد هاتفة المحمول ليسجل ما سيدور بينهما مجددًا فى حين كانت ندى تراقبه بكل حركة مما زاده توترًا .

- كيف حالك ؟؟

- أومأت برأسها ففهم أنها تعني جيدة.

- سأقوم بسؤالك بضعة أسئلة وأريدك أن تجاوبيني عليها، أخرج مفكرة صغيرة كان قد حضرها مسبقًا.

- ما اسمك ؟

فكرت لثوانى قبل أن تجيبه قائلة : ندى.

- لديكى اسم جميل. قالها مبتسمًا قبل أن يكمل : هل تنامين جيدًا ؟

- أحيانًا، إذا لم يقم بزيارتي أحدهم ليلاً.

ضاقت عيناه للحظات مفكرًا فى تلك الإجابة الغريبة قبل أن يكمل متسائلاً: ماذا تقصدي بأحدهم؟

- تستطيع تلقيبهم بأصدقائي، أو ملائكة الظلام كما أطلق عليهم.

- أريدك أن تشرحي لي أكثر. قالها بهدوء.

- ربما، يومًا ما.

أقفل المفكرة ووضعها جانبًا، وجد أنها ليس لها جدوى، من الأفضل أن يكمل حديثه معها بشكل ارتجالي.

أخذ نفسًا طويلاً قبل أن يسألها : ما الذي تعانين منه بوجهة نظرك؟؟

صمتت للحظات قبل أن تجيب بعيون دامعة: أنا لا أعاني من شيء، ربما يكون عقاب أو لعنة! إنهم لا يريدوني خارجًا، لقد بدأ ذلك يحدث لي بعد ذلك اليوم!

- عقد أحمد حاجبيه متسائلاً باهتمام : أى يوم ؟؟

- يوم الحادث الذى تُوفِّي به والدي. قالتها وقد سالت دموعها.

- تحرَّكت هدى لتربت على رأسها بحنان : لا عليك يا صغيرتي، يمكنك أن تتوقفي عن الكلام إذا كنتي تشعرين بالإرهاق. قالتها بحنان.

- لاا . قالتها ندى بإصرار قبل أن تنظر لأحمد قائلة: استمع لى جيدًا، هناك شئ شرير يحدث لي وأنت من سيساعدني لأتخلص منه.

- اهدئى. قالها أحمد بلطف قبل أن يكمل قائلاً : ألم تفكري أن ربما صدمتك بموت والدك هي السبب في ذلك الإحساس؟

- غير صحيح، موت أبي ليس له علاقة بما يحدث لي! يجب أن تصدقني.

- من فضلك اهدئي، أنا أصدقك. قالها محاولاً تهدئتها

-أنت تكذب، فأنت لا تصدق ما اقول، تعتقد أننى مجنونة كما يظن الجميع هنا. وقفت وبدأت فى الصياح بصوت غاضب: لقد وعدتني أن تساعدني .

- أنا أحاول أن أفعل ذلك. قالها أحمد محاولاً تهدئتها وقد وقف بدوره ليواجهها : ولكن يجب أن تساعديني كى أستطيع مساعدتك .

- د.أحمد، أعتقد يجب أن نتوقف الآن. قالتها هدى بقلق فى حين صاحت ندى بصوت أعلى : لقد وعدتني، يجب أن تصدق ما أقول، ما يحدث لي حقيقة وليس خيال، يجب أن تساعدني، يجب أن أخرج من هنا قبل فوات الأوان .

- دخل د. خالد فجأة إلى الحجرة، ثبتت ندى نظرها عليه وقد توقفت عن الكلام، نظر لأحمد بحده قبل أن يشير إلى هدى آمرًا: حضريها للجلسة.

- لاااا، توقف عن فعل ذلك. قالتها صارخة.

قام د.خالد بالنداء على اثنين من الممرضان وهو مازال واقفًا عند باب الغرفة، هرعا إليه ليشير لهم كي يمسكوا بندى وهي تحاول التملص من أيديهم التى أطبقت عليها بقسوة، فى حين وقف أحمد يراقب ما يحدث في ضيق.

- لماذا ؟ تساءل أحمد مستفهمًا وقد بدى عليه التأثر وهو يراقبهم يجذبونها خارج الحجرة وصراخها ينتزع قلبه، فكم شعر بالعجز فى تلك اللحظة!

- لا تتدخل بعملي. قالها خالد بصوت كالتهديد.

- لا أحاول التدخل، ولكن من حقي أن أفهم.

- تنهد د.خالد بنفاذ صبر قبل أن يجيبة قائلاً: ما أقوم به مع ندى هو جلسات تنظيم إيقاع المخECT وهي إحدى الطرق الأكثر فاعلية وأمانًا لعلاج الكثير من الأمراض النفسية.

فكما تعلم تعمل الصدمات الكهربائية على تغير حركة الهرمونات العصبية بين أغشية خلايا المخ مما يعيدها لحالة التوازن السابق للمرض، فضلاً على أنها تؤثر أو تعدل من عمل «الهيبوثلاموس»، وهو المركز الأعلى الذي يتحكم في الجهاز العصبي اللاإرادي بفرعيه السمبتاوى والباراسمبتاوى، وكذلك فهو أحد مراكز الانفعال في المخ، ويحتوى على أكبر نسبة من الموصلات العصبية الخاصة بالانفعال.

ويحتمل أن جلسة الكهرباء تعيد توازن تحكم هذا المركز في العمليات الانفعالية المختلفة من إكتئاب وهوس وفصام ... إلخ. كما أنها تعطي راحة وقتية لنشاط المخ الكهربائي بحيث يبدأ العمل ثانية بطريقة سويّة. وتعطي جلسات الكهرباء تحت تأثير المخدر وراخي العضلات. ولا يشعر المريض إطلاقا بهذه الصدمات، أنا أعلم جيدًا ما أفعله، وتلك الهستيريا ليست بسبب الجلسات كما تعتقد، ولكن بسبب رفضها للعلاج وإنكارها للمرض من الأساس، فهي تعتقد أنها تعرضت لقوى شريرة ما تحاول القضاء عليها ولا تحتاج شرح أنه نوع من أعراض البارانويا* وهو بالمناسبة عرض مرتبط بالحالة التى تعاني منها.

- أريد أن أحضر تلك الجلسة.

- لن يحدث. قالها د.خالد وهو يبتعد ليلحق بهم.

- لحق به أحمد في إصرار قائلاً : هذا حقي.

- توقف د.خالد والتفت إليه محذرًا : لا تحاول أن تتدخل.

- لن أفعل. قالها ببرود ضاغطًا على أعصابه.

تحرَّك د.خالد وهو خلفه بخطوات واسعة حتى وصلا إلى الغرفة ..

كان الفراش يتوسط الغرفة الصغيرة وقد وضعو جسدها الضعيف عليه وقاموا بربط قدماها ويداها ووضعوا بفمها كرة مطاطية لمنعها من أذية نفسها وأوصلوا الأسلاك بالجهة اليمنى من الدماغ وشغلو الجهاز الموضوع خلفها والمتصل بالأقطاب الكهربائية وحرك الممرض مؤشرًا

كزر الراديو يشير ال ٩٫٠ ** لتبدأ الفتاة فى التقلص ثم يبدأ جسدها فى التشنج وأحمد يراقب كل هذا دون حيلة منه، ليستمر الأمر لدقيقه أو ما شابه بدت كالدهر بالنسبة له، قبل أن يتوقف الجهاز وتتحرك الممرضة لتنقل الفتاة على فراش ذو عجل بمساعدة احدى الممرضين ليعيدوها إلى حجرتها حيث أنها كانت تحت تأثير المخدر.

تبعهم إلى حجرتها ووقف بجانب فراشها يراقبها بشفقة دون حِراك.

- أعتقد أن وجودك الآن أصبح دون جدوى. قالها د.خالد ببرود وهو يدلف إلى الحجرة مشيرًا له كي يذهب.

- لن أذهب من هنا قبل الاطمئنان عليها. قالها أحمد بإصرار

نظر له د.خالد ببرود يقترب منه قائلاً: أول درس يجب أن تتعلمه على أرض الواقع الطبي وخاصة كطبيب نفسي، هو أن تفصل مشاعرك الإنسانية عن مهنتك تمامًا أو ستفشل من قبل أن تبدأ.

لم ينتظر ردًا من أحمد بل التفت إلى هدى قائلاً بحسم: أريد الحجرة فارغة خلال خمسة دقائق، أنتي من ستحاسبين أمامى. قبل أن يلتفت خارجًا.

نظر أحمد إلى ندى التى كانت تغمض عيناها فى إرهاق، ولكنها مازالت على درجة من الوعي ليحدثها بلطف: سآتي غدًا، وأعدك بأني سأستمع لكل ما تودين قوله.

كان يضع يده على يدها برفق وهمَّ بالذهاب فشدت على يده بضعف قائلة بصوت خافت: أنا لست مريضة كما تظن، هم من يجعلون مني مريضة. بدى حديثها غير منظم كما لو كانت تهذى، انحنى أحمد ليسمعها جيدًا قبل أن يسألها باستغراب : من هم !!

أغمضت عيناها وخفت يدها عن يده وقد ذهب وعيها دون أن تجيب.

- ظل أحمد ينظر لها لثواني شاردًا قبل أن يسحب يده بلطف ويتحرك مبتعدًا.

- هل ما زلت مصرًا أن تكمل مع ندى يا د. أحمد؟ تساءلت هدى باهتمام.

- بالتأكيد، أعتنى بها جيدًا، غالبًا عندما أعود لزيارتها غدًا لن تتذكرني* بشكل كامل أو تتذكر بدقة الحديث الذي دار بيننا.

ثم ألقى عليها نظرة أخيرة قبل أن يتحرك مبتعدًا قائلاً : سآتي لرؤيتها غدًا إن شاء الله.

- راقبته هدى حتى خرج من الحجرة، ثم انتقلت بنظرها إلى ندى قائلة بحنان : أتمنى أن يستطيع الصمود من أجلك، أتمنى أن يصدقك ويؤمن بك كما أفعل أنا.

*****من أهم الأعراض الجانبية لهذا النوع من العلاج هو فقدان الذاكرة لفترة قصيرة لأحداث جرت قبل وبعد الصدمة الكهربائية بدقائق أو ساعات وفي حوالي ثلث الأشخاص تكون الفترة أطول لأحداث جرت قبل أشهر.**

***

كانت ندى تجلس بالحديقه فى سكون كما رآها أول مرة، اقترب منها أحمد ببطء وجلس بجانبها ولكنها لم تتحرك.

- صباح الخير ..

- حركت رأسها لتنظر إليه قبل أن تعاود النظر أمامها مجددًا دون إجابة!

- لقد عدت كما وعدتك.

- .....

- لماذا لا تتحدثين إلي؟؟ هل تتذكريني؟ أنا أحمد، لقد وعدتك أن أستمع لكي وأن أساعد ك وها قد جئت كي أفي بوعدي.

- يجب أن تصدقني كي تستطيع مساعدتي. قالتها ببطء دون أن تنظر له.

- وأنت يجب أن تثقي بي.

- لماذا ؟؟ التفتت لتنظر إليه فجأة قبل أن تكمل قائلة: لا يوجد سبب لوجودك معي الآن سوى أنك تريد الحصول على بعض الدرجات الدراسية ومعها رضى أستاذك والذي هو بالمناسبة إحدى المشاركين في حبسي هنا. شعر أحمد بالارتباك وبالحرارة تتصاعد لأذنيه .

- هناك أسباب أخرى مثل أني أهتم حقًا لحالتك وأريد مساعدتك، إنها الحقيقة.

- لا شئ يحدث دون سبب. قالتها بصوت خافت وهى تنظر بعينيه مما جعله يغرق بعيدًا كما لو العالم قد تلاشى من حوله .

قبل أن تنظر حولها بتوتر مفاجيء مما انتزعه من بحر عيناها ليعود إلى أرض الواقع، وتناثرت خصلات شعرها الثائر عل جانبي وجهها قبل أن تعاود النظر إليه قائلة: يجب أن تصدق أني لست مجنونة حتى تستطيع أن تصدق ما أقوله لك، أشعر أن د.خالد لا يحاول مساعدتي كما يدعي! أنا مستعدة لأي اختبار تريده لأثبت لك هذا .

شعر أحمد بالارتباك فهو لم يكن محضرًا لمثل ذلك التطور المفاجئ ولم يجد ما يقوله، حرَّك رأسه دون معنى .

- أبحث عن ما يمكنه أن يهدم نظرية د.خالد عن طبيعة حالتي ووقتها ستستطيع أن تثق بما أقول، سأكون جاهزة لأى اختبار تريد.

تقدمت هدى وبجانبها ممرضة أخرى يراها لأول مرة.

-صباح الخير يا د.أحمد.قالتها هدى مبتسمة.

- صباح الخير. أجابها وهو يرمقها بنظرة سريعة قبل أن يعيد نظرة إلى ندى التى عادت للنظر أمامها فى هدوء كما لو لم تكن تتحدث معه بحماس منذ قليل حتى شعر إنه كان يهيء له! ..

- هل كل شئ على ما يرام ؟؟ تسألت هدى.

- نعم .. أجابها أحمد باقتضاب وهو يرمق تلك الممرضة الأخرى والتى لم تكن توحي بالراحة بسبب نظراتها الحادة لندى على عكس نظرات هدى الحنون!!

- إنه موعد تناول دوائك. قالتها الممرضة الأخرى وهى تخرج علبه صغيرة وتتناول منها بضعة حبات لتناولها إلى ندى وبيدها الأخرى كوب من الماء.

- رفعت ندى عيناها إليها فى استسلام وتناولت منها الدواء لتتناوله فى صمت وترشف خلفه الماء ثم تعود لحالة السكون التى كانت عليها.

- ما ذلك الدواء الذى تتناوله ؟ تساءل أحمد.

- ليس مسموحًا لى بالتحدث معك. قالتها بصوت يشوبه العداء والصرامة قبل أن تلتفت لهدى قائلة: أنت تعلمين ما عليك فعله، لا تحاولي مخالفة الأوامر أو ستواجهين غضب د خالد . قالتها بصرامة لهدى قبل أن تتحرك مبتعدة.

- من هذه ؟ تساءل أحمد.

- إلهام، المساعدة الخاصة لدكتور خالد، إنها تشرف على حالة ندى فى عدم وجوده وتعتبر يده اليمنى فيكلفها بأمور هامة ويجعلها مشرفه علينا .

- وما الذى أعطته لندى!!

- لا أحد منا يعلم! المسئول عن ذلك الدواء هي إلهام و د.خالد فقط ولا يسمح لأحد سواهما بالتدخل .

- شعر أحمد بالاستغراب من تصرفات د.خالد، إنه يتعامل مع ندى بشكل تحاوطه السرية والاهتمام المبالغ فهل كل ذلك لمجرد أنه على معرفة خاصة بعائلتها ؟؟ أم أن هناك سبب آخر !!

***

جلس أحمد بمكتب د.هادى بالجامعة فى انتظاره بعد انتهاء المحاضرة، إنه الوحيد الذي يستطيع مساعدتة لفهم ما يحدث مع ندى، فهو رجل ذوعلم وخبرة وأحمد يثق به وفوق ذلك يجب أن يكون ملم بما يحدث .

- دخل د.هادى إلى المكتب وكان يتحدث بالهاتف عن ندوة ما عليه السفر لحضورها.

وقف أحمد احترامًا له ولكنه أشار له أن يجلس وهو ينهي مكالمتة قبل أن يجلس خلف مكتبه ويعقد أصابعه أمامه ناظراً إلى أحمد باهتمام، اندفع أحمد قائلاً بحماس: هناك تطورات مذهلة بحالة ندى يا دكتور.

- من ندى !!

- الحالة ١٠٧، موضوع البحث.

- اااه .. حسنًا ، عدل من وضع النظارة على عينيه وأسند ظهره براحة إلى الخلف : ما الذى حدث ؟؟

- لقد تحدثت معي بوعي كامل وطلبت مني أن أختبرها لأتأكد أنها ليست مريضة بمتلازمة كوتار كما شخص حالتها د.خالد كما أنها اشتكت من تصرفاته معها وأخبرتني أنها لا تثق به وأن هناك شيئًا غامضًا يدور حوله .

ضاقت عين د.هادي متأملاً أحمد في صمت لثواني دون تعبير قبل أن يشير إليه بيده محثا إيَّاه على أن يكمل حديثه : و ..... ؟؟

- لا أعلم!! لقد فكرت أنك تستطيع أن تخبرني بما عليَّ فعله. قالها أحمد وهو يحرك كتفيه.

عدل د.هادى من وضع نظارتة واقترب فى جلسته للأمام ناظراً لأحمد بشكل أربكه: أنا لا أعلم كيف من المفترض أنك ستصبح طبيباً

نفسياً بعد عدة أشهر؟؟ إنك تتحدث عن الحالة كما لو كانت زميلتك بالجامعة وليست فتاة فقدت عقلها وتلجأ للعلاج!! أخبرني يا أحمد .. عدل من نظارته وقد لمعت عيناه : ما هى أعراض البارانويا ؟؟

- احمرت أذنا أحمد قائلاً : هو اضطراب عقلي ينمو بشكل تدريجي حتى يصير مزمناً ويتميز بنظام معقد يبدو داخلياً منطقياً ويتضمن هذاءات الاضطهاد والشك والارتياب فيسئ المريض فهم أي ملاحظة أو إشارة أو عمل يصدر عن الآخرين ..***

قاطعة د.هادي شارحًا :

- والمعنى العام أن البارانويا مرض عقلي يتمثل في هذاءات عقلية (delusions) قوامها الاضطهاد (persecution) من نوع معين يؤيده المريض ويدافع عنة بطريقة منظمة في حماس وإصرار. وتشغل هذه التوهمات جزءًا صغيرًا أو كبيرًا من عقله محاولة أن تتوسع لتشمل العقل، وترتبط هذه التوهمات وتصبح في انسجام مع موضوعها *** أكمل د. هادى كما لو كان يشرح بالمحاضرة.

-لا أفهم يا دكتور! هل تقصد أن ندى لديها أعراض البارانويا أيضًا؟؟

- لا شئ مستبعد، أن الفتاة تعاني من مشاكل كثيرة وأي أمراض نفسية يمكن أن تكون متاحه وبنسبة عالية مع متلازمة «كوتار» لأنها تكون البيئة المناسبة لاحتواء ذلك المرض والاعتناء به، يجب أن

تشك ندى بد.خالد لأنه يحاول إخراجها من الحالة التى تسيطر عليها والمرضى بالبرانويا يكونوا مقتنعين تمامًا بالفكرة المسيطرة عليهم ويتحدثون عنها بمنطقية قد تخدع من يستمع إليهم إذا لم يكن على دراية كافية بذلك المرض ** وهو هجوم متوقع لتثبت لنفسها أن ما تشعر به حقيقى مئة بالمئة، وأن جميع من حولها مخطئين .

عدَّل من وضع نظارتة وهو يتراجع مجددًا ونظره مثبت على أحمد الذى ظل صامتاً : لقد وجدت بك الشخص المناسب الذى تستطيع بث أفكارها إليه وتضع ثقتها المريضة به، يبدو أنك قد أوحيت لها بذلك بطريقه ما ولكن الغريب بالأمر .. صمت لثانيتين قبل أن يعدل من نظارتة مكملاً بعتاب واضح : إنك طبيب ودرست كل هذا، ولا أفهم ما هو التأثير الذى تركته عليك تلك الفتاة لتنسى كل ما درسته وتتبنى الموضوع من وجهة نظر شخص جاهل بتلك الأمور؟؟؟!!

- شعر أحمد بالخجل والضآله من كلام د.هادى يبدو أنه قد تسرع فعلاً وأن تأثيرها عليه يسير بشكل سلبى!

أخذ د.هادى نفسا طويلا قبل أن يكمل قائلاً : أنا سعيد أنك قد لجأت إليَّ، أنت شاب جيد يا أحمد وأرى لك مستقبلاً، ليس لأنك من أفضل تلامذتي بل لأنى أيضًا أرى بداخلك إصرارًا وقوة قد يحققان لك النجاح أكثر من مجرد طبيب يحفظ ما أمامه إذا كنت تفهم ما أعني، أنت شاب نادر فى ذلك الزمن وهذا ما جعلنى أقف

بجانبك وأقدر محاولتك بالاستقلال والعمل لكي تكفي نفسك وترحم والدك الذي أكن له كل الاحترام والتقدير بدوره، نصيحتي لك أن تركز فى بحثك وسأدعمك ولكن حذاري من التأثر بالمريض، الطبيب النفسي يجب أن يكون محايدًا ويلتزم بالنظريات التى قد درسها .

- أنا آسف يا دكتور، لقد ...

-قاطعه مرددًا : أنا لا أنتظر منك اعتذار، كلنا فى بداية الطريق مررنا بذلك، تأثرنا وأخطأنا ولكننا لم نستمر في الخطأ حتى نستطيع النجاح، هل تفهم قصدي؟ ليس هناك ما تخجل منه ولكن عليك التركيز بالقادم وألا تسمح لنفسك بأن تنحرف عن هدفك مجددًا ولا تنسى للحظه أنك طبيب نفسي وأن التى أمامك هي مجرد مريضة.

وقف أحمد وهو لا يجد ما يقوله فى حين وقف د.هادي بدوره وهو يعدل من نظارتة قائلاً : أنا مسافر لحضور ندوة هامة وأتمنى أن لا تسبب لنفسك المشاكل فى غيابي .

- أعدك يا د. هادي إني إن شاء الله سأكون عند حسن ظنك بي .

- جيد .. قالها وهو يضع بعض الملفات بحقيبة سوداء ويغلقها عازمًا على الخروج .

استوقفه أحمد بتردد قائلاً : شئ أخير يا دكتور، إذا أردت أن أتأكد أنها تعانى من متلازمة «كوتار» فعلا؟ فما هو الاختبار الذى قد يثبت ذلك أو ينفيه ؟؟!!

- أمازلت متشككًا ؟؟

- أريد أن أتأكد أن د.خالد لم يخطئ لأرتاح، أنا أعلم أنه طبيب ممتاز وحضرتك تثق به، ولكن لا يوجد شخص معصوم من الخطأ.

- لا توجد أعراض تتشابه مع متلازمة «كوتار» وأنا بنفسي قد وافقت على تشخيص حالتها كما شخصها د.خالد ولا يوجد اختبار مثبت للتأكد من ذلك المرض فبمجرد وجود أعراضه يصبح مثبتًا، أدرس جيدًا عن أعراضه وأبحث عن سببها فإذا اكتملت الصورة يكون تأكيدًا فى حد ذاته أمَّا إذا نقص جزء ما..

صمت للحظه قبل أن يكمل : وقتها قد تهتز النظرية من الأساس، إثبات المرض أو عدمه سيكون متوقفًا على درجة تركيزك وجمعك للمعلومات الصحيحة وتكملة الصورة مثل لعبة البازل تمامًا.

- حرَّك أحمد رأسه موافقًا قبل أن يربت د.هادى على كتفه قائلاً: أتمنى لك التوفيق، أراك على خير.

- متى ستعود يا دكتور؟ تسأل أحمد باهتمام.

- بعد أسبوعين إن شاء الله.

- أرجو أن تعود إلينا سالمًا. قالها أحمد من قلبه فهو يحترم ذلك الرجل كثيرًا ويقدره .

ابتعد د.هادى ووقف أحمد خارج الغرفة وقد شعر بأن المسؤولية تضاعفت على كاهله الآن، أنه يتمزق بين ما درسة طوال ست سنوات من قواعد ونظريات وبين ذلك الإحساس اللعين الذى يجعل جزءًا بداخله يصدقها! ويخبره أن هناك شيئًا غامضًا يحيط بحالتها، شيئًا عليه وحده أن يثبت إذا كان حقيقيًا أم وهمًا!

***

جلس د.خالد بالمقهى الراقي الذى يقع بإحدى شوارع المعادي الهادئة وأمامه ثالث فنجان قهوة محاولاً أن يتغلب على إحساس النوم، فهو لم يذق النوم منذ ما يقرب من أربعة وعشرون ساعة !

تراجع على المقعد وأراح عيناه على صوت الموسيقى الهادئة التى تنساب من السماعات لتتغلغل بداخله تدغدغ إحساس النوم بالرغم من كل القهوة التى تناولها للهروب .

أخذ عقله يعمل رغمًا عنه ويسترجع الكثير من الذكريات ..

كيف كان حاله منذ سنوات !!

كان شخصًا آخر يظهر عليه الفقر والغضب المكتوم مما يمر به من سوء الأحوال وكيف أحب زميلتة بكلية الطب، وكيف واجه

الرفض من أهلها بسبب ثراءها على عكس حالته! لولا تدخل عمها والذى صادف أنه دكتور بالجامعة بذلك الوقت ووقف بجانبهم لأنه كان يرى فى خالد مستقبل واعد، لقد كان دائمًا الأول على دفعته حتى أن عمها كان يتوقع له أن يصبح معيدًا بعد تخرجه، ولكن لم يكن طموح خالد يتوقف عند هذا الحد، إحساسه بالنقص والتدنى عن عائلة زوجته والتى أحبها بجنون كان يجعله يفكر فى كيفية تعويض ذلك بوصوله لأقصى درجات العلم ومحاولته لإثبات ذاته، ويثبت لوالدتها أنه الأفضل، ولم يكن يومًا طامعًا فى مال ابنتها كما تظن!

وبالرغم من أن زوجتة حنين لم تشعره يومًا بأى فارق بينهما إلَّا أنه طول الوقت كان يعمل جاهدًا ليمنع ذلك الشعور الذى ينتابه بوجودها حتى أنه كان على وشك أن يدمر علاقتهم بسبب ذلك فى العديد من المرات !!

لم يقبل أن يصبح مُعيدًا بل جاهد حتى تم تعيينه فى تلك المستشفى الخاص بتوصية من عم زوجتة والذى كان صديقا مقرّبًا لد.هادى، ومع الوقت أثبت نفسه حتى حصل على ثقه د.هادى الكاملة وترك له معظم أمور المستشفى، ولكن خالد لم يكتفي بذلك فهو يريد أن يفتح لنفسه عيادة خاصة بل مستشفى خاص أكبر وأشهر من تلك، يريد أن يكون حرًا فى البحث والدراسة والتجارب، ولكنه كان يحتاج للكثير من المال لتحقيق ذلك! فهو دائمًا كان يشعر أنه مختلف عن أي طبيب آخر يتخذ المهنة كمهنة مجردة دون محاولة للإضافة إليها وأن يكون له اسم لامعًا فيها كأطباء الغرب.

ولكي يصل لهدفه كان عليه أن يصل للمال، ولكي يصل للمال كان عليه أن يعمل جاهدًا و يتنازل عن بعض الامور وأولهم كان فى حياتة الشخصية وهي الأطفال، فلقد رفض أن يكون له أطفال إلَّا بعد أن يثبت نفسه وعلى الرغم من أنهم يعيشون حياة رغدة بسبب عملة بالمستشفى الخاص وحصولة على راتب مجزي، إلَّا أنه كان مصممًا أن وجود الأطفال الآن سيؤخره عن هدفه بطريقة ما! لم تقتنع حنين يومًا بما يقول، ولكنها تحملته لأنها أحبته بصدق.

كانت تصمت ولكنها تذبل ويذبل الحب معها، كانت تتسع الفجوة بينهما خاصة بعد دخول منار لحياتة! كانت منار تؤمن به وبقدرته على مساعدتها فيما تمر به! لقد انشغل بها تمامًا حتى أنه لم يعد يشعر بوجود حنين وأهملها فترة طويلة، حتى تلك اللحظه التي اكتشف بها أنها مريضة سرطان!

وقع عليه الخبر كالصاعقة، كما لو أن أحدهم قد صب على رأسه ماءً مثلجًا! تنهد بحرارة وهو يشعر أن رأسة يكاد ينفجر من التفكير، كل الأمور تزداد تعقيدًا، وماذا عن ندى !! أيًّا كان ما تخطط له تلك الفتاة فهو لن يسمح لها بأن تهرب من بين يديه! لن يسمح لها بالخروج من المستشفى أبدًا! ثم عاد تفكيرة إلى حنين مجددًا وتساءل: هل يمكنها أن تغفر له يومًا ؟

***

جلس أحمد بقاعة واسعة داخل تلك الفيلا الكبيرة وهو ينظر حوله بإعجاب ..

كان كل شئ يدل على الثراء والرقي كما يظهر بالمسلسلات والأفلام تمامًا، ولكنه لم يكن يعتقد أن ذلك موجود بنفس الصورة فعلاً، ولم يكن يتوقع أن يكون له أى علاقة من قريب أو بعيد بذلك العالم يومًا ما!

فى الحقيقة لم يتخذ الأمر منه مجهود كبيرلإقناع هدى أن تعطية عنوان عائلة ندى كما كان يتوقع بل على العكس تمامًا!! بدت كما لو كانت تنتظر منه تلك الخطوة! لقد تردد كثيرًا قبل الإقدام على تلك الخطوة الجريئة والتى يعلم جيدًا أنها قد تسبب له المشاكل، ولكن كان يجب عليه أن يعود لنقطة البداية، كان يجب أن يتحدث مع والدة ندى كي يكون على دراية كافية بالأجواء التى نشأت بها، علاقتها الغامضة بوالدتها، معلومات عن حادث والدها، كلها أشياء لم يكن د. خالد ليخبرة بها! لذلك قد حسم أمره وتوكل على الله وها هو الآن يجلس في انتظار والدة ندى والتى يخيل له انها ستخرج له بشكل درامي كممثلات السينما ليكتمل الكدر! لقد أتى دون موعد مسبق، هناك هاجس أخبره أنه إذا اتصل سيقابل بالرفض أو التملص من تلك المقابلة لذلك فضل الذهاب دون مقدمات وليكن ما يكون.

سمع خطوات هادئة قادمة تجاهه فرفع نظرة ليرى امرأة من المفترض أن تكون ببداية الخمسينيات من عمرها أو أكثر بالتقريب،

ولكنها تبدو كما لو كانت بأواخر الأربعينيات، لن يخدع فهو يعلم جيدًا أن هؤلاء الأثرياء لا يظهر عمرهم الحقيقي أبدًا!

رشيقة، تعقص شعرها بشكل أرستقراطي، وجهها له ملامح حادة، أنف مستقيم وشفاة رفيعة وحاجبان مرسومان بعناية، تبدو كما لو كان إحدى الفنانين البارعين قد قام بمسح ملامحها وأعاد رسمها ببراعة، لها عينان واسعتان كعين الصقر، شعر أنهما يخترقانه!!

تقدّمت نحوه بخطوات ثابته قبل أن يخرج صوتها حادًا كملامحها تمامًا : لقد أخبرتنى الخادمة أنك تريد مقابلتى لأمر هام، من تكون ؟!

- مساء الخير سيدة منار، أسف على الإزعاج، أنا أحمد شوقى، الدكتور أحمد شوقي من مستشفى (.....) أنا آسف لأنى جئت دون موعد مسبق، ولكن أعتقد أن سبب حضوري سيغفر لي ذلك .

- أهلاً بك د. أحمد، تفضل. أشارت له بالجلوس قبل أن تتساءل: وما هو السبب!! لم تتغير نظراتها أو حتى نبرة صوتها حتى أنك تشعر لوهلة كما لو كنت تتحدث مع لوحة ثابتة.

- لقد جئت بخصوص آنسة ندى .. ابنتك.

صمتت للحظات قبل أن تقول باهتمام: ماذا عنها؟

- في الحقيقة، أنا أباشر حالة الآنسة ندى وأردت الحصول على بعض الإجابات التى قد تساعدني فى علاجها .

- ولكن د.خالد هو من يتابع حالة ندى ولا يوجد طبيب آخر على حد علمي!

- سأشرح لكي، أنا لست طبيباً فعلياً بعد، ولكني بالسنة النهائية في طب وحالة ندى هي موضوع البحث لسنة الامتياز الخاصة بي، ولقد كلفنى بمتابعتها د.هادى شخصياً.

كان يشعر بالإحراج فهو لا يريد أن يورط د. هادئ بالأمر، وهناك شعور آخر بعدم الراحة انتابه من ضغط نظراتها عليه، هذه المرأة قادرة على ألّا تربش بعيناها لفترة طويلة!!

- هممم ... قالتها مثبته نظرها عليه وقد اتخذت وضع جلستها بظهر منتصب وشموخ، لا يعلم لماذا ذكرة وضعها بالقط عندما يستشعر الخطر! في حين اعتدل هو ليجلس دون راحة على طرف الأريكة فى توتر .

- وهل د.خالد لديه علم بذلك ؟؟

لا يعلم ماذا تقصد بسؤالها! وجوده هنا أم موضوع البحث !! ولكنه فضَّل أن يجاوب باقتضاب ..

- بالتأكيد ..

- وما هي الأسئلة التى تريد أن تعرف إجابتها ؟؟

- أنا أريد أن أعرف عن حياة ندى قبل مرضها وعلاقتها بوالدها والحادث.

- إنها أسئلة كثيرة بالنسبة لبحث طبي، ألا ترى ذلك معي؟؟ كانت تنظر له بشك أربكه.

- في الواقع أنا مهتم بحالة ندى بشكل خاص وأريد مساعدتها لتتحسن، ولكي أفهم حالتها جيدًا يجب أن أدرس الأسباب التى أدت لتلك الحالة ؟

- ولكن .. اعذرنى فأنا لا أثق إلَّا بدكتورخالد ولن أسمح أن تكون ابنتى فأر تجارب لطالب يحاول أن يعمل جاهدًا ليحصل على درجة امتياز.

- احمرت أذناه خجلاً وغيظاً قبل أن يجاوب مندفعًا : أنا فقط أحاول المساعدة، د.خالد مع ندى منذ فترة طويلة دون أن يحرز أي تقدم! وليس بالضرورة أن يكون طبيب جيد لمجرد أنه صديق للعائلة! أنا فقط أريد فرصة معها وأعتقد أنه من المفترض أن تساعديني فى ذلك حتى لو كان الأمل بسيط!

- تبدو شابًا متحمسًا وأقدر اهتمامك والذي أراه مبالغًا قليلاً بندى، ولكن من الظاهر لي أيضًا أنك مندفع يا د. أحمد، لقد اندفعت باتهامي بشكل غير لائق واتهام د.خالد بشكل لا يدل على الاحترام بالرغم من حكم خبرتة التى يفوقك بمراحل! أنت تحكم بشكل عاطفي وأشعر أن ذلك قد يضر ابنتي ولا ينفعها! واندهش من قرار د.هادي بأن يوافق على أن تتخذ حالة ابنتي موضوع بحث دون أن يأخذ موافقتي!

حاول أن ينطق مدافعًا، ولكنها رفعت يدها لتوقفه بحسم قبل أن تكمل بنفس تلك النغمة التى لم تتغير منذ أن فتحت فمها للحديث : أنا أثق بدكتور خالد ليس لكونه صديق العائلة، ولكن لأنه طبيب بارع بشهادة د.هادي نفسه وأعتقد أنك تثق بشهادته، أمَّا بالنسبة لإجابة الأسئلة التى تريدها فهي أمور لا أفضل مناقشتها مع الغرباء .

شعر أحمد بالضآلة والغباء، حاول أن يصلح الأمر.

- ولكن ..

- د.أحمد .. أعتقد أن كلامي واضحًا فلا تحاول تضييع وقتك ووقتي أكثر من ذلك. قاطعته مجددًا بهدوء.

ثم وقفت فجأة منهية اللقاء ووقف أحمد ولديه شعور أنه يريد الاختفاء من أمامها، لقد توقع أن يكون الأمر صعبًا، ولكنه لم يتوقع ذلك الرفض البارد الذى أحرجه أشد إحراجًا وقلل من شأنه.

فى تلك اللحظة دخلت عليهم فتاة جميلة، تبدو كتلك الفتيات التي تظهر كعارضات أزياء، بملابس ثمينة وعطر مثير يسبقها ومساحيق جمال صارخة ملفته للنظر! يبدو أنها كانت قادمة من الخارج وقد تفاجأت بوجود ضيف بالمنزل !!

- مساء الخير .. قالتها وهى تنظر لأحمد بتساؤل ونقلت نظرها للسيدة منار التى أشارت لأحمد قائلة: أهلاً يا حبيبتى، أعرفك بدكتور أحمد، لقد جاء ليطمئني على حالة ندى وسيذهب الآن.

ثم أشارت للفتاة التى ظلَّ نظرة معلقًا بها قائلة: ليلي (بكسر الياء) أخت ندى الصغرى.

- حيَّاها أحمد بأدب قبل أن يستأذن في الذهاب وقد وصلته رسالة السيدة منار بأن وجوده غير مرغوب به!!

***

وصل أحمد إلى المستشفى وهو يشعر بالإرهاق حتى إنه لم يذهب إلى عمله ليومين متتالين، يشعر بإرهاق ذهني شديد فعقله لا يكاد يتوقف عن التفكير!

لقد استحوذ موضوع ندى على تفكيره وجزء كبير من حياته، يشعر أنه يغرق بدوامة ليس لها بداية ولا يظهر لها معالم نهاية.

اقترب من حجرتها ولحقت به هدى، لا يعلم من أين تظهر بتلك السرعة كل مرة!

- هل استطعت الوصول لأهلها ؟؟ تساءلت بلهفة

- لم يسير الأمر جيدًا. قالها بإرهاق.

- لقد توقعت ذلك. قالتها بتنهيدة حارة قبل أن تكمل قائلة : كنت أتمنى أن يخيب ظني.

- كيف حالها اليوم ؟؟

- لقد سألت عنك أول أمس وظلت بانتظارك أمس، ولكنها ظلت صامتة عندما لم تأتي ولم تنطق بكلمة حتى تلك اللحظة.

- سأدخل لأتحدث معها ..

سبقته هدى للداخل كالعادة قبل أن تسمح له بالدخول.

دخل أحمد بخطوات هادئة ليجد ندى قد رفعت نظرها إليه، ثم انفجرت بالبكاء فجأة!!

نظر لهدى بارتباك غير فاهم ماذا حدث !!

- لقد ..ا ا.. اعتقدت أنك لن تأتي مجددًا. قالتها ندى فجأة من خلال دموعها.

نظرت هدى لأحمد بتأثر يبدو أن الفتاة المسكينة كانت تتحمل فوق طاقتها وأحمد أصبح طوق النجاة الوحيد بالنسبة لها ..

فهم أحمد ما يحدث وشعر بالخوف، الخوف من المسئولية والخوف من أن يخذلها والخوف من أن يكون مخطأً ويتسبب فى انهيار حالتها بدلاً من مساعدتها؛ لذلك كان عليه تهدئتها أولاً والذهاب من هنا، ثانيًا وربما للأبد، ربما يكون هذا الأفضل لهما!

- اقترب منها ليوقف دموعها قائلاً بتردد : لقد انشغلت قليلاً ليس أكثر، أنتى تعلمين أننى مازلت أدرس وهناك عملي أيضًا .

- أنت تعمل ؟؟ تساءلت باهتمام وهى تشهق لتوقفها المفاجئ عن البكاء

- أخرج منديلاً وأعطاه لها قائلاً : أريدك أن تتوقفى عن البكاء وإذا تناولتي طعامك اليوم سأجاوب عل كل أسئلتك، اتفقنا ؟؟

- حرَّكت رأسها بالموافقه وهى تبتسم ببراءة من خلال دموعها

نظر أحمد لهدى التى رفعت سماعة الهاتف الداخلي الموضوع بجانب الفراش وطلبت الطعام للغرفة وهى تنظر له بامتنان .

- جلس أحمد قبالتها وعيناها معلقة عليه، ابتلع لعابه مفكرًا، ثم ضاقت عيناه متسائلاً: هل يمكنك أن تحدثيني عن والدك قليلاً ؟؟

- نظرت لأسفل فى شرود قبل أن تجيب بصوت متحشرج : كان كل ما أملك، أجمل وأطيب رجل من الممكن أن تقابله، كانت علاقتنا طبيعية مثل أى أب وابنته، ماذا تريد أن تعرف ؟

- دخلت ممرضة إلى الغرفة بتلك اللحظة وهى تمسك بصينية الطعام ووضعتها أمام ندى التى نظرت إلى أحمد بابتسامة قائلة : اسألنى ما تريد سريعًا لأننى عندما أنتهى من الطعام سيبدأ دورى أنا .

- ابتسم أحمد ابتسامة صغيرة وهو يراقبها تمد يدها للطعام قبل أن تقع عيناها على انعكاسها بتلك الصينية لتنتفض فجأة واقفة حتى أن مقعدها انقلب أرضًا وهى تصرخ بهلع قائلة: لقد اقتربت من النهاية، لقد بدأت فى التعفن!

- وقف أحمد عاقدًا حاجبيه فى حين تحركت هدى بسرعه لتمسك وقد أصابتها حالة هيستيرية مجددًا كما التى وجدها عليها أول مرة.

- أنا أمووووت، أوشكت على النهاية، يجب أن تصدقونى، لقد قاموا بتحذيري، إنهم يعلمون. أجهشت بالبكاء وأشارت هدى للممرضة الأخرى التى خرجت مسرعة لتدخل بعد دقائق ومعها إحدى الممرضين الأشداء ليجذبوها إلى الفراش وهى تصرخ وقد قلبت أطباق الطعام لتعم الفوضى المكان : أنا لا أريد رؤية وجهي .. لماذا تصرون على أن تجعلوني أرى نفسي، لا أريد رؤيتها، لا أريد...

توقف أحمد عند جملتها! «لماذا تصرون على أن تجعلوني أرى نفسي؟» كيف لم ينتبه إلى هذا؟! من البديهي أن يمنع دخول أى عاكس للصورة لحالة مثل حالة ندى، وتلك ليست المرة الأولى التى يحدث بها ذلك! فالأمر خرج عن نطاق مجرد خطأ! يبدو كما لو كان مقصودًا!!

ثبتوها فى الفراش وأمسكوا بها فى حين أعطتها هدى حقنة مهدئة بدأت تخمد على أثرها وهى تردد بصوت يتباطئ : لماذا تصرون ؟ لماذا؟ لا أريد أن أموت.

خرج أحمد من الغرفة مندفعًا وقد اختلجت مشاعره ما بين الحزن والإحساس بالعجز والارتباك والغضب .

- د.أحمد .. استوقفه نداء الممرضة هدى التى أسرعت بالخروج خلفه.

- إلى أين أنت ذاهب ؟؟

- أخبريني، من المسئول عن تحضير الطعام هنا؟

- هناك طاهي مخصوص لذلك بمطبخ المستشفى.

- ومن يشرف عليهم؟ من يعطيهم التنبيهات مثل التأكيد مثلا على عدم وجود أي أداة حادة لمرضى الاكتئاب وهكذا ؟

- الممرضة إلهام تشرف على المطبخ بصفة عامة من حيث النظافة والالتزام بالتعليمات، وكل طبيب يؤكد على طلباته للمرضى الخاصة به.

سرح أحمد مفكرًا، إلهام! د.خالد! هل يمكن أن يكون الأمر مجرد صدفة أو إهمال!!

شعر بصداع رهيب وأن عقله سينفجر.

-د. أحمد، قاطعت هدى تفكيره قبل أن تكمل بتوسل: أنت طوق النجاة بالنسبة لها، لا تتخلى عنها، أرجوك.

نظر لها دون أن يجيب لتستطرد قائلة: أنا أخشى عليها حقاً، هل تعلم، عندما كانت تصرخ بالداخل عن هؤلاء اللذين حاولوا تحذيرها من نهايتها؟

- صحيح، من تقصد بهؤلاء؟

- الأموات. أجابته هدى بصوت منخفض.

- إنها نوع من الهلاوس المرتبطة بالمرض. أجابها بنصف عقل وهو يزفر، فى حين النصف الآخر شارد بتلك النظرية التى تحاول أن تفرض نفسها بداخله.

- ولكني أصدقها. قالتها بصوت خافت متحمس.

- تصدقينها ؟!!!!!!! تساءل أحمد بغير فهم وقد انتبه لحديثها فجأة، إذا كان الجنون ينتقل بالعدوى لأعتقد أن هدى قد جنت بدورها!

- إن ندى لم تكذب عندما أخبرتك أنها ترى الأموات.

يبدو أن الممرضة هدى ليست على ما يرام وهذا ما كان ينقصه. فكر وهو ينظر لها بارتياب.

- يجب أن أذهب. لم يكن مستعدًا لخوض حديث يثير الجنون الآن!

- أنا لست مجنونة يا د.أحمد. قالتها وهى تقف أمامه لتكمل كلامها قبل أن تبتلع لعابها بصعوبة قائلة : لقد أخبرتني برسالة من ابنتى ومعها أمارة لا يعرفها سوانا!

- ابنتك ؟!!!

- ابنتي، التي ماتت منذ سنوات.

- !!

***

جلس أحمد على المكتب الصغير بغرفته وقد تناثرت الكثير من الأوراق أمامه ونصف كوب من الشاي الذى صار باردًا، وقد تناساه وهو يقرأ بتلك الأوراق التى جمعها نقلا عن الإنترنت وكتب الطب فى كل ما يخص حالة ندى وأيضًا ما يخص الجلسات الكهربائية.

دق باب غرفته قبل أن يدخل والده إلى الحجرة، رجل طويل بجسد رياضي له ذقن بيضاء خفيفة وشعر ناعم، يرتدى جلبابًا رمادي اللون ويمسك بسبحة طويلة في يده: كيف حالك يا ولدي؟ أراك مشغولاً تلك الأيام ولم تعد تجلس معنا كعادتك .

- ابتسم أحمد قائلاً : إنها فقط السنة الأخيرة كما تعلم وهناك بحث هام مكلف به .

- ربنا يوفقك يا حبيبي، لن أعطلك، كنت فقط أطمئن عليك.

هم الرجل بالخروج قبل أن يستوقفه أحمد قائلاً بتردد : أريد أن أسألك شيئًا يا أبى.

التفت إليه والده منتظراً فى حين أكمل أحمد : هل ، هل يمكن لأحد أن يرى الأرواح أو الأموات ؟؟

- بالحلم ؟؟ تساءل والده وهو يعتدل ليقف بمواجهته.

- لا أعلم! ربما! هل يمكن حدوث ذلك؟

- ذم والده شفتية وأخذ نفسًا قبل أن يجلس قبالته قائلاً : هل يحدث ذلك معك ؟؟

- لا .. لا ، إنها .. ثم تراجع فربما إذا علم والده أنه يتحدث عن مريضة يؤثر ذلك على حكمه أو إجابته وهو يريد إجابة محايدة لذلك إجابة: إنه صديق لي يدعى ذلك وأريد أن أعرف رأي الدين بهذا .

- هذا يتوقف على الكثير يا بنى .. قالها والده بهدوء ثم نظر له شارحًا : لا أحد يعلم مصير الروح بعد أن تفارق الجسد، فالروح لبارئها. الله سبحانه وتعالى جعل الأمر خفيًا عنا ولم يذكر معلومات عنها إلَّا فى أضيق الحدود فلا يمكن أن نجزم بما يمكن أن يحدث بعد الموت بالرغم من الدراسات المستفيضة التي تحدثت عن ذلك، مثل الحديث عن البرزخ والحساب إلى آخره، فإن هذا الموضوع من الأمور الغيبية التي لا يمكن القول فيها بغير نص من الوحي، ولكن ظواهر النصوص تدل على عدم إمكان اتصال الموتى بأهليهم يقظة، ويدل لذلك قوله تعالى: **(وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ)** {المؤمنون: ١٠٠}. والبرزخ هو الحاجز بين الشيئين، ويدل له كذلك قوله تعالى: **(اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى)** {الزمر: ٤٢}.

وعن تلك الآيه رأى البعض مثل ابن القيم: أن من الممكن تقابل أرواح الأحياء مع أرواح الأموات فى الأحلام حيث إنهم ينتقلون

لعالم أثير فتختلط الأرواح وتتحدث ثم تعود الروح للنائم وتبقى التى أمسكها الله عنده ...****

*** كتاب « الروح» لابن قيم.

- ولكن يا أبى .. هذا يعني أنه من الممكن أن يحدث فعلاً، ولكن هل يوجد إمكانية أن يحدث بشكل آخر أو يمكن لشص ما امتلاك القدرة على التواصل مع تلك الأرواح بطريقة ما؟!!

- العلم عند الله يا بني .. قال تعالى: **(وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلْ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا)** (الإسراء: ٨٥)

برأيي الخاص أن الأمر قد ينقسم لاحتمالين : الأول : هو أن الله يعطى هبة من عنده لمن يشاء فيذكر الدين من أعطاهم الله قدرات خاصة لا يمكن لأحد أن يفهمها ولم يكونوا من الأنبياء أو الرسل مثل الرجل الصالح الذى تم ذكره فى سورة الكهف : **(فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا)** وتلك حالات نادرة لا يعلم سببها سوى الله سبحانه وتعالى وحده، ويبقى أمرها غامضًا ..

- والاحتمال الثانى ؟؟ تساءل أحمد باهتمام ..

- أخذ والده نفسًا عميقًا قبل أن يقول : الاحتمال الثاني يا ولدي هو أن يكون الشيطان والعياذ بالله يتلاعب بصديقك هذا فيمكن أن

يتصور كما يشاء، ويتحدث بصوت من يشاء إلَّا الرسول صلى الله عليه وسلم، فهناك حديث صحيح عن الرسول علية السلام (**من رآني في المنام فقد رآني حقا فإن الشيطان لا يتمثل في صورتي**) ***، فدل ذلك أن الشيطان يمكن أن يتمثل في صورة أي إنسان فيراه النائم في المنام . *** **حديث صحيح**

***

واذا كان كذلك فصديقك سيكون فى مشكلة كبيرة أسأل الله أن يعينه عليها.

وقف والده قبل أن يتمنى له ليلة سعيدة ويخرج من الحجرة مقفلا الباب خلفه .

ظل أحمد صامتاً يفكر، هناك احتمال ثالث بالطبع وهو الجنون وهذا أقرب للوضع الذى به ندى، خصوصًا أن التهيؤات من ضمن أعراض متلازمة كوتار** ولكن تكون بمرحلة متقدمة ود.هادى أخبره أنها مازالت فى المرحلة الأولى فإما أن يكون د.خالد مخطئا أو.... نظر للأوراق المتناثرة أمامه وشعر أن عيناه متثاقلة ورأسه على وشك الانفجار: أو ماذا !! سأل نفسه وهو يشعر أن هناك شيئاً ما خطأ، من ضمن الأعراض أيضًا الاكتئاب الشديد، ولكن حديث ندى معه وطريقتها في التعامل معه لا توحي بذلك على الإطلاق! لقد استجابت له وتحدثت وهي تعي ما تقول حتى إذا بدى كلامها غير،

ولكنه يعود لنفس النقطة مجددًا لقد أخبرته أنها تتحول لجثه ونتعفن وتلك هى أعراض المتلازمة اللعينة!! فكيف! إلَّا إذا كان المرض قد طور نفسه بشكل جديد مع ندى!!

ترك ما أمامه بتنهيدة حارة ووقف وراجع نفسه للخلف طالبًا الراحة لفقرات ظهره التى تيبّست من طول فترة الجلوس .

تحرَّك لينام على ظهره فى الفراش وأغمض عينيه المرهقتين، وأخذت كلمات ندى ووالده ود.خالد تتراقص فى مخيلته كالكلمات المتقاطعة.

غلبه النوم وجملة والده الأخيرة تتردد بذهنه : الاحتمال الثانى هو « أن يكون الشيطان والعياذ بالله يتلاعب بصديقك» ..... !!!!

***

جلس أحمد بحديقة المستشفى يستنشق الهواء المنعش وهو ينتظر ندى .. لقد أصبح يتشاءم من الحجرة !! أخذ يراجع حواره الأخير مع هدى قبل أن تذهب لإحضارها شارد الذهن :

- بما أنك تصدقين ندى وتؤمنين بأن عقلها سليم لماذا لم تخبري د.هادي بذلك وتحاولي مساعدتها بنفسك؟!

- ابتسمت هدى بحزن قبل أن تجيب قائلة: هل تعتقد أنى لم أفعل؟؟ لقد حاولت أن أتحدث مع د.خالد بالأمر كنت مشدوهة وقتها بما حدث وتحت تأثير الصدمة بعد وقع رسالة ابنتي التى وصلتنى

منها عن طريق ندى مما جعلنى اندفع بحماس، ولكن ما حدث أنى حصلت على خصم وإنذار بالرفد وأنت تعلم يا بني أن تلك الأمور لا يمكن تصديقها إلَّا إذا حدثت معك! مرت أيام كثيرة كنت بها سخرية زملائي حتى تعلمت الصمت، وأيقنت أن شخصًا مثلي مسجون معها لا يستطيع مساعدتها يجب أن يكون شخصًا آخر حر وموثوق به ويمكن الاستماع لشهادته.

- ألم تفكرى بإخبار د.هادى؟؟

- ألم أقل لك من قبل أن د.هادى يترك زمام الأمور هنا معظم الوقت لد.خالد!، لم يكن الأمر يستحق عناء المحاولة فأنا وأنت تعلم جيدًا ماذا كانت ستؤول إليه النتيجة.

أسند أحمد ظهره وهو يفكر، لا يعلم ما الذي من المفترض أن يفعله؟ هل من الممكن أن يصدقه د.هادى؟ وهل هو يصدقهما حقا؟؟ كما قالت هدى لكي تصدق يجب أن تجرب بنفسك فهذه أشياء لا يمكن تصديقها بمجرد الاستماع!!!!!

كانت كلمات هدى قد قلبت الموازين فهي دون أن تدري قد أعطته سببًا قويًا ليتمسك بإحساسه تجاه حالة ندى، ولكن كلام أبيه كان يتردد بداخله أيضًا كلما شعر أنه يقترب من أول الخيط يجده قد انزلق من يده مجددًا !!

أخذ نفسًا طويلاً وأخرجه فى زفير حار ..

لقد أوشك الأسبوع الأول على الانتهاء منذ أخر لقاء له مع د.هادى ولم يتوصل لأى شئ حتى أنه قد تعطل عن كتابة البحث.

تقدمت الممرضة هدى وبجانبها ندى يقتربان من المنضدة التي ينتظرهم عليها بالحديقة.

جلست ندى وبجانبها هدى قبل أن يحدث ندى قائلاً بلطف : كيف حالك اليوم ؟؟

- بخير .. حمدًا لله .

- أتمنى إلَّا يقاطعنا أى شئ اليوم مجددًا، سيضيع مستقبلي إذا حدث ذلك مرة أخرى. قالها ضاحكًا فى محاولة للتخلص من التوتر السائد.

- أنا آسفه .. قالتها ببراءة.

- على ماذا ؟؟ تساءل بتعجب.

- أشعر أننى تسببت لك بمشاكل كثيرة وأعطلك عن إنهاء ذلك البحث الخاص بك، لقد أقحمتك فى أمور أنت ليس لك بها أي دخل ولكني .. توقفت للحظات عن الكلام قبل أن تكمل قائلة : لقد كدت أن أفقد الأمل فى أن يستطيع أحد مساعدتي فأقرب الناس لى لم يصدقوني حتى أني أصبحت أشك أنى فقدت عقلي فعلا!

ثم نظرت إلى هدى التى بادلت نظرتها بابتسامة حنون قبل أن تعود بنظرها إلى أحمد الذى كان يراقب ما يحدث فى صمت: ولكن عندما تواصلت مع ابنة هدى وأخبرتني برسالة لوالدتها وأعطتنى أمارة لكي تصدقني عادت لى ثقتي بنفسي، لقد آمنت بي وصدقتنى. قالتها وهى تلمس يد هدى برقة وقد ضغطت هدى على يدها بحرارة، قبل أن تكمل ناظرة بعينيه: وعندما وجدتك، زاد الأمل عندي بأنك تستطيع مساعدتي كي أخرج من هنا، وأني لست مريضة كما يقولون، وأن ما يحدث لى شيء آخر! شيء شرير.

- ماذا تقصدين بشيء شرير؟ تساءل باهتمام.

- لا أعلم، إنه إحساس لا أستطيع وصفه!

صمت أحمد قليلاً وقد لفت نظرة العلاقة التى يمكنه وصفها بالأموية التى تربط ندى بالممرضة هدى ليجد نفسه فجأة يتذكر السيدة منار بهدؤها وأرستقراطيتها، ولا يعلم لماذا لا يستطيع تخيلها بوضع الأم! ربما لأنها بعيده عن مثال الأمومة الذى تعود عليه مثل والدتة وهدى ! ليجد نفسه يسأل ندى فجأة.

- أخبريني يا ندى .. تحرّك للأمام ليستند على المنضدة ناظراً لها بتركيز: ما هي طبيعة علاقتك بوالدتك؟؟

- سرحت ندى بعيدًا قبل أن تجيبه بتردد : لم نكن قريبين من بعضنا يومًا! شعر فى صوتها ببعض الحدة وهي تسترسل قائلة: لقد كانت

دائمة الاهتمام بأختى ليلى، أمّا أنا فكنت الأقرب لوالدي لدرجة إني أحيانًا كنت أشعر بها تغارمن قربي منه!! وبعد ما حدث.... صمتت فجأة قبل أن تنظر له بعيون دامعة لتكمل: كما ترى، لقد أودعتني بمصحة نفسية حتى تتخلص مني.

تبدو بصورة الأم القاسية كما تخيلها تمامًا! فكر أحمد دون أن ينطق بحرف وقد شعر بالشفقة تجاهها قبل أن يكمل متسائلاً:

- وماذا عن أختك ليلى؟

لم تجيب على سؤاله مما جعله يعقد حاجباه وسألها مجددًا ليحثها على الإجابة.

- لا أريد أن أتحدث عنها. تفاجأ أحمد برد فعلها، ولكنه أصر قائلاً: يجب أن تخبريني بكل شيء إذا أردتي أن أساعدك.

- صمتت قليلا قبل أن تجيبه سارحة : إنها أختي الصغيرة، كنت أحبها ولكن .. صمتت فجأة، انتظر أحمد لدقيقة قبل أن يحثها على أن تكمل : ولكن ماذا؟

- لقد تغيّر كل شيء عندما كادت أن تتسبب بموتي، لقد كنا نتشاجر لسبب ما كأي أطفال في ذلك السن وقامت بدفعي فى المسبح الخاص بالمنزل وهى تعلم جيدًا أنى لم أكن أجيد السباحة، وقتها ارتطمت رأسي بحافة المسبح وفقدت الوعي، وكدت أن ألفظ أنفاسي

لولا أن إحدى الخدم رآني بالوقت المناسب، لقد وقفت دون أن تحرك ساكنًا أو حتى تحاول مساعدتي! كانت تقف هناك في هدوء وابتسامتها هي أخر شيء رأيته قبل ثانيتين من فقدان الوعي، لقد حدث كل شيء سريعًا، لا يمكن أن تقف أخت تراقب أختها وهي على وشك الموت دون أن تملأ الدنيا صراخا إلَّا إذا كانت شيطانة!! أليس كذلك؟ عقد أحمد حاجبيه مستمعًا قبل أن يتجاهل إجابة سؤالها بسؤال آخر : كم كان عمرك وقتها؟

- حدث ذلك قبل عيد ميلادي الثاني عشر ببضعة أيام وكانت ليلى وقتها بالعاشرة من عمرها.

- وهل أخبرتي والديك بهذا ؟؟ وكيف كان رد فعلهما؟

- لقد استشاط أبي غضبًا، لأول مرة كنت أراه بهذا الشكل، إن ليلى كانت مدركة لما تفعل مما جعل والدي يأخذ قرارًا قاسيًا، لقد أرسلها لمدرسة داخلية وأجبرها على ترك المنزل حتى أنه لم يجلبها فى الأجازات إلَّا بعد مرور سنة من الحادث .

كانت والدتي هي من تذهب إليها، وبالرغم من أني كنت سأموت بسببها إلَّا أنني كنت أفتقدها وحاولت زيارتها مع أمي، ولكنها كانت دائمًا ترفض ذلك دون إبداء أي أسباب!

كنت أرى بنظرة أمي دومًا اللوم على ابتعاد ليلى عنها وعن المنزل، ربما لذلك قد ساءت علاقتنا معًا.

- وماذا عن علاقتك بليلى نفسها ؟؟ بعد أن عادت ؟

- لم تعود علاقتنا كما سبق أبدًا، حتى بأجازاتها التى كانت تقضيها معنا بعد ذلك كانت معظم الوقت صامتة وبعيدة، وكانت أمي تفصل بيننا دائمًا، كنت أسمع أمي تجادل أبي أحيانًا كثيرة، أعتقد أنها كانت تحاول إقناعه بأن تعود ليلى إلى المنزل بشكل كامل، ولكن لم يحدث ذلك أبدًا، ومع الوقت توقفت عن الحضور إلى المنزل وعلمت أنها سافرت لتكملة دراستها بالخارج، ولم نلتقي بعدها إلَّا ... صمتت للحظات قبل أن تكمل بحزن: إلَّا بعد وفاة أبى عندما جاءت لتودعه.

- ابتلع أحمد لعابه وهو يحاول أن يستوعب كلام ندى والحياة الغير سوية التى عاشتها هى وأختها !! كلامها يبدو منطقيًا ومترابط ولا يوحي بالجنون حتى أن متلازمة كوتار تستدعي الدخول باكتئاب وهذيان خاصة بالمراحل المتأخرة، ولكنها على العكس تمامًا! تبدو هادئة ومتزنة وتتحدث بطريقة منظمة ** هناك لبس بحالتها أكيد فتلك ليست المراحل العلمية للمرض! يبدو أن النظرية بدأت فى هدم نفسها بنفسها .. !!

- أحمد .. قالتها ندى برقة لتنتزعه من أفكاره، تسارعت خفقات قلبه وهو ينظر لتلك العينان الفاتنتان المتعلقتان به، لأول مرة تناديه باسمه ..

- أنت ستساعدني، أليس كذلك؟ لأول مرة يشعر بعدم قدرته على اللإجابة!

نظر أحمد إليها مبتسمًا دون أن يجيب، يشعر أن رأسه على وشك الانفجار قبل أن يقول محاولاً التهرب من الإجابة :

- أعتقد أنى أحتاج لكوب من القهوة بعد هذا الحديث .

- اسمح لى أن أدعوك عليها .

التفت أحمد باندهاش إلى ذلك الصوت الأنثوي ورفعت ندى عيناها وعقدت حاجبيها لقد كانت ليلى تقف خلف أحمد تمامًا تنظر إليهم بتلك الابتسامة الهادئة.

نظر أحمد إلى ندى سريعًا قبل أن يلتفت مجددًا لليلى قائلاً ببعض التوتر من المفاجأة : آنسة ليلى !!

اقتربت ببطء وهى تنظر لندى قائلة : كيف حالك يا ندى؟ لقد افتقدتك كثيرًا، أنا أعلم أنك ربما تكوني غاضبة مني لأني لم أقم بزيارتك الفترة الماضية، ولكن أعتقد أنك قد تعودتي على غيابي من حياتك لفترات طويلة. أنهت جملتها بنظرة خاصة بينها وبين ندى التى قابلت نظرتها ببرود قبل أن تشيح بوجهها بعيدًا في حين خمن أحمد أن ليلى تتحدث عن فترة عقوبتها التى قصتها عليه ندى منذ دقائق! يبدو أنها لم تنسى بدورها!

- ما قد يشفع لى أني لم أكن بمصر، لم يكن الأمر بيدي تلك المرة أيضًا كالعادة، لقد كنت بالخارج وعدت من أيام قليلة فقط . أكملت حديثها وهي تنظر لأحمد مبررة.

نظرت إليها ندى دون أن تجيب أو تبدي أي ردة فعل! فقط تراقبها فى حين التفتت ليلى إلى أحمد كما لو كانت لا تنتظر ردًا من أختها قائلة والابتسامة لم تفارقها : لقد كنت أعني كلامي عن فنجان القهوة الذى تحتاجه، ليست عزومة مَرَكْبِية كما يقولون.

ابتسم أحمد بارتباك لا يعلم بماذا يجيبها!

- ماذا تريدين يا ليلى ؟؟ تساءلت ندى بغضب مكتوم.

- أريد الاطمئنان عليكي يا عزيزتي، يبدو أن د. أحمد يبلي جيدًا فأنا أراكي قد تحسنتى عن آخر مرة رأيتك بها .

- جدًا. أجابتها ندى باقتضاب وبرود

- هذا شئ يسعدني بالتأكيد. قالتها ليلى بهدوء وهى تنظر بعين أختها فى ثبات قبل أن تكمل: أنتظر نجاح د.خالد أيضًا حتى يكتمل العلاج.

وقف أحمد يراقب حديثهما وهو يحاول أن يخرج بشيء مفيد عن علاقتهم، ولكن الأمر قد ازداد سوءًا وغموضًا بالنسبة له! هناك فراغات كثيرة فى العلاقة بينهما تحتاج للحل كالكلمات المتقاطعة! هذا بجانب البرود الغريب والذي أشعره بالتوتر والاندهاش؛ لأنه أبعد ما يكون عن علاقته بأخوته! لم يكن يتخيل أن يرى أخوات تقع بينهم فجوة كتلك!

وقفت ندى منهية اللقاء فجأة وهى تنظر لهدى نظرة ذات مغذى والتى تحركت بدورها قائلة: أنا بعتذر يا د.أحمد ولكن الوقت المسموح به لزيارتك لها قد انتهى ويجب أن تعود ندى لغرفتها.

- حسنًا . قالها أحمد قبل أن ينظر لندى قائلاً : أراكي غدًا إن شاء الله.

- ألن تذهب ؟؟ قالتها له متساءلة لينظر لها غير فاهم إلى ما ترمي قائلاً : بالطبع، سأذهب الآن.

- حسنًا .. قالتها وهي تنظر له دون أن تتحرك. أدرك أنها تريده أن يتحرك مبتعدًا قبلها ولكنه لا يفهم لماذا ؟؟ على كل حال من الأفضل أن يذهب فعلا!

- نظر إلى ليلى مودعًا : فرصة سعيدة جدًا آنسه ليلى .

- أنا الأسعد. قالتها وهى تمد يدها إليه ليأخذها بين يديه ويستشعر نعومتها ورائحة عطرها الثمين التى التصقت به: ودعوتي لك ما زالت قائمة، بأى وقت تريد .

- ابتسم محركًا رأسه و كتفيه دون أن يجيب بشئ مفهوم، لقد شعر بارتباك شديد قبل أن يتحرك مبتعدًا وهو يرمق ندى التى كانت تراقبه حتى ابتعد قبل أن يراها تلتفت لأختها بنظرة حادة ويدخلا بمحادثة لا تبدو ودية على الإطلاق! التفتت ليلى فجأة لتنظر باتجاهه

فشعر بالإحراج لاكتشافها مراقبته لهما فاستدار مبتعدًا عنهما ورائحة عطرها تداعب أنفه !!

***

جلس د.خالد بجانب زوجته على الفراش وأمسك يدها فى حنان ..

- يااااه يا خالد .. إنها المرة الأولى منذ سنوات التى أشعر فيها بحبك .

- أنا لم أكف يومًا عن حبك . قالها وهو يرفع يدها ليقبلها فى حرارة: فقط مشاغل الحياة والمسؤوليات جعلتني أبدو بعيدًا .

- ابتسمت بضعف : لقد كنت بعيدًا جدًا يا خالد .

- ها أنا معك الآن ولن أفارقك مجددًا أبدًا .

- ولكن أنا من ستفارقك.

- لماذا تقولين هذا ؟؟

- أنا لست غبيه يا خالد، أنا أشعر بغيابك منذ فترة طويلة . تنهدت بألم قبل أن تكمل: أمَّا بالنسبة لحالتى فلا تنسى طبيبة بالكلية وأعلم جيدًا حالة الجسد عندما يبدأ فى التداعي، لا تحاول إخفاء الأمر عني .

اعتصر الألم قلبه: لن يحدث، لن أسمح بذلك، سنسافر معًا للعلاج بالخارج وستتعافين بإذن الله .

- لا يوجد علاج بالمراحل النهائية . قالتها بانكسار، لقد اقترب موعدي، أكثر ما يضايقنى إننى سأذهب دون أن أترك لك جزءًا مني ذكرى .

- لا تقولي هذا، لقد تقدمت وسائل العلاج ويمكننا التغلب علي المرض، وسنرزق معًا بأطفال يملؤون علينا المنزل ونتذكر تلك اللحظات ونضحك سويًّا عليها .

- أريد أن أطمئن عليك يا خالد، لا تحسب أنى لم ألاحظ التغيرات التى طرأت عليك بالفترة الأخيرة .

لم يجيبها، ربما كان مخطئًا عندما توقف عن الحديث معها ومشاركتها كل ما يدور مثلما كان يفعل دومًا واستشارتها، ولكنه لم يفعل ذلك عن عمد كما تظن، لم يقصد الابتعاد عنها، ولكنه كان غاضبًا عندما اكتشف مرضها، امتزج الغضب بالحزن ليجد نفسه منغمزاً في العمل محاولاً تجنب التفكير فى تلك اللحظة التي يعيشها الآن!!

- المهم الآن هو أن تجهزى للسفر، هناك طبيب أريد عرضك عليه بالخارج .

- لا أريد الموت بأرض غريبة.

- يجب أن تتحلى بالأمل يا حنين، كوني قوية لأجلى.

- صمتت كما تصمت دائمًا بجدالهما، هى تعلم أنه مصر وليست بحال يسمح للمناهدة.

خرج من الحجره لتجهيز ما يلزم فى حين أغمضت عيناها واستسلمت للظلام، فهي تريد أن ترتاااااح .

***

كان أحمد يجلس بغرفته على المكتب يمسك بالقلم ويرسم بورقه أمامه دوائر فارغة متصلة عندما رنَّ هاتفه المحمول برقم غريب! أجاب بعد ثوانٍ ليفاجأ بصوت أنثوي ناعم : د.أحمد ؟؟

- أيوه ...

- أنا ليلى، أخت ندى.

- آنسة ليلى!! هل ندى بخير ؟!

- بخير.. لا تقلق، فى الحقيقة أنا أتصل بك من أجلها، أريد أن أتحدث معك فى بعض الأمور .

- لم يكن أحمد يتوقع تلك المكالمة على الإطلاق وبالطبع منع نفسه من سؤالها من أين جاءت برقمه لأنه سؤال غبي ولن يفيده بشئ .

لذلك أكتفى بأن يقبل فى كياسة واتفقا على موعد باليوم التالي مساءً.

لم يذهب أحمد إلى ندى ذلك اليوم، كان يحتاج إلى تصفية ذهنه والاستعداد لتلك المقابلة الغريبة التى يشعر بالتوتر كلما فكر بها، لا يعلم كيف تطورت الأمور إلى ذلك الحد !!

***

وقف أحمد بالشارع أسفل منزله منتظراً ليلى التى أصرت على تدوين العنوان لتحضر إليه بنفسها .

رأى سيارة رياضية ثمينة قادمة تجاهه لتقف أمامه مباشرة فانحنى ليجد داخلها ليلى تستقبله بتلك الابتسامة المشرقة، سرح لثواني بوجهها الجميل والذي تحاوطه جاذبية خاصة لتنتزعه قائلة برقة : هل ستظل تحدق بى كثيراً ؟؟

احمرت أذناه خجلاً وحمد الله أنهم مساءً حتى لا تلاحظ .

دلف إلى السيارة وقد بردت أطرافه من التوتر ..

- سلام عليكم . قالها دون أن ينظر إليها.

- وعليكم السلام يا د.أحمد .. كيف حالك ؟

- الحمد لله

- أنا ممتنة لموافقتك على دعوتي لتناول القهوة .

- لن أتأخر في المحاولة لتقديم المساعدة لحالة ندى.

- اااه ... طبعًا ، هل تسمح لى بسؤال ؟

- بالطبع.

- كانت تخترق الشوارع بسيارتها دون وجهة معينة وكل تركيزها فى الحوار الذى يدور بينها وبينه.

- يثير فضولي حقًا اهتمامك بحالة ندى بذلك الشكل الذي أراه من وجهة نظري وأتمنى ألَّا يزعجك، إنه اهتمام مبالغ به قليلاً، في الحقيقة لست مقتنعة بأن الأمر يتوقف عند موضوع البحث لدراستك! فهناك الكثير من الحالات بالمستشفى كان من الممكن أن يكون بحثك على أحدهم، خاصة أن حالة ندى صعبة ومختلفة!

- فى الواقع هذا سؤال يصعب إجابته، عندما رأيت ندى شعرت كما لو كان هناك هاتف داخلي يجذبني لمتابعة حالتها! قد يبدو الأمر غريبًا، ولكن هذا ما حدث فعلا، أنا مقتنع تمامًا أن الله سبحانه وتعالى مُسبب الأسباب، لذلك أعتقد أن ما حدث والتطور في علاج ندى ومساعدتها هو السبب، لقد كان الأمر بمثابة تحدي لنفسي فكلما اقتربت وجدت ثغرات فى تشخيص حالة ندى مع احترامي بالطبع لثقتكم واختياركم لدكتور خالد.

-امممممم.. قالتها سارحة قبل أن تستطرد قائلة: والدتي مرت بظروف صعبة بعد الحادث وبعدها تدهور حالة ندى، فليس من

السهل أن تثق بأي شخص خاصة لو شاب ما زال يدرس ويخبرها أن حالة ابنتها موضوع دراسته! أتمنى أن تقدر موقفها وتعذرها.

- مفهوم طبعًا، أكيد ما مرت به كان صعب، هل يمكنني سؤالك كيف تُوفى والدكم وملابسات ذلك الحادث؟ سألها عاقدًا حاجبيه مدركًا أنه لم يعلم تفاصيل الحادث حتى تلك اللحظة!

- لقد كان والدي ذاهب لرحلة عمل بالأسكندرية، ولكن أصابته أزمة قلبية مفاجأة مات على أثرها وانحرفت السيارة به ليرتطم بسيارة أخرى على الطريق، ولكن حمدًا لله لم تحدث خسائر بالأرواح سوى أبي رحمه الله.

- رحمه الله. قالها بصوت خافت وساد الصمت للحظات كانت ليلى شاردة بها قبل أن تستطرد فجأة : ستجدني الأقوى بينهم، ربما تندهش لذلك، ولكني مررت بما يساعدني لأكون بتلك القوة التي تراني عليها الآن.

التفت إليها متمعنًا فى ملامحها قبل أن يجيب: فى الحقيقة لديَّ فكرة بسيطة عن ما مررتي به .

- رمقته بنظرة سريعة قبل أن تعاود النظر إلى الطريق أمامها متسائلة: بماذا أخبرتك ندى ؟؟

شعر بالارتباك من رد فعلها الحاد والتغير الذى طرأ عليها وفكر:

« ما هذا الغباء الذى أصابه، لم يجب عليه قول ذلك!»

- فى الحقيقة هي .. لم أقصد ..

- قاطعته مجددًا بعصبية : هل أخبرتك أنها كانت السبب فى ابتعادي عن المنزل وعن حضن أمى فى أكثر وقت كنت أحتاج إليها به ؟؟ هل أخبرتك أنها كانت السبب فى كره أبى لي وابتعاده عني ؟؟ هل أخبرتك أنها لم تحاول زيارتي ولا لمرة واحدة بل استغلت عدم وجودي لتأخذ كل شئ لنفسها ؟؟

شعر أحمد بغضب ليلى وإسراعها فى القيادة لا إراديًّا!

- آنسة ليلى .. من فضلك اهدئي، لا تنسي أن من تحدثت إليها هى أختك التى يتم علاجها بمصحة نفسية، أنا فقط أستمع إليها وإلى من حولها لكي أستطيع تكوين فكرة تحتوى القصة كاملة كي نستطيع مساعدتها .

- أخذت نفسًا وهدأت من سرعتها قليلاً ثم أوقفت السيارة على جانب الطريق، ظلت شاردة أمامها لثواني وأحمد ينظر لها منتظراً قبل أن تلتفت إليه قائلة : أنا آسفة لانفعالي ..

- هل أنتى بخير ؟؟

- أنا فقط ... عندما أتذكر تلك الفترة من حياتي.... صمتت للحظات قبل أن تسأله فجأة:

- ما الذى أخبرتك به ؟؟

- أخبرتني عن مشادتكم معًا عند حافة المسبح ودفعك لها غاضبة، أنا أعلم بالطبع أن خيال الأطفال يكون مبالغًا به فى تلك الحالات وعندما يرتبط بحادث أليم يظل بالذاكرة بنفس الصورة التى رسمها العقل بوقتها و ....

- إنها كاذبة. قالتها ليلى فجأة بكل هدوء مقاطعة كلامه.

عقد أحمد حاجبية متفاجأً، قبل أن يتساءل باهتمام.

- هل تقصدين أن ذلك لم يحدث ؟؟

- بل لم يحدث بتلك الصورة، تلك المخادعة الصغيرة تروي تلك القصة اللعينة للجميع ولكن الحقيقة مختلفة تمامًا. لقد انزلقت قدمها عند المسبح أثناء ركضها، لم أكن قريبة منها حتى! كنا نلعب وكنت أحاول اللحاق بها،عندما سقطت، ارتطم رأسها بالحافة ثم انزلقت للماء!

كان المشهد مرعبًا بالنسبة لي، لذلك تجمدت في مكاني للحظات قبل أن أقترب لمحاولة إنقاذها، كانت قد بدأت تغوص بالأعماق فصرخت بكل قوتي للمساعدة وقفزت في الماء للإمساك بها حتى انتبهت لصراخي أحد الخدم وأسرع لمساعدتي وإخراجنا من الماء، لم يكن هناك شاهدًا على ما حدث، اندفع والدي لحمل ندى بنفسه إلى الأعلى وطلب الإسعاف وتم إنقاذها وتقطيب جرحها، كنت بحالة يُرثى لها بذلك

الوقت، مبللة وقد تلطخت ملابسي بدمائها وكنت أبكي خوفاً من خسارتها، دخلت بشبه غيبوبة لأيام مرت علينا كالكابوس و أخيرًا عندما استردت وعيها كانت صامتة، لا تتحدث معنا، وانطوت على نفسها قبل أن تفاجأني بعدها بتلك القصة الملفقة التى أخبرت بها أبي لأجد نفسي فجأة قد تم اتهامي وإبعادي عنهم وعن أصدقائي وعن حياتي وعن أمي! فقدت كل شئ فجأة دون أن أفهم السبب! لقد أنقذت حياتها ولكنها بالمقابل دمرت لي حياتي !!

- ولكن .. ما السبب الذى قد يجعلها تفعل ذلك ؟؟

- بدت كما لو كانت ستقول شيئًا ثم تراجعت اكتفت بإجابة باردة مقتضبة : لا أعلم.

- هل تكرهينها ؟؟ يبدو أن سؤال أحمد قد فاجأها! ظلت صامتة لدقيقة كاملة حتى أنه اعتقد أنها لن تجيب، لكنها أجابته أخيرًا بهدوء قائلة : ندى أختي الكبيرة، كانت دائمًا تعتني بي قبل أن يتبدل كل شيء بعد ذلك الحادث اللعين، وهي الآن تحتاج إلى المساعدة ويجب أن أعتني بها.

صمتت لحظات قبل أن تستطرد فجأة: هل تعلم أن د.خالد كان صديقًا لوالدي؟ بالطبع هناك فارق عمري بينهما، ولكن أبي كان يثق به، كانا قد تعارفا من خلال الطبيب المعالج لحالة أبي، لقد أوصاه وقتها بدكتور خالد ليتابع معه حالته النفسية والتخلص من

الضغط النفسي وتوتر العمل، لذلك أصرت والدتي أن تكون ندى تحت إشرافه ولذلك أيضًا نثق به.

- أتمنى أن يستطيع إعادة ندى كما كانت قبل الحادث. قالتها شاردة بصوت خافت قبل أن تأخذ نفسًا وتكمل بلطف في محاولة لكسر ذلك التوتر: ولكي أثبت لك حسن نيتي، سأقيم حفل عيد ميلادي بعد أسبوعين من الآن، إذا كانت ندى قد تحسّنت فعلا كما تقول سأطلب من د.خالد تصريح لتحضر معنا الاحتفال، ربما يساعد ذلك في تحسن نفسيتها، وأنت ستكون مدعو بالطبع.

- نظر أحمد إلى لمعة عيناها وشعر أن القصة تأخذ منحنى آخر وأعمق مما كان يتخيل، لقد اعتقد أن مقابلتة بليلى ستجعل الأمور أوضح بالنسبة له، ولكن الأمر قد ازداد تعقيدًا! هل يصدق ندى المريضة بالمصحة ولا يعلم حتى الآن تشخيصًا وافيًّا لحالتها ؟ أم يصدق ليلى التى يبدو أنها عانت بطفولتها وهناك احتمال أن تكون فاقدة للاتزان النفسي بدورها؟

من منهما تقول الحقيقة !!

***

جلس د.خالد بمكتبه سارحًا بالأوراق أمامه بعيون متجمدة محاولاً التماسك.

لقد ماتت حنين ..

تركته وحيدًا بمنتصف الطريق قبل أن يكملا أحلامهما معًا، دون أن ينجبا الأطفال التى طالما تمنتها لتملأ حياتهم .

ماتت دون أن ترى النجاح الذى سعى بكل الوسائل للوصول إليه، دون أن تراه وهو يحقق الهدف الذى ظلّ يحارب من أجله.

نزلت دمعة رغمًا عنه قبل أن يبتلع لعابه ويمسحها بسرعة في محاولة للسيطرة على مشاعره.

ليس من شيمته الضعف ولا يريد نظرات الشفقة من العاملين هنا، كان يحتاج وقتًا كي يستطيع الاستمرار! أكثر ما يؤلمه أنها ذهبت قبل أن يطلب منها السماح، ياليت يعود الزمن به ليطلبه!.

***

فترة غياب د.خالد بسبب وفاة زوجته أعطت فرصة كبيرة لأحمد كي يساهم في تحسن حالة ندى، كان يذهب إليها يوميًّا ويشرف على طعامها بنفسه مستخدمًا الصلاحية التي أعطاها له د.هادي بعد أن استطاع التواصل معه هاتفيًا ونقل الأحداث له، كل ما كان يؤرقه هو وجود «إلهام» المساعدة الخاصة لدكتور خالد! لقد كانت تبدو مستاءة وغير راضية عما يحدث بشكل يثير الاندهاش!

لاحظ أحمد أن حالة ندى جيدة جدًا طالما هي بعيدة عن أي شئ من الممكن أن يعكس صورتها! المثير بالأمر أنه بالرغم من تشابه ما تمر به مع أعراض متلازمة « كوتار» إلَّا أنها لا تمر بأي من المراحل التى من المفترض أن يمر بها المريض! لاحظ أيضًا أن توقف العلاج بالصدمات الكهربائية تلك الفترة جعلها أكثر حياة، فأصبحت أكثر تركيزًا وأقل هدوءًا، أقرب ما يكون لطبيعية! حتى أنه كان يسجل فيديوهات قصيرة لها وهي تضحك وتتحدث وبعث بها لدكتور هادي مع الشرح وأخبره بوجهة نظره وتأكيده على أن د.خالد كان مخطئًا!!

كان د.هادي يستقبل رسائل أحمد ويبدي اندهاشه، ولكنه أجل أي مناقشات علمية حتى يعود، فقط اكتفى بإعطاء أحمد الصلاحيات الممكنة بالمستشفى حتى عودته من الخارج وكان هذا كل ما يريدة أحمد حتى يستطيع الصمود أمام د.خالد حين عودته!!

كان كل شئ يمر بسلام ولكنه لا يستطيع الإنكار أن كل هذا التقدم لا يساوي أي شئ دون حل المشكلة الأساسية والتي لا يعلم ما هي حتى الآن!! لا يوجد مرض نفسي آخر بذلك العرض، ولكن بنفس الوقت ندى تبدي اتزاناً عقليًّا كاملاً! تحدث لها حالات الهستيريا عندما ترى نفسها فقط وهذا يعني أنها مدركة عقليًا لما يحدث! كان الأمر يؤرقه بشدة حتى ذلك اليوم الذى كان يتحدث فيه مع أيمن ويتناقش معه بالأمر ليردد أيمن ضاحكًا : تلك الحالة التى اخترتها تبدو لي كما لو كانت تحتاج إلى عيشة المغربية لفك السحر وليس طبيباً نفسياً.

ابتسم أحمد لدعابة صديقه قبل أن تتلاشى ابتسامته تدريجيًّا وهو يفكر عاقدًا حاجبيه: لقد أخبرته ندى من قبل أنها تشك بأن هناك شيئًا شريرًا يحدث لها وأنها ليست مريضة، إذ أقنع نفسه للحظات أن ما يحدث لها لا يبدو منطقيًا فعلاً، فهل من الممكن أن يكون هناك سبب غير منطقي أيضًا ولا يمكن للعلم أن يكتشفه لأن العلم ببساطة لا يعترف به؟!!!!!

***

بتلك الفترة لم يقتصر عالَم أحمد على ندى فقط! لقد دخلت ليلى إلى عالمه بخفة وسرعة لم يكن يتخيلها! لقد اعتقد أن الأمر سيكون أكثر تعقيدًا لاجتذاب ليلى ومحاولة التقرب منها لاقتناعه أن ذلك سيجعله يعرف المزيد عن حياة ندى مما قد يساعدة في فك لغز حالتها، ولكنه فوجئ أن ليلى على الرغم من محافظتها على الارستقراطية في هيئتها وطريقتها إلَّا أن حقيقتها بسيطة جدًا!

وكانت بدورها تريد التقرب إلى أحمد أكثر مما سهل عليه الأمر وجعله يشعر بغرور داخلي غصب عنه! فتلك الرائعة تريد أن تكون صديقة له، ليس ذلك فقط بل وسحبته إلى عالمها أيضًا! ذلك العالم المبهج الذي لم يعتاده من قبل! أماكن فخمة ومسابقات سيارات فارهة وعالم لا يحمل همًا للغد مليئًا بالضحك والمتعة.

كانت ليلى مثال الأنثى كاملة الأنوثه التى يحلم بها أى شاب خاصة لو مثل أحمد، ولكنه لم ينسى مهمتة الأساسية ولم ينسَ للحظة

مسؤوليته تجاه حالة ندى، كان دائمًا يذكر نفسه حتى لا ينجرف بمشاعر قد توقعه بمحيط عميق يصعب الخروج منه!

كان يخبر ليلى بتطورات حالة ندى أول بأول في حماس وكانت تقابل حماسه بابتسامة شاردة، وهي تحاول أن تظهر الحماس بدورها، كان يشعر أن هناك شيئًا ما ينقص تلك الابتسامة التي ترتسم على شفاها بكل مرة يأتي فيها بذكر تقدم حالة ندى! شئ مثل الحرارة والصدق!! ولكن سرعان ما كان يقنع نفسه أن دراسته للطب النفسي جعلته متشككًا ودقيقًا أكثر من اللازم فى استقبال مشاعر الآخرين وتحليلها، فبالرغم من كل شئ هنَّ بالأخر إخوات ولا بد أنها سعيدة من أجلها !!!

- هل لي بطلب منك يا أحمد ؟ تساءلت ليلى بتلك الليلة وقد مرّ على علاقتهم ما يقرب من أسبوعين.

- بالتأكيد. نطقها أحمد باسمًا

- لا أريدك أن تخبر ندى عن صداقتنا .. أنا وأنت.

- لكي ما تريدين ولكن.. هل لي أن أسأل لماذا؟

- أعتقد أن ذلك سيكون أفضل، أنت تعلم العلاقة بيننا ليست على ما يرام وربما إذا علمت تعتقد أنني فعلت ذلك كي أضايقها ويسوء الأمر بيننا فى الوقت الذي نحاول فيه النجاح فى علاجها وتحسن الأمور.

كان كلامها يبدو منطقيًا بالنسبة له، على كل حال لم يفكر بأن يخبر ندى بأي شئ عن علاقتة بليلى بالرغم من أخباره لليلى بكل ما يدور مع ندى! لسبب ما لم يجرؤ على فعل المثل مع ندى، ربما لأن نظرة ندى إليه بذلك اليوم الذى زارتها به ليلى لم تعطه الفرصة للتظاهر بأن الأمور على ما يرام وإن ما يحدث شئ عادي يمكنها أن تتقبله ولأنه أيضًا لم يرغب فى أن تتأخر حالتها بعد أن وصلا لذلك الحد، فهو ينتظر عودة د.هادي بفارغ الصبر، لقد أصبح متأكدًا الآن بنسبة تسعين بالمئة أن ما تمر به ندى لا يمت بصلة لمتلازمة «كوتار» كما شخصها د.خالد، لا يعلم ما هي حالتها على وجه الدقة ولكن نظرية التشخيص الأول أصبحت نسبتها صفر !!!

أمَّا تلك الفكرة المجنونة التى وائته فلا يمكنة الإفصاح عنها لدكتور هادي وإلّا سيعتبره قد فقد عقله!

***

كان أحمد كعادته بالحديقه مع ندى، ولكن تلك المرة كانا يقفان تحت إحدى الأشجار العملاقة بالحديقة، كانت شجرة تفاح ضخمة من تلك الأشجار التى كانت تقوم المستشفى بزراعتها كي تستثمر تلك الحديقة الكبيرة فى بعض الزراعة التى تستفيد منها فى إطعام المرضى*

***معلومة حقيقية**

***

قفز أحمد ليجلب إحدى التفاحات الناضجة، ولكنه انزلق دون أن يمسك بها، ضحكت ندى وهي تراقبه بنظرة يملؤها الإعجاب، كان أحمد متوسط الطول ذو بشرة خمرية وعينان سوداوتان يلمع داخلهما الذكاء والإصرار، له جسد رياضي تظهره ملابسه البسيطة المكوَّنة دائمًا من الجينز والتيشرت أو قميص خفيف.

حاول مرة أخرى وهي تراقبه بابتسامة طفولية واسعة حتى استطاع الإمساك بواحدة فأخذها منتصرًا : لم تكن لتفلت مني. قالها مبتسمًا وهو يدعكها ببنطاله لينظفها قبل أن يهديها لندى.

نظرت لها ندى لثواني وهى فى يده قبل أن تمد يدها لتأخذها وهي ترفع عيناها لتقابل عيناه الباسمة وتتلامس يديهما لتشعر بدقات قلبها الغير منتظمة تخبرها أن وجود أحمد بحياتها أصبح أكبر من الدور الذى من المفترض أن يكون متواجدًا لأجله!!

أخذت قضمة من التفاحه بيدها قبل أن تعيدها إليه ليأكل منها، أخذها ببساطة مبتسمًا وقضم خلفها : لماذا لا نجلس ؟؟ قالها وهو يجلس بخفة على الأرض تحت الشجرة، اقتربت ندى بتردد لتجلس بجانبه بعد أن مد يده إليها ليساعدها ..

- المكان جميل هنا، يساعد على الاسترخاء. قالها أحمد وهو ينظر حوله على الحديقة التى تم زرعها بعناية.

- تنهدت ندى قائلة : هل تعلم؟ أحيانًا كثيرة وأنا معك أنسى أني محبوسة داخل أسوار تلك المستشفى.

- ولكنك لست حبيسة هنا. قالها أحمد وهو يلتفت إليها، نظرت بعيدًا دون أن تجيب فكان لديه فرصة كي يتمعن بها، إنها تملك جمالاً ملائكيًا يشعره أنه يريد احتوائها ومسح ذلك الحزن عن وجهها البرئ، أحيانًا وهو مع ليلى يحاول أن يتخيل ندى بذلك العالم الخارجي، ولكنها دائمًا تظهر بخياله فى نفس الصورة الطفولية كما لو كان عقله يلفظها خارج عالم ليلى الصاخب .

نظرت له فجأة وعيناها دامعتان : هل تصدقنى حقًا ؟؟ كان سؤالها مفاجئ له، فكر للحظات: إذا لم أكن أصدقك فلماذا تعتقدين أنني مازلت أحضر لرؤيتك ؟؟

- ظلت تنظر له دون إجابه فتحرك بجسده ليواجهها قائلاً : أتريدين رؤية خدعة ؟؟

- خدعة ؟!! تساءلت غير فاهمة.

- انظرى إلى التفاحة بيدى جيدًا، حرك يده بخفة لتختفي من يده فجأة دون أن تدري ماذا فعل ! أخذت تنظر حولها، ولكنها لم تجد شيئًا.

- أين ذهبت ؟؟ تساءلت بتعجب وعيناها تتسع في براءة طفولية.

- اتسعت ابتسامته وهو يضع يده بجانب رأسها كساحر الأطفال قائلاً : ها هي ..

ولكن خصله من شعرها اشتبكت مع ساعة يده ليعجز عن إبعاد يده عنها !!

- شعري .. قالتها بألم هي تميل برأسها فى اتجاه يده.

- آسف، انتظري .. اضطر للاقتراب منها قليلاً ليحاول فك الخصلة عن ساعتة، أخذ النسيم فى التلاعب بخصلاتها لتصعب عليه الأمر، اقترب أكثر حتى أصبح وجهه قريبًا لوجهها تمامًا، ولكنه كان منهمكًا في تحرير خصلة شعرها في حين سرحت ندى بملامح وجهه عن قرب ودقات قلبها فى تزايد، فجأة رمقها بنظرة سريعة وأبعد نظره ثم عاود النظر لها مجددًا وقد انتبه لتلك النظرة بعينيها ، كان شعرها يغطى على وجهها بفعل الهواء، أخرج يده من خلفها ببطء بعد أن نجح فى فك خصلة شعرها ولكنه لم يبتعد، حرَّك يده ليبعد تلك الخصلات الثائرة عن وجهها وقد تلاقت أعينهم فى نظرة مليئة بالدفء.

- ندى ... !! جاء النداء حادًا ليجفلا معًا وينظرا بجانبهم ليجدا ليلى تقف هناك يتطاير الشرر من عيناها وخلفها بخطوة يقف د.خالد عاقدًا حاجبيه .

احمرت أذنا أحمد وشعر بالارتباك كالطفل الذي قُبض عليه متلبسًا بسرقة الحلوى، وقف ومد يده ليساعد ندى على الوقوف والتى احمرت وجنتاها بدورها.

- أليس من المفترض أن تكون الممرضة ملازمة لهما ؟؟ تساءلت ليلى بغضب مكتوم وهى توجه كلامها إلى د.خالد دون أن ترفع نظرها عنهما، ضاقت عيناه مثبت نظرة عليهما بدوره قائلاً : ستجازى لذلك الإهمال، يبدو أن هناك الكثير من الفوضى قد حدثت بغيابي.

- لقد طلبت منها إحدى الممرضات المساعدة مع مريض ما أصابته حاله هستيرية فجأة وكانت هى الأقرب لها. قالها أحمد مدافعًا.

- من الممكن أن يحدث الكثير أثناء تلك المساعدة. قالتها ليلى بتهكم وهى تثبت نظرها عليه .

- ما الذى جاء بك مجددًا يا ليلى ؟؟ تساءلت ندى بغضب مكتوم.

- لقد جئت لأجلك يا عزيزتى، أخبرتك من قبل أننى لن أتركك، هل نسيتي أن غدًا عيد ميلادي؟ لقد جئت كي أستخرج لكي تصريحًا من د.خالد حتى نحتفل معًا.

- نحتفل معًا!! رددتها ندى خلفها بشك.

- بالتأكيد ، ماما تريد رؤيتك، لقد اشتاقت لكي كثيرًا، ألم تشتاقي لها ؟ وجدت انها ستكون فرصة جيدة كي نجتمع معًا مجددًا، خاصة

أن د.أحمد قد أكد لي أن حالتك قد تحسّنت كثيرًا. كانا يقفا بمواجهة بعضهما كلا منهنَّ تحدق بعيون الأخرى، كان أحمد يقف خلف ندى لذلك لم يرى عندما ضاقت عيناها محدقة بأختها في حقد وشك قبل أن تبتسم فجأة ببطء قائلة: لقد تحسّنت بالفعل وبدأت في استعادة نفسي.

- ربما ليست فكرة صائبة الآن. قالها د.خالد مقاطعًا حديثهما وهو يراقب ندى باهتمام!

نظرت ندى لاحمد كما لو كانت تريد تدخله فابتسم لها مطمئنا قبل أن يواجه د.خالد قائلاً: اسمحلي يا د.خالد لقد كنت أتواصل مع د.هادي بالفترة الماضية وأخبرته بتطورات حالة ندى ولقد أعطاني صلاحية المشاركة فى علاجها وأعتقد أن حالة «كوتار» من أعراضها بعد المريض وانفصاله عن العالم الخارجي!* ولكن ندى ليست كذلك وذهابها للحفل وتعاملها مع الناس قد يساعد كثيرًا فى حالتها والتأكد من أنها ليست متوافقة مع تلك المتلازمة، وبالتالي سنبدأ من جديد في محاولة لتشخيص حالتها وتقديم المساعدة بالشكل الصحيح.

عقد د.خالد يده خلف ظهره محدقًا بأحمد في صمت قبل أن يشير لإلهام التى كانت تقف على مقربة منه قائلاً: حضري ندى لجلسة الكهرباء.

تراجعت ندى خطوتان بخوف ليهتف أحمد محاولاً السيطرة على مشاعره: لم يعد هناك ضرورة لتلك الجلسات، لقد استطعت بالفترة الماضية أن أثبت أنها تتحسن أفضل دونها.

تقدَّمت إلهام دون أن تعير اعتراض أحمد اهتمامًا ونظرت لها ندى بشراسة، ولكن د.خالد أوقفها بإشارة من يده قائلاً ببرود: إما أن تخضع للعلاج الذى وضعته لها أو لن أصرح بأي خروج.

شعر أحمد بالغيظ الشديد، ولكن قبل أن يجيبه تفاجأ بندى تتحدث ولأول مرة منذ أن رآها يرى تلك القوة والثقة بصوتها : لن أخضع للجلسة ولا أريد التصريح، وقريبًا جدًا سأكون خارج تلك الأسوار وأنتم داخلها.

عقد د.خالد حاجباه محدقا بها في حين وقف أحمد صامتًا، ولكنه لا ينكر أنه سعيد بها كالمعلم الذي يجتهد مع تلميذ خائب، ثم يجده قد أصبح متميزًا بجدارة، شعر بالفخر، وشعر بالإعجاب!

تبادلت ليلى النظرات مع د.خالد بتوتر قبل أن توجه حديثها إليه: من فضلك يا د. خالد اكتب لنا التصريح.

نظر لها مندهشًا : ولكن ...

- من فضلك يا د. خالد، لقد تناقشت مع والدتي واتخذنا القرار معًا وأعتقد أن اتخاذ القرار يخصنا وحدنا. قالتها بتلك الطريقة الحادة ليوجه لها د.خالد نظرة غاضبة دون أن يجيب.

نظرت ليلى لندى التى ابتسمت في رضى قبل أن تصل هدى بخطوات سريعة وهي مرتبكة محدثة د.خالد محاولة الدفاع عن نفسها:

أنا أسفة يا دكتور لقد ..... أخذت تحكي ما دار وتثرثر مدافعة عن نفسها في حين التفتت ندى إلى أحمد متساءلة بصوت خافت: هل ستأتي ؟

- بالطبع . قالها مطمئناً قبل أن ينظر لليلى التى كانت تراقبهما بنظرات جامدة!

اقتربت هدى بخطوات واسعة لتقف بجانب ندى وهى تلهث بعد أن أنهت ثرثرتها.

- لا تتركي ندى مجددًا لأي سبب من الأسباب. قالتها ليلى آمرة إيّاها متعدية سلطة د.خالد الذى بدا على وجهه الضيق .

- خذى ندى الآن إلى حجرتها لترتاح واجهزي فربما تذهبي معها غدًا للمنزل. أكمل د.خالد

- للمنزل ؟؟ تساءلت هدى بذهول

- غدًا عيد ميلاد ليلى. قالها أحمد مفسرًا

- بل ستذهب غدا إلى المنزل. قالتها ليلى بتحدي أثار اندهاش أحمد، وما أثار اندهاشه أكثر عدم تعقيب د.خالد على كلامها أو الأسلوب الذي تستخدمه!

أمَّا ندى فكان عقلها يعمل في اتجاه آخر غير مبالية بكل ما يحدث، فقد استوقفها طريقة أحمد التبسطية في ذكر ليلى والتى تختلف عن تلك

المرة الأولى التى رآها بها! فهو لم يقل كلمة « آنسة» !! ولم ينتبه أحمد لذلك فى حين ضاقت عيناها بتفكير دون تعقيب! في حين نظرت له هدى ممتنة لتوضيحه لها قبل أن تمسك بذراع ندى بلطف ليتحركا، توقفت ندى ونظرت إلى أحمد قائلة بصوت هامس: لا تتأخرغدًا، فأنا أشعر بالغربة من دونك. حرَّك أحمد رأسه مطمئنًا إيَّاها لتبتسم له وتسير مبتعدة مع هدى.

-التفت إلى ليلى ود.خالد الذى تحرّك بدوره متأهبًا للذهاب.

- د.خالد .. قالها أحمد وهو يتحرك مقتربًا منه فى توقف خالد والتفت إليه : البقاء لله، لم تتسنى لي الفرصة لعزاءك.

- حرَّك د.خالد رأسه ببطء وهو ينظر له : أشكرك. أجابه ببرود

- إنه قرار صائب أن نجعل ندى تختلط بالعالم الواقعي لنختبر ما وصلت إليه من تقدم .

حرَّك د.خالد رأسه قبل أن يرمق ليلى بنظرة سريعة قائلاً ببرود : سنرى. قبل أن يلتفت مبتعدًا.

- هل نذهب الآن ؟؟ قالتها ليلى متساءلة.

- بالطبع .. أجابها وهو ينظر لها منتظراً أى كلام آخر، ولكنها سارت بجانبه دون كلمة!

- أتوقع أن يساهم الغد في تطور العلاج لندى وإثبات أن حالتها ليست كما تم تشخيصها من قبل، وبالتالي سنستطيع البحث ووضع يدنا على التشخيص الصحيح ومعالجتها كما يجب .

- أتمنى ذلك. أجابته باقتضاب.

- يبدو أن لكي تأثير قوي على د.خالد، فمنذ أن تعرفت عليه لم أجده بذلك الخضوع دون مجادلة ! خاصة فيما يخص حالة ندى .

- إلى ماذا ترمي ؟ توقفت عن السير فجأة وهي تنظر له

- لم أقصد شيئاً، لقد لفت الأمر نظري ليس أكثر.

- ظلت ليلى صامته حتى وصلا لسيارتها توقف أحمد لتنظر له متساءلة ببرود : هل ستأتي لأوصلك ؟؟

- هل أنتى غاضبة ؟؟

- لماذا ؟؟ هل فعلت شيئًا يغضبني ؟؟ سألته بنفس البرود.

هممممم .. فكر أحمد، طالما بدأت بذلك السؤال التاريخي للمرأة، فهي غاضبة فعلاً!!

- هل سؤالي أزعجك؟؟ تساءل باهتمام.

- هل هذا ما تعتقد حقا!! إلَّا يوجد سبب آخر! كمثلاً أن أحضر فجأة لزيارة أختي المريضة فأجدك جالسًا معها فى وضع غريب كعاشقان يتنزهان وليس طبيب ومريضته !! قالتها بتهكم.

- هل تشكين فى نيتي تجاه ندى؟؟ هل تعتقدين أني من الممكن أن أستغل مرضها لأهداف أخرى؟؟

- لم أقل ذلك. قالتها بضيق وهي تشعر بذلك الغضب التصاعدي بنبرة صوته مما يدل على ثورة قادمة بالطريق.

- أنا فقط ... لم أحب ما رأيت!

- أخذ نفسًا عميقًا محاولاً السيطرة على أعصابه شارحًا: اقترابي من ندى هامًا فى تلك المرحلة، ثقتها بي وإحساسها بالتبسط فى علاقتنا هو الذى ساعد فى تحسن حالتها .

- أو ربما هذا ما تحاول أن تقنعك به !

- لا أفهم حقًا كيف تتحدثين عنها بتلك الطريقة؟! ومنذ دقائق كنتي تدافعين بشراسة لتنال تصريح لتشاركك الاحتفال بيوم ميلادك! كيف تحاولين مساعدتي كي أثبت أنها تحسنت بالفعل وأنت لا تثقين بنواياها ؟

- ربما لا أريد إثبات أنها تحسنت ! ربما أريد الإثبات لك أنها مريضة بالفعل ولا يجب إخراجها من هنا ... أبدًا . قالتها مندفعة بعصبية.

- لا أصدق أنك تقولين هذا حقا! هل كنتي تتظاهرين بأنك تصدقيني وأنك متحمسة لمساعدتها؟ حرّك رأسه باستياء قبل أن يتحرك

مبتعدًا بغضب، أسرعت خلفه بخطوات واسعة لتلحق به وتتشبث بذراعه قائلة بتوسل : أحمد ... أنا لا أعلم حقًا ما الذى من المفترض أن أصدقه ! أريد تصديق ذلك حقًا، ولكن الأمر أعقد مما تتخيل، لقد آذتني ندى كثيرًا وتخطى الأمر ليس بتلك السهولة! أنا أحتاج إليك ليس كطبيب بل كصديق، هل يمكنك ذلك ؟ أرجوك.

ابتلع لعابه مفكرًا قبل أن يتنهد ناظرًا لها بتردد، للمرة الأولى يشعر بضعف تلك الجميلة القاسية، لا يستطيع الإنكار أنه يريد ذلك بداخله وأنه يشعر بالغرور أحيانًا بأنها اختارته دونًا عن كل من بعالمها والذي رآهم وتعامل معهم بنفسه ويعلم مدى قوتهم فى مواجهة شاب مثله! ومع ذلك لقد أرضت غروره وجعلته الرابح.

- ليس لديَّ مانع ولكن بشرط .

تعلقت نظراتها به راضخة قبل أن يبتسم مكملاً : أن تقومين بإيصالي وترحميني من المواصلات .

ابتسمت وقد تبسطت معالم وجهها الجميل قبل أن تقول بمرح مفاجيء: ما رأيك بدعوة لتناول الغذاء؟؟

- هل أعتبر هذا مصالحة ؟ تساءل مداعبًا رافعًا حاجباه.

- فليكن كذلك. قالتها مبتسمة وهى تضغط على مفتاح السيارة لتنفتح الأقفال وتدلف بحركة رشيقة.

دخل أحمد بجانبها لتداعبه رائحة عطرها الأخّاذ الذي يملأ هواء السيارة.

تحرَّكت بالسيارة وسرح أحمد خارج النافذة وكلمات ليلى تداعب عقله، يبدو أنه قد تورط بمشاعره في تلك الحالة! لا يستطيع أن ينكر أن ندى قد سحرته برقتها وضعفها، ولا يستطيع أن ينكر أيضًا انجذابه لليلى بقوتها وصخبها!

نظرت ليلى إليه دون أن ينتبه لها وهي تراقب أشعة الشمس التي تنعكس على عضلات ذراعه الذى يسندها على نافذة السيارة وتمنت لو تحاوطها تلك الأذرع وتعتصرها بعنف، ثم نظرت لبشرته الخمرية اللامعة وشعره الأسود الكثيف وهى تشعر برغبتها به تتصاعد قبل أن تنتبه للطريق فجأة عندما أيقظها نفير سيارة مجاورة.

انتبه أحمد بدوره ونظر لها متسائلاً، ولكنها سألته بصوت ناعم : بماذا تفكر؟

- بالطعام . قالها ضاحكًا وقد أحمرت أذناه، قبل أن يعتدل مكملاً بمرح : سأترك الاختيار لكي حتى لا تفكري أنى أستغلك، ولكن لا تستغلين طيبتي لينتهى بنا الأمر فى مطعم فول. قالها مداعبًا.

- ضحكت بأنوثة قبل أن تجيبه : استغلالك لي سيسعدنى .

- ابتسم أحمد دون أن يجيب وقد سرح بملامحها، فى حين رمقته مجددًا بنصف ابتسامة قبل أن تثبت نظرها على الطريق مفكرة: هي تعلم

أنها لم تعرفه جيدًا، ولكن مشاعرها نحوه تسابق زمن معرفتهم! تشعر أنه الشخص الذي يستطيع تعويضها كي تنعم بين ذراعية بالأمان، ولكن ماذا عن ندى؟، يجب أن تبعده عنها بأي وسيلة، لن تسمح لها بأن تشبك حبالها حوله وتؤثر عليه، لن تسمح لها بأن تقف بطريق سعادتها مجددًا!!

***

- ما الذي تحاولين فعله ؟ تساءلت منار بغضب موجهة حديثها إلى ليلى التى كانت تجلس بحجرتها تدون شيئًا ما بمفكرتها فى انهماك !

أقفلت ليلى المذكرة الصغيرة التي بيدها ونظرت لوالدتها في برود : لقد تحدث د. خالد إليك إذا .

- متى كنت ستخبريني بما تخططين له ؟ أم كنتي تنوين مفاجأتي!!

- لقد كنتي تفاجئيني بقراراتك دائمًا فلماذا لا تتركيني لأفاجئك مرة واحدة ؟

- توقفي عن التحدث معي بتلك الطريقة، أنا والدتك .

- حقًا ؟ لم أكن أعلم أن كلمة والدة موجودة بقاموس حياتك! أجابتها بتهكم.

- لن أسمح بحضور ندى هنا غدًا. قالتها وهي تضغط على حروفها بغضب

- بل ستحضر الحفل، وسأثبت لأحمد أنها ليست على ما يرام ونغلق تلك القصة للأبد.

- أنت تخاطرين بقدومها إلى هنا، ثم ما قصتك مع ذلك الطبيب؟ لقد أصبح الأمر بالنسبة لكي شخصي حتى أنك أصبحتي تتخذي قرارات غير مدروسة، قد تجعلنا نخسر كل شيء!

- أنا أعلم جيدًا ماذا أفعل .

- أنتي لا تعلمين مع ماذا تتعاملين، قد تعرضينا جميعًا للخطر، لقد أخبرني خالد أن ندى توقفت عن الخضوع لجلسات الكهرباء، هل تعلمي ما الذي يعنية ذلك؟ انك تعرضينا جميعا للخطر ... تعرضين نفسك للخطر . نطقت جملتها الأخيرة بحنان.

- لا تحاولين تمثيل دور الأم الآن . قالتها بقسوة قبل أن تكمل بإصرار : لقد اتخذت قراري ولن أتراجع به، لقد حسبت لكل شيء لا تقلقي، ما سيحدث تلك الليلة سيثبت للجميع أن ندى مريضة ولا يجب خروجها من المستشفى، أليس هذا ما تريدينه؟

- لقد طلبت من خالد ألا يصرح بخروجها. قالتها بحسم.

- إذا فعل ذلك، أقسم لكي أني سأتصل بدكتور هادي بنفسي وأخبره بما يفعله د.خالد من خلف ظهره. قالتها بتحدي.

- د.خالد يساعدنا، لا أصدق، لقد جننتي بالكامل!! قالتها بغضب

- إذا... لماذا لا تضعيني بالمصحة مع ندى؟ أو إعادتي للخارج لأقضي المتبقى من عمري بعيدًا عنك؟!

حركت رأسها باستياء دون أن تجيبها قبل أن تخرج من الحجرة مغلقة الباب خلفها بعنف.

جلست ليلى خلف مكتبها مجددًا وفتحت المذكرة التي أمامها ممسكة بالقلم وهي تدون : لن أسمح لها بأن تفصلني عن حياتي مجددًا، ربما تعلقي بأحمد هو بالأساس تعلقي بهويتي واختياري الذي طالما حرمت منه، ربما لأني وجدت الأمان في شخصه الذي حاول حماية ندى والإيمان بها ، ربما أحتاج ذلك أيضًا! ولن أتوارى عن هدفي لتحقيقه مهما كانت العواقب.

***

وقف أحمد أمام المرآه ينظر لنفسه برضى بعد أن اقترض بذلة كلاسيكية من شقيق أيمن صديقه الذي يماثله في الهيئة على عكس أيمن.

كان يشعر بالتوتر من تلك الليلة، ولكنه يعلم أنه عليه الذهاب حيث لا يستطيع أن يخلف وعده لندى .. لكلاهما!

كان أيمن قد أقرضه سيارته ليذهب بها بالرغم من أن أحمد لا يحب ذلك، ولكن أيمن أصر عليه وقد رضخ لإصرار صديقه على كل حال.

عدل من بذلته وتخلل شعره بيده راضيًا قبل أن يتحرك متوجهًا إلى الحفل.

***

عندما وصل أحمد إلى الفيلا كان يبدو الاحتفال صاخبًا، أضواء وسيارات فارهة، لم يتوقع أن يكون حفلاً ضخمًا كهذا مما زاده توترًا.

وجد مكانًا صغيرًا وسط تلك السيارات لركن سيارة صديقه التى بدت كالعذراء وسط المحنكين!

دخل من الباب المفتوح للجميع ليجد عالمًا من النساء والرجال وموسيقى عالية..

كان هناك بعضًا من الأصدقاء الذي كان قد تعرف عليهم الفترة الماضية من خلال ليلى وقد رحبو به فشعر بالامتنان لتواجدهم وإنقاذه من ذلك الإحراج الذى يشعر به.

ظهرت ليلى فجأة بابتسامتها المميزة ورداءها الأحمر القاني الذى يبرز أنوثتها والذى يتناسب مع أحمر الشفاه ليزيدها تألقًا وإثارة.

لم يستطع إبعاد عيناه عنها حتى اقتربت منه ورحبت به فى نعومة ورائحة عطرها تغرقه فى بحور من الإثارة!

- كنت أخشى ألَّا تأتي.

- لا أكذب عليكي، لقد فكرت ولكنى لم أستطع.

- لماذا ؟؟ تساءلت بدلال.

- لم أكن لأخلف بوعدي لكي أو لندى . أجاب ببساطة.

لم تكن تلك هي الإجابة التي تنتظرها منه لذلك اهتزت ابتسامتها، ولكنها حافظت على رباطة جأشها مرددة بتهكم : اااه.. ندى ، بالطبع.

شعر أن إجابته سبَّبت لها نوع من الإحباط لذلك حاول استدراك ذلك مكملاً بلطف : بالطبع لم أكن لأفوت مشاركتي في الاحتفال بيوم ميلادك. أضاف مبتسماً.

ثبتت عيناها بعينه قائلة برقة : أنا سعيدة باحتفالي معك بأول عيد ميلاد حقيقي أحظو به منذ فترة طويلة.

- ماذا تعنين بحقيقي ؟ تساءل باستغراب.

- لم يكن مسموحًا لي بالاحتفال في المنزل بوجود ندى بعد.. بعد ما حدث، كما تعلم، لذلك كانت أمي وأبي يحضرون للاحتفال بي هم، كنت أكره ذلك اليوم لأني كنت أشعر أنه مزيف، يتظاهرون بالسعادة وأن كل شيء على مايرام ولكن تلك لم تكن الحقيقة، فكل شيء لم يكن على مايرام، كنت أفتقد أختي، أفتقد أبي، أفتقد

الدفء، أفتقد المنزل .... لذلك كنت أشعر بالوحدة دائمًا ذلك اليوم بالذات أكثر من كل الأيام التي كنت بها دونهم.

- آسف لكي حقًا، أنت بالمنزل الآن، وهذا سيعيد لكي الأمان مجددًا وإن شاء الله سيتم أصلاح كل شيء ليعود كما كان عليه أو أفضل. قالها بلطف

- ما يشعرني بالأمان حقًا هو وجود شخص مثلك بحياتي، لا شيء يمكنه أن يعيد ما مضي، لا شيء يحيي الموتى، ولكن يمكن بناء حياة جديدة أفضل وهذا ما أريده فعلا، أريد بناء حياة لا تمت للماضي بصلة من قريب أو بعيد.

بدأت الموسيقى الكلاسيكية فمالت تجاهه برقة: ما رأيك أن ننسى كل هذا الآن ونبدأ فى الاستمتاع؟

ابتسم ناظرًا لوجهها المثير، مدت يدها إليه، ولكن فجأة ظهرت والدتها ومعها د.خالد الذي بدى وسيمًا بتلك البذلة الفاخرة، لتلتفت إليهم موجهة الحديث إلى والدتها : هل تتذكرين أحمد من المستشفى؟

- أها ، بالتأكيد. قالتها وهى تمد يدها لمصافحته بابتسامة باردة.

- سعيد بمقابلتك مجددًا سيدة منار. قالها بأدب قبل أن يمد يده ليصافح د.خالد بدوره مرحبًا.

- جميل إصرارك على الاهتمام بابنتي.

- إن ليلى صديقه جميلة، أنا سعيد بمعرفتي بها. قالها مبتسمًا لليلى التي بادلته الابتسام ممتنه في حين أجابته منار بخبث: أوه، لقد كنت أقصد ندى، لم أكن أعلم أنك تهتم لليلى أيضًا، من المثير أن تكون مهتمًا بالأختين.

- بمناسبة الحديث عن ندى، أين هي ؟ قالها محاولاً إخفاء شعوره بالإحراج وقد احمرت أذناه.

- لقد جئت مع د.خالد منذ قليل وصعدت لتحضر نفسها للحفل ومعها تلك الممرضة هدى. قالتها ليلى وهي ترمق والدتها بنظرة مؤنبة في حين شعر أحمد بتوتر منار واختلاجٍ ملامحها عند ذكر ندى، يبدو أنها لم تقابلها عندما وصلت ويبدو أيضًا أنها تخشى تلك اللحظة! يكاد أن يجزم كطبيب نفسي أن تلك العائلة بأكملها تحتاج للمساعدة الطبية بما فيها والدهم المُتوفي!!

لاحظ نظرة د.خالد المهتمة لمنار، يبدو أن هذا الرجل يكن لها مشاعر حقيقية بالرغم من فارق السن بينهما!!

- أستمحيكم عذرًا، لقد كنت على وشك قبول دعوة أحمد للرقصة الأولى قبل مقاطعتكم لنا. قالتها مبتسمة بتهذيب مصطنع وهي تمسك بيده فى حركة مفاجأة أشعرته بالإحراج.

ضاقت عين منار وهي ترمق ليلى بغضب مكتوم قبل أن يقاطع التوتر د.خالد مشيرًا بيده في كياسة : بالطبع ، خذا راحتكما.

تحرّكت ليلى جاذبة أحمد معها بلطف قبل أن تستوقفهما منار فجأة : د.أحمد

توقف وهو يلتفت لها بخجل لتكمل قائلة : أرجو أن تقابلني بالمكتب، أريد أن أتحدث معك قليلاً... ثم نظرت لليلى.

مكملة : بعد الانتهاء من رقصتكم بالطبع .

- بالتأكيد . قالها أحمد وليلى تجذبه مبتعدة فى حين وقفت منار ود.خالد يتناولون أطراف الحديث وهم يراقبونهم!

- هل تعرف كيف ترقص؟ تساءلت وهي تقف قريبة منه بشكل أربكه.

- الحقيقة، ليس تمامًا. قالها خجلاً.

اتسعت ابتسامتها وهي تقترب أكثر وقد أمسكت بيده اليسرى فى رقة لتضعها على خصرها ثم انسابت يدها الأخرى بين يده اليمنى قبل أن تتحرك ببطء ليجاريها فى حركتها برشاقة وقد امتلأ صدره برائحة عطرها .

ولكن سعادتها باحتوائه لها بين ذراعيه لم تستمر سوى لدقائق معدودة قبل أن ينتبها لهمهمة الحاضرين حولهم وتعلق نظر أحمد لرأس السلم حيث تقف ندى .

جميلة كما لم يعتادها من قبل! ترتدي رداءً أبيض بسيط، ولكنه يزيدها رقة وتألقًا، تتوج شعرها بطوق من الفل الأبيض فبدت كأميرات الإغريق!

تحركت مثبتة نظرها على أحمد الذي تحرك تلقائيًّا مفلتا ليلى التى تلاحقت نظراتها بينهم بألم وحقد.

قطعت منار المسافة بينهما ليتوقف أحمد مبتعدًا ويكتفي بمشاهدة ذلك الموقف، كان يهمه كثيرًا رؤية تلك المواجهة.

وقفا لدقيقة ينظران إلى بعضهما وقد ساد الصمت تمامًا فى حين وقفت هدى خلف ندى تمامًا ووقف د.خالد على مقربة من منار.

- أهلا بكي يا عزيزتي. قالتها منار بصوت مرتعش.

اقتربت منها ندى ببطء قبل أن تندفع فجأة لتحتضنها بحرارة وقد سالت دموعها : أمي ... لقد افتقدتك كثيرًا.

يبدو أن منار قد تفاجأت تمامًا برد فعل ندى فرفعت يدها بتردد لتضمها إليها، اندهش أحمد من ذلك اللقاء الحار فعلى الرغم من حديث ندى عن والدتها وبعدهم عم بعضهم إلَّا أن ما يراه الآن يدل على حبها لها بالرغم من قسوتها!

- أريد العودة إلى المنزل. قالتها ندى هامسة بأذن والدتها.

- أتمنى ذلك مثلك تمامًا يا حبيبتي. قالتها منار وهي تربت على رأسها بحنان.

ابتعدت ندى عنها قليلاً لتنظر فى عيناها قائلة همسًا بغضب مفاجيء وقد دمعت عيناها وهي تضغط على حروفها : لا أهتم لأمنياتك اللعينة، أريد العودة لمنزلي.

اقترب د.خالد ليلامس كتف منار التى أخذت خطوة إلى الخلف مبتعدة فى حين ألقت ندى عليهم نظرة حادة عابرة قبل أن تتحرك مبتعدة باتجاه أحمد الذى ابتسم في استقبالها وهو يشعر بتوتر الموقف!

وقفت ليلى تراقب ما يحدث قبل أن تتراجع مختفية بين الحضور دون أن يلاحظها أحد.

- تبدين جميلة. قالها أحمد لندى التى احمرت وجنتاها خجلا وبادلته الابتسام بوجه مشرق.

بدأ الحضور فى الانشغال بأنفسهم مجددًا ما عدا القلة هنا وهناك، عادت الأجواء إلى طبيعتها كما عادت الموسيقى تعلوا ثانيًا بالأنغام الراقصة، نظرت ندى حولها قبل أن تسألة: هل يمكننا أن نخرج سويًّا للحديقة بعيدًا عن تلك الضوضاء؟

- كنت أحاول التفكير في وسيلة للهروب. أجابها ضاحكًا.

- د.أحمد. قاطعهم إحدى الخدم : السيدة منار تنتظرك بالمكتب.

تذكر عندما طلبت منه أن يقابلها بالمكتب بعد رقصتة مع ليلى.

- بالطبع. أشار له بأنه سيسبقه قبل أن يلتفت إلى ندى التى نظرت له متسائلة باهتمام: ماذا هناك؟

- لا شيء، حاولي أن تهدئي قليلاً وتوقفي عن التوتر، استمتعى بوقتك، وسأعود إليكي بعد قليل.

- تشبثت بيده فتوقف وربت على يدها مطمئنًا إيّاها قبل أن يتركها متجهًا إلى حجرة المكتب.

حاوطتها هدى من كتفاها فى حين وقفت ليلى بذلك الركن بعيدًا تراقبها بنظرات غامضة!!

***

دق أحمد باب المكتب قبل أن يدلف إلى الداخل ليجد منار جالسة بانتظاره على مقعد وثير بجانب مدفأة على الطراز الكلاسيكي بعيدًا عن المكتب الضخم الذي يقبع بالحجرة والذي يبدو أنه كان يخص والد ندى.

- تفضل يا د. أحمد.

دخل أحمد مقفلاً الباب خلفه قبل أن يتقدم ليجلس بالمقعد المواجه لها.

- بالطبع تتساءل عن سبب طلبي محادثتك على انفراد، واليوم بالذات أثناء الحفل، لقد ترددت كثيرًا قبل أن أتخذ تلك الخطوة، ولكني تناقشت مع د.خالد وقد دعم فكرتي.

شعر أحمد بالاندهاش ولكنه لم يقاطعها.

- ندى مريضة جدًا يا د. أحمد، ليست مريضة منذ حادث والدها كما تظن، بل قبل ذلك بكثير، من وقت الحادث الذي تعرضت له وهي صغيرة.

- ماذا تقصدين؟ أنا لا أفهم! هل تعاني من متلازمة كوتار منذ سن مبكر؟ ولكن هذا لا يمكن، وليس مذكور بالملف الخاص بها!

- لم أقصد تلك المتلازمة أو ذلك التشخيص، أقصد أن روحها مريضة، ليست كما تظن.

- سيدة منار، أتمنى أن يكون كلامك أوضح.

- أنا أريدك أن تبتعد عن حالة ابنتي يا د. أحمد.

- ولكن..

- من فضلك، هذه رغبتي وسأتحدث لدكتور هادي بشأنها وإلى أن يحدث ذلك أتمنى أن تحترم رغبتي كأم ومسئولة.

- أنا لا أفهم! قالها قبل أن يستطرد بغيظ: لقد تقدَّمت حالة ندى كثيرًا معي بالفترة الماضية! عندما ابتعد د. خالد، لقد راسلت د. هادي بالمستجدات وقد اندهش هو نفسه! كيف بعد ذلك التقدم بحالتها تطالبيني بأن أبتعد عنها ؟ لقد كنت أنتظر شكرًا، أو حتى طلب بأن أستمر معها وألا أتركها وليس العكس! إذا كان د. خالد قد وصَّل لكي معلومات خاطئة عني أو عن علاقتي بندى فاسمحي لى أن أشرح لك و...

- د. خالد ليس لديه علاقة بالأمر، إنها رغبتي الخاصة، ما تمر به ابنتي لن تستطيع فهمه، د. خالد وحده الذي يستطيع تقدير الأمر والتعامل معه لأنه يعلم كل شيء من البداية، أريدك أن تبتعد.

- أنا آسف يا سيدة منار، لن أتراجع حتى عودة د.هادي والتحدث معه شخصيًّا.

- بل ستفعل أو سأضطر للجوء للقانون. قالتها مهددة.

صمت أحمد شاعرًا بالغيظ وقلة الحيلة، لا يفهم كيف لأم أن تقف فى طريق علاج ابنتها! وتصر على طبيب لا يحدث تقدمًا بل على العكس!!

- أنا أعلم أنك تشعر بالدهشة من كلامي، ولكن هناك أمور كثيرة تختلف عن ما تظهر عليه، صدقني.. سيكون ذلك أفضل لك ولها، انسى تلك الحالة، اختار أي حالة أخرى وانهي بحثك وانتبه لمستقبلك.

ظل أحمد صامتًا لا يعلم ماذا يقول!

- وقفت فجأة لتتحرك تجاة المكتب وظهرها له، التفت ليراقبها قد وقفت هناك و تجمدت بمكانها دون أن تقول شيئًا، فهم أن ذلك يعني إنهاء المقابلة! وقف واقترب محاولاً للمرة الأخيرة قائلاً بيأس: أنا أعلم انه ليس لديَّ القدرة على رفض منعك لي للاستمرار ولكن ... كنت أريد أن ...

كان يتحدث وهو يقترب منها حتى أصبح بزاوية يستطيع معها رؤيتها بوضوح ليلاحظ نقط من الدماء تسيل على المكتب فيقترب بسرعه ليجدها قد أمسكت بفتاحة الأظرف الفضية التى كانت على المكتب أمامها وبدأت دون سابق إنذار بتقطيع شرايينها!!

انتزعها أحمد من يدها بعنف فى حركة سريعة هاتفًا : اللعنة، ما الذي تفعليه؟!

نظرت له بعيون واسعة نظرة خاوية قبل أن تسقط فاقدة الوعي بين ذراعيه!!!

***

كانت الأضواء قد خفت وانبعثت موسيقى صاخبة، تحركت ندى لتقف بعيدًا وقد أغمضت عيناها، ثم بدأت أنفاسها تتسارع رويدًا وقد ضمت قبضتها بقوة، بعد دقائق كان أحمد يخرج من حجرة المكتب مندفعًا باحثا عن د. خالد ليخبره بما حدث! أمَّا ليلى فكانت قد طلبت من الخدم توزيع بعض المرايات بشكل عشوائي حول الحاضرين بالحفل مستغلة خفض الإضاءة كنوع من أنواع التزيين وهي تعلم أن ذلك سيثير جنون ندى!

- د. خالد. قالها أحمد مندفعًا ليلتفت له خالد مندهشًا مقاطعًا الحديث مع أحدهم

- أريدك للحظات على وجه السرعة. قالها أحمد بشكل أقلق خالد فاستأذن من شريكه في الحديث ليتجه مع أحمد إلى المكتب متسائلاً: ماذا هناك؟

قبل أن يجيبه أحمد كان قد وصل ليجد منار على المقعد فاقدة الوعي وقد اضطر أحمد لقطع جزء من طرف رداءها كي يربط معصمها.

- ماذا حدث؟! قالها خالد وهو يندفع ليطمئن عليها

- لا أعلم ، لقد كانت تتحدث معي ثم فجأة دون سابق إنذار فعلت ذلك بنفسها!! حمدًا لله أني لاحظتها بالوقت المناسب قبل أن تصل لشرايين يدها!

- هذا ما كنت أخشاه. قالها خالد بغضب عاقدا حاجبية، نظر له أحمد بعدم فهم فى حين فتحت منار عيناها ببطء فابتسم لها خالد مطمئنًا وقد تلاقت نظراتهم قبل أن تقاطعهم صرخة قوية من الخارج اندفع خالد وأحمد على إثرها ليجدوا الموسيقى قد توقفت والتف الحضور حول ندى التى كانت تجلس على الأرض واضعة وجهها بين كفيها وتبكي بانهيار!

- ماذا حدث؟ سأل أحمد هدى التى قالت بلوعة : لا أعلم، لقد اختفت من جانبي فجأة، ثم وجدتها هنا وهي بذلك الوضع!

- اندفع د. خالد مقتربًا منها، ولكنها دفعته بعيدًا عنها بشراسة جعلته يتراجع وهو على وشك أن يفقد توازنة من قوة الدفعة!! مما جعل الحضور يوسعوا دائرتهم خوفًا وقد زادت الهمهمة بينهم في حين قالت صارخة: أنا لست وحش، هذا ما تحاولون إثباته، هذا ما تحاولون

إقناعي به، تضعون المرايات أمامي لتعكس تلك الصورة المرعبة التى تحاولون إقناعي بها، أنتم الوحوش الحقيقية، أنتم من تستحقون الموت وليس أنا، أنا.... لسسسست.... وحششش.

قالتها بقوة وهي تضغط على كل حرف قبل أن تندفع فجأة لتضرب المرآة التى كانت تستقر على بعد خطوات منها بقدمها فى قوة جعلتها تنكسر لقطع محدثة صوتاً قويًّا أثار خوف الجميع واستنكارهم!

- أمسكوا بها. قالها د. خالد آمرًا ليظهر ممرضان قويان من بين الحضور لا يعلم أحمد من أين أتيا! محاولين الإمساك بها، ولكنها اندفعت نحو أحمد وتمسكت به صارخة: لا، لن أعود معكم للمستشفى.

- أمسكوا بها ليجذبوها بعيدًا فأوقفهم أحمد: انتظروا، من فضلك يا د. خالد، سأجعلها تذهب معك ولكن دون عنف.

أشار لهم د. خالد كي يتوقفوا، نظر لها أحمد محاولاً تهدئتها: ندى، هل تثقين بي؟

- أومأت برأسها وهي تهمس من بين دموعها: نعم.

- يجب أن تعودي إلى المستشفى، أنتي تحتاجين إلى المساعدة وأنا لن أتخلى عنك، أعدك.

- ظلت مثبتة نظرها على وجهه للحظات قبل أن تخف قبضتها عنه قائلة بصوت هامس: أنقذني.

ثم أفلتت ذراعه ونظرها مازال مثبتًا عليه وهى تسلم نفسها بين يدي الممرضتين اللتين أمسكتا بها وتحركتا من بين الجموع إلى الخارج وهدى تهرول خلفهم.

نظر أحمد لدكتور خالد الذي اقترب منه قائلاً بغضب: أتمنى أن تكون قد اقتنعت أنها مازالت مريضة، وأنك مخطيء.

- ما الذي تنوي فعله معها؟

- لم يعد الأمر يخصك من الآن. قالها خالد بحسم قبل أن يكمل: لا تحاول التدخل في حالة ندى مجددًا.

- سأذهب معها إلى المستشفى.

- لن يحدث، واحذرك من محاولة فعل عكس ذلك. قالها خالد محذرًا قبل أن يتحرك خارجًا خلفهم .

وقف أحمد مترددًا للحظات قبل أن يتخذ قراره، لن يتركها.

- أحمد! قالتها ليلى وهي تقترب لتمسك بذراعة متسائلة: إلى أين أنت ذاهب؟

- تلك المرآة لم تكن هنا عند وصولي! من أين أتت؟

- منظمي الحفل هم المسؤولين عن ذلك، لقد نبهت عليهم، ولكن يبدو أنهم لم يلتزموا بالتعليمات.

- اذهبي إلى المكتب لتطمئني على السيدة منار، يجب أن ألحق بندى.

- أمي؟ ماذا حدث؟ قالتها وقد اتسعت عيناها.

- أتمنى أن أعلم. قالها بشرود قبل أن يتحرك مبتعدًا فى حين أسرعت ليلى إلى المكتب لتجد منار قد فاقت وتجلس بإعياء على المقعد !!

- يا إلهي، ماذا حدث؟!!

رفعت منار عيناها إليها قائلة بصوت مرتعش: لقد سئمت كل هذا، لم أعد أعلم ماذا أفعل؟!

- أنا آسفة. قالتها ليلى وهي تجلس تحت قدميها ساندة رأسها على ركبة والدتها التى مدت يدها المرتعشة وأخذت فى التمليس على شعرها فى شرود!

***

استقل أحمد السيارة بإصرار عاقدًا العزم أن يلحق بهم وليكن ما يكون!

اندفع خلفهم بالسيارة مسرعًا حتى لحق بهم إلى أن وصلا إلى بوابة المستشفى!

دخلت سياره د.خالد والذى نبه على الأمن أَلَّا يسمحوا لأحمد بالدخول ..

أوقفه الأمن مانعًا إيّاه وأقفل البوابة، أوقف أحمد السيارة وخرج منها محاولاً إقناع الأمن أنه يجب أن يدخل لأمر هام ولكنهم لم يستمعوا إليه، ضرب سقف السيارة بغيظ قبل أن يفكر لدقيقة ثم استقل السيارة مجددًا ودار بها حول سور المستشفى بالجهة الأخرى بعيدًا عن البوابة ثم دار بها ليجعل مؤخرتها ملاصقة للسور، خرج من السيارة وخلع سترته وحذف بها داخلها ثم وقف على مؤخرتها ليتسلق السور محدثا نفسه: اعذرنى يا أيمن، ساقوم بالتصليحات اللازمة.

قفز داخلا ونظر حوله، لم يكن هناك أحد بالحديقة! فقط حفيف الأشجار وعواميد النور ذات الإضاءة البيضاء المنتشرة هنا وهناك.

تحرك بخطوات سريعة متجهًا إلى المبنى الذى تقطن به ندى، لم يكن هناك أحد بالردهة سوى ممرضة واحدة نظرت له بذهول متسائلة: من أنت؟ وكيف دخلت إلى هنا؟؟

ولكنه تجاهلها متجها لحجرة ندى وفتح الباب بقوة، لكنها لم تكن بالداخل! تحرك مسرعًا إلى حجرة جلسات الكهرباء بآخر الردهة والتى كان قد دخلها من قبل ليجدها على الفراش وقد انتهت الجلسة.

- د.أحمد! قالتها هدى باندهاش ليلتفت د.خالد الذى كان يتابع حالة ندى ناظرًا له بذهول: كيف دخلت إلى المستشفى؟ هل أنت مدرك لما تفعل ؟؟ أنت بالتأكيد مجنون! ما تفعله قد يؤثر على مستقبلك! أكمل عاقدًا حاجبيه.

- أنا متحمل المسؤولية كاملة. قالها أحمد بإصرار.

- ماذا تريد؟

- سأطمئن عليها فقط.

نظر له خالد بتفكير قبل أن يشير للممرضين كي ينقلاها إلى حجرتها، كانت مازالت تحت تأثير المهدئ.

قبل أن ينظر إلى أحمد قائلاً: معك خمسة دقائق فقط، واعتبرها وداع لأنك لن تراها مجددًا، لقد تم حسم الأمر مع والدتها.

نظر له أحمد دون أن يجيب قبل أن يتحرك مبتعدًا خلفهم حتى وصلا إلى حجرتها، سبقت هدى وفتحت الحجرة ثم تحرك الممرضان إلى الداخل بالفراش الجرار وخلفهم أحمد الذى تراجع موسعًا لهم طريق الخروج بعد وضعها فى الفراش مما جعله يلامس الحائط خلفه ليفاجأ بالطلاء يطبع على قميصه!! شعر بالاندهاش، ولكنه تغاضى عن الأمر ليقترب من فراش ندى ويجلس بجانبها وقد احتضن يدها فى حنان.

- هل لن تأتي ثانيًا كما يقول د.خالد؟ تساءلت هدى.

- لا أعلم، لم أعد أعلم ما يجب عليَّ فعله ؟! أجابها بصوت مرهق.

تحركت لتغلق باب الحجرة قبل أن تعود قائلة بصوت شبه هامس: اسمعنى جيدًا يا د.أحمد، أنا متأكدة أنك اليوم زادت الشكوك داخلك نحو ما يحدث مع ندى، والكثير من الأسئلة دارت بداخلك دون

أن تجد لها إجابات منطقية! لأن هذا ما حدث معى أيضًا! هناك سر خلف ما يحدث هنا وعليك اكتشافه لأجلها.

- يجب أن أذهب . قالها شاردًا قبل أن يتحرك مبتعدا لتوقفه قائلة بحدة مفاجأة: لقد وثقت بك، رأت فيك بطلها الذي سينقذها ويهرب بها على الفرس الأبيض، لا يمكنك أن تخذلها الآن.

التفت أحمد ناظرًا لها بضيق قبل أن يقول بعزم: لن أفعل. ثم استدار خارجًا مغلقًا الباب خلفه.

- د.أحمد، د.أحمد

التفت ليجد الممرضة نجلاء تستوقفه وهى تهرع إليه متلفتة حولها!

لم يكن قد رآها منذ أخر لقاء بينهما بأول مرة قابل بها ندى، حتى أنه كان قد نسي أمرها تمامًا!

- د. أحمد، كيف حالك؟

- الحمد لله.

- في الحقيقة، كنت أريد سؤالك عن ندى، عن حالتها، أنا أعلم أنه ليس من شأني ولكن..... بعد ما حدث أمس بدأت في تصديق ما يقال و ... أنت تعلم، تتكاثر الأحاديث هنا وبصراحة لديّ فضول أن أفهم، لقد أخبرتهم أني أستطيع سؤالك، أنا كنت طيبة معك، تتذكر؟ عندما جئتني أول مرة وطلبت رؤيتها وحدك وسمحت لك بذلك وغامرت بأن يتم توبيخي و....

- ممرضة نجلاء! استوقفها وهو يشعر بعدم فهم!

- أنا لا أعلم ما الذي تريدينه بالتحديد؟ ولا أفهم ما الذي تقصدينه بما حدث أمس!!

- لا تعلم! قالتها باستنكار قبل أن تصمت للحظات مفكرة جعلت أحمد يحثها وقد بدأ يشعر بالاهتمام.

- ما الذي حدث أمس؟ تساءل

- غريب! ألم تخبرك هدى بالرسالة التى بعثها لك والد ندى؟؟!

- والد ندى؟!!! تساءل باندهاش وهو يمعن النظر بوجه نجلاء، يشعر أنه أصبح محاوط بالمخابيل!

- ممرضة نجلاء، من فضلك، أريدك أن تخبريني ببطء ما الذي حدث؟ و ما أمر تلك الرسالة؟ وكيف يبعثها لي والد ندى المتوفى؟ ومن أين أنتي متأكدة أنها لي؟ والأهم، كيف وصلتي لتلك المعلومة من الأساس؟!

- سأخبرك، ولكن أولا يجب أن نبتعد عن هنا، إذا رآني د.خالد وأنا أقف هنا معك لن يحدث طيباً، لا أعلم لماذا مازال بالمكتب حتى الآن! هل هذا بسبب شئ ما حدث بالحفل اليوم؟ تساءلت بفضول.

- ممرضة نجلاء، أرجوكي ركزي معي، أين يمكننا أن نتحدث بأمان؟

- سأنهي نبطشيتي هنا بعد ساعتين من الآن، إذا كنت تستطيع...

- سأنتظرك. قاطعها متخذ القرار قبل أن يكمل: سأكون بالسيارة خارج المستشفى عند السور الخلفي.

- حسناً. قالتها وهي تلتفت مبتعدة تاركة أحمد غارقاً بحيرته وفضوله.

***

- كونك صديقي الأقرب لا يعني إطلاقاً أن توقظني من النوم الواحدة صباحًا لأقابلك تحت المنزل فى مثل ذلك الطقس!!

قالها أيمن وهو يستقل السيارة بجانب أحمد.

- يجب أن أنتظر الممرضة نجلاء حتى تنتهي من عملها فى الثالثة، ولم أتحمل الجلوس وحدي.

- ماذا بك؟ تساءل أيمن عاقدًا حاجبيه

خرجت تنهيدة حارة من أحمد قبل أن يلتفت لصديقه وبدأ فى سرد كل ما حدث كما لو كان يحمل عبأً ما صدق أن يزيله عن كاهله!

استمع له أيمن فى صمت تام دون أن يقاطعة بالرغم من أنه كان هناك بعض النقاط التى كان يريد التوقف عندها، ولكنه فضل الصمت حتى انتهى أحمد من السرد أخيرًا وصمت ليلتقط أنفاسه قبل أن يقول بإرهاق: ما أخبرتك به هي الأحداث مجردة وبكل محايدة دون أن أدخل عليها ما يدور بخلدي لأني أريد رأيك أولا بدون أى

تأثير مني، أريد أن أعرف إذا ما كان قد جال بخاطري هو نفسه ما لديك أم لك وجهة نظر أخرى؟ بما أنك خارج الموضوع فقد ترى ما لم أستطع رؤيته!!

- اعتدل أيمن بجلستة قائلاً باهتمام: أولاً لقد ورطت نفسك بقصة أكبر منك بكثير ولو لم أكن أعرفك جيدًا وأعلم أنه لا جدوى من طلبي لك بالانسحاب لكنت طلبت منك ذلك فورًا، أنت مستقبلك على المحك وأعتقد أن ناسًا مثل هؤلاء قادرين على أذيتك ببساطة حتى إني مندهش أنهم لم يحاولوا فعل ذلك حتى الآن! بالنسبة لموضوع ندى فنعم هناك الكثير مما يثير الشكوك حول عائلتها ورفضهم للمساعدة فى علاجها أو حتى تقبلهم لتقدمها بالعلاج، هناك أمر مريب يحوم حولهم يصعب التكهن به! فما المبرر الذي قد يجعل أمًّا تقف بطريق علاج ابنتها! هذا لا يبدو منطقي أو آدمي! بالنسبة لليلى فتلك الفتاة قد تعلقت بك هذا واضح، ربما عدائيتها نحو أختها ما هو إلَّا شعور بالغيرة لاهتمامك بها بالإضافة للعلاقة المشوهة التى كانت بينهم منذ الصغر بسبب سوء تصرف والدهم أو عدم قدرتة على احتواء الحادث فسبب بينهم فجوة نفسية كبيرة!

أمَّا وضع د.خالد فهو عجيب! احترام وثقة د.هادي به عكس تمامًا ما توحي به تصرفاته و الشكوك التى تحوم حول ما يقوم به مع ندى! للحق، أن الأمر برمتة غريب كقصص الأفلام، كما لو كان لغز يحتاج لفك أحجية!

- عندك حق، إنه فعلاً لغز، وما يزيد الأمر سوءًا هو حالة ندى نفسها التي لا تشبه أي حالة أخرى! ولا تنطبق عليها حالة متلازمة كوتار إلَّا فى جانب واحد فقط و هو رؤيتها لنفسها بهذا الشكل والهستيريا التى تصيبها مع العلم أنها مدركة تمامًا لما يحدث وأنها ليست مريضة! ربما أحيانًا أجدها مشوشة أو تفتعل ردود أفعال تدل على أنها مريضة، ولكني أرجح ذلك للعلاج الذي يعطيه لها د. خالد والذي لم أعد أثق أنه علاج فعلا! بالإضافة إلى تلك الجلسات اللعينة التى يصر على المداومة عليها بالرغم مما أخبرته به وما رآه بعينه من تحسن لحالتها عندما عاد من أجازته، ولكنه لم يكن متحمسًا، بل على العكس! لقد شعرت أنه غير سعيد بذلك! لقد اعتقدت بالبداية أنه يكون قد شعر بالضيق لأن ما فعلته يؤكد أنى نجحت فيما فشل به، بل وأثبت صحة ذلك بالفعل! ولكنى لم أعد واثقاً أن ذلك هو السبب!

- وماذا تنوي أن تفعل؟

- لا أعلم من أين أبدأ؟ لقد كانت بدايتي غير موفقه مع والدتها، أريد شخصًا آخر موثوق بكلامة ويستطيع الإدلاء بالمعلومات التى أريد.

- ماذا عن الخدم بالمنزل؟ تساءل أيمن.

- لاحظت بالحفل أحد الخدم وكان كبير بالسن ولكن ليس كبيرًا جدًا! ربما لم يحضر ما حدث قديمًا.

- إذا حاول الوصول لمن كان قبله، سيكون ذلك أفضل، فمن يعمل لديهم لن يخبرك بشئ.

- ولكن، كيف أعود للمنزل؟ وبأي حجة بعد طلب والدتها منى بالابتعاد؟

- بسيطة، ألم تقل أن والدتها حاولت أن تؤذي نفسها اليوم ؟ وما أجده أمرًا مريبًا بالمناسبة يثبت أن ربما تلك العائلة تتوارث جينات الجنون! ولكن فلنفترض أن المرأة مضغوطة لسبب ما لم يكشف لنا بعد! يمكنك العودة غدا للاطمئنان عليها وتكون بجانب ليلى وهناك يمكنك أن تستغل الفرصة وتحاول الوصول لإحدى الخدم بالمنزل.

- أنت رائع. قالها أحمد مبتسمًا قبل أن يكمل: من المرات النادرة التى أشعر فيها بفائدتك بحياتي.

- لن أتحدث عن نفسي كثيرًا . قالها أيمن ضاحكًا.

صمت أحمد لحظات قبل أن يقول بتردد: هل تذكر ذلك اليوم الذي كنت أناقش به حالة ندى معك وعلقت ضاحكا انها تحتاج لأم عيشة المغربية لفك السحر؟ أعتقد أنك اقتربت من الحقيقة دون أن تقصد، بل لفت نظري لشئ لم أكن أتخيل أني قد أعتقد به يومًا ما!

- هل تقصد أن .....

- إن ما يحدث لندى لا يمت للعلم بصلة، أعتقد أن ما يحدث لها شئ خارج عن نطاق الطبيعة. قاطعة أحمد وقد قالها أخيرًا بعد أن كان يحاول أن يخفى ما يدور بخلده حتى لا يتهموه بالجنون!

- يا إلهي. قالها أيمن مفكرًا قبل أن ينظر له قائلاً بجدية: بتلك الحالة لن يوجد من يستطيع البت في الأمر ومساعدتك بشكل جدي سوى شخص واحد فقط. ثم صمت للحظات قبل أن يكمل وهو ينظر له نظرة ذات مغزى: والدك.

نظر له أحمد بتفكير، هل من الممكن أن يساعدة والدة فعلا فى اكتشاف الأمر وإنقاذ ندى؟!

***

كانت الساعة قد تعدت الثالثة صباحًا بعشرين دقيقة عندما خرجت نجلاء من المستشفى لتتجه إلى المكان المتفق عليه مع أحمد، وجدته بانتظارها خلف عجلة القيادة ويبدو أنه قد غلبه النعاس أثناء انتظارها، اقتربت و دقت له على نافذة السيارة ليجفل ناظرًا لها بعدم فهم للحظات قبل أن يفتح باب السيارة كي تدلف قائلة بخجل: آسفة يا د.أحمد على التأخير وأني جعلتك تنتظرني بالشارع كل هذا الوقت، تبدو مرهقاً.

- لا عليكي، قالها وهو يعتدل.

- يمكنك أن تتحرك من هنا حتى لا يرانا أحدهم.

- بالتأكيد، أين تقطنين؟

- لا أنا طريقي بعيد، فقط تحرك لتصلني إلى أقرب محطة نقل عام.

- حسنًا، قالها وهو يتحرك بالسيارة مبتعدًا عن المستشفى فى حين استرسلت بالحديث: فى الحقيقة، عندما جائت ندى إلى المستشفى كانت حالتها غريبة بالنسبة لنا، لأول مرة نصادف حالة بهذا الشكل! فى أول الأمر كنت أتعاطف معها، كانت بالبداية تصاب بحالات هستيرية كثيرة حتى بدأ د.خالد فى استخدام علاج جلسات الكهرباء معها، لم نكن نستخدم تلك الطريقة إلَّا نادرًا ولكن بحالة ندى أصبح يستخدمها بشكل دوري آثار دهشتنا واستنكارنا بالبداية ولكننا جميعا نثق فى د.خالد ونعلم أنه طبيب ماهر وما أثبت لنا ذلك هو الاختلاف الذي طرأ على حالتها بعد تلك الجلسات فقد أصبحت أكثر هدوءًا واتزانًا.

تنهدت قبل أن تكمل: شعرنا بالعطف نحوها خصوصًا فى ظل إهمال عائلتها لها، ولكننا تعودنا على مثل تلك الحالات، أنا وهدى نتناوب على حالة ندى ولكن هدى أصبحت الأقرب لها حتى أنها كانت تأخذ دوري بالنبطشية أكثر الوقت بالاتفاق بيننا دون علم د.خالد، وقد بدأ ذلك يحدث بعد تلك القصة العجيبة التى جائت لتحكيها بحماس عن ندى الملاك الشفافة التى لديها القدرة على الاتصال بالموتى

واستطاعت أن تصل رسالة من ابنة هدى المتوفاة إلى هدى! فى الواقع لقد سخرنا جميعًا منها بذلك الوقت ولم نصدق حرفا! أنت تعلم أن مثل تلك الأمور يصعب تصديقها، ولكن لا أنكر أني بدأت أخشى تأثيرها المبالغ على هدى!

- أكملي. قالها أحمد باهتمام.

- حتى أول أمس مساءً، ليلة الحفل، كانت تلك الليلة دوري لمتابعة ندى ولم تستطع هدى أن تأخذ مكاني بسبب إصرار إلهام على أن تعطيها مهمة بالمبنى الآخر فى نفس التوقيت، ربما وصلت لها أخبار عن ما يحدث بيننا أو كان الأمر صدفة لا أعلم! المهم أنى جلست مع ندى حتى خلدت إلى النوم وخرجت لأتناول عشائي خارج الغرفة، كنت قد نسيت هاتفي المحمول بالداخل وعندما عدت للبحث عنه رأيت ما أرعبني، اللهم احفظنا. قالتها بصوت مرتعش.

- ماذا رأيتي؟! تساءل أحمد بنفاذ صبر.

- رأيت ندى تقف على أصابع قدمها وبيدها قطعة من زجاج كوب ماء قد قامت بتحطيمه، وتحفر على الحائط المواجه لفراشها جملة واحدة قد قامت بإعادتها مرارًا وتكرارًا « هناك أسرار خلف كل جدار، وليس كل ما هو ظاهر حقيقي» وبجانب كل جملة اسمان، الأول اسمك أنت لذلك علمت أن الرسالة موجهة إليك.

- والاسم الآخر؟

- عبد الحميد. ثم صمتت للحظات قبل أن تكمل بخوف: وهو اسم والد ندى، فهي اسمها بالسجلات ندى عبد الحميد البنداري.

عقد أحمد حاجبيه وهو يفكر بغيظ: اللعنة، الأمر يزداد تعقيدًا! ثم لماذا تهوى الأرواح أن تلعب لعبة الألغاز؟ لمّا لم يقل مباشرة ما يريد ثم ينعم بالسلام للأبد!!

قاطعت نجلاء أفكاره مسترسلة بحماس: الأكثر رعبًا يا د. أحمد أن ندى لم تكن بوعيها، لقد كانت نائمة كما لو كان أحدهم يتحكم بجسدها! وكانت عيناها بيضاء بالكامل، كأنها بسم الله الرحمن الرحيم ممسوسة!! أنا لست حمقاء! لقد رأيت مثل تلك المشاهد كثيرًا بأفلام الرعب.

نظر لها أحمد نظرة خاطفة دون أن يقول شيئ، لولا غرابة الموقف لانفجر فى الضحك من كثرة الضغط الذي يشعر به! هذا ما كان ينقصه، أن تتحول القصة لفيلم رعب وعملية تطهير من الأرواح الشريرة!!

- عندما شهقت وبسملت وقعت مغشيًا عليها، لا أخفي عليك لقد كاد قلبي أن يتوقف رعبا، استعنت بإحدى الممرضات لتساعدني فى إعادتها إلى الفراش واتصلت بهدى، لا أعلم لماذا لم احاول أن أتواصل مع الممرضة إلهام أو إحدى الأطباء! ربما لأن ارتباط هدى بندى أصبح أمر واقع لنا جميعًا أو ربما لاني صدقت وقتها ما كانت قد قصتة علينا قبلا، عندما جاءت هدى ورأت الرسالة على الحائط طلبت منا إلَّا نقول شئ وأن نأتي لها بطلاء لإزالة آثار ما قامت ندى بكتابته!

- قالت إن ذلك لمصلحة ندى بعد أن تقدمت بالعلاج على يدك ولا تريد أن يعتقدوا أنها تتعرض لانتكاسه، أنا أعلم أن مساعدتها لإخفاء الأمر خطأ كبيرًا، ولكن بيني وبينك يا د. أحمد، لقد أردنا أن تترك ندى المستشفى، ولكني لم أتركها إلَّا عندما تأكدت منها أنها ستخبرك بما حدث، يجب أن يعلم أحد المسؤولين عنها بالأمر حتى لو... صمتت للحظات قبل أن تكمل بتردد: حتى لو طبيب تحت التمرين.

كان أحمد قد وصل إلى المحطة الثانية بعد أن فوت الأولى في خضم الحديث، توقف ونظر لها قائلاً: أشكرك يا نجلاء، وآسف إذا كنت أخرتك عن العودة.

- لا أبدًا، كان يجب أن أخبرك حتى يرتاح ضميري، ولكني اعتقدت أن هدى أخبرتك كما وعدتني.

فتحت باب السيارة لتخرج قبل أن تتراجع مترددة: د.أحمد، أنا لم أقل لك شيئًا.

- بالتأكيد.

- حسنًا، شكرًا على التوصيلة. قالتها وهي تخرج من السيارة وتقفل الباب خلفها متجهة إلى المحطة.

أخذ أحمد نفس طويلاً وأخرجه بزفرة حارة وهو يفكر في حمام دافئ وكوب مضاعف من القهوة الساخنة قبل أن يتذكر شيئاً فخرج

من السيارة ليلحق بنجلاء مناديًا، التفتت له باندهاش فتقدم منها قائلاً: الم تخبريني أن هناك من جاء لزيارة ندى من قبل ؟

- نعم شاب يبدو بالثلاثينيات تقريبًا.

- أليس من المفترض في حالة الزيارات أن يتم طلب اسم الزائر ودرجة القرابة ويتم تسجيلها بدفتر خاص أو شئ من هذا القبيل؟ هل يمكنك أن تستخرجي لي تلك المعلومات؟ أنا أعلم أني أثقل عليكي ولكن أعدك أن ذلك سيكون آخر طلب.

- لا أحتاج استخراج المعلومات لك يا د.أحمد، لم نقم بتدوين شيء وقتها لأنه جاء مباشرة لدكتور خالد ولم يدخل لندى كما أخبرتك، ولكن كانت وقتها نبطشيتي بالصدفة وسألني عليها وأعطاني وقتها كارت به رقم هاتفة واسمه ويصاحبهما حفنة من النقود. قالتها ببعض الخجل قبل أن تكمل: طلب مني الاعتناء بندى وأن أتصل به إذا حدث أي شئ غريب! كان طلبة غير مفهوم وقتها، ولكن أعتقد أني فهمت الآن بعد ما حدث! لم أهتم وقتها صراحة فأحيانًا كثيرة نرى أشخاصًا خارج أسوار المستشفى يحتاجون للعلاج أكثر ممن بداخلها!

- وهل ما زال معك ذلك الكارت. تساءل بلهفة.

- لا أتذكر أين وضعته. قالتها بأسف قبل أن تكمل: ولكني لا أضيع شيئاً ولم أقم بالتخلص منه، سأبحث لك عنه وإن شاء الله أجده.

- حسنًا، إليكي رقم هاتفي قالها وهو يأخذ الهاتف من يدها دون استئذان ليدون رقمه ويسجله قائلاً: عندما تجديه دونيه برسالة وابعثي به إليَّ، ضروري . قالها مؤكدًا وهو يعيد الهاتف بيدها قبل أن يتحرك مبتعدًا تحت نظراتها المندهشة!

***

جلست ليلى بحجرتها تشعر بالوحدة والحزن والغضب، لقد أهملها أحمد تمامًا ولم يجيب على مكالماتها له!

كانت من اللحظة الأولى تحاول إقناع نفسها أن اهتمامه بندى ليس أكثر من طبيب يريد إثبات ذاته، وبعض الفضول الطبي، ولكن بعد ما حدث بالحفل أيقنت أن ذلك الاهتمام يزيد عن ذلك، نظراته إلى ندى تلك اللحظة مزقتها غيره!

فتحت المفكرة أمامها لتدون بها ما حدث وما تشعر به كما تعودت أن تفعل دائمًا، حتى تتخلص من الطاقة السلبية التى تكاد تلتهمها من الداخل!

« بالرغم من مرور كل تلك الأعوام!! وبالرغم من انفصالنا إلَّا أنني مازلت أشعر أنها تؤثر على حياتي، مازلت أشعر أنها تطبق على أنفاسي وتحاول سلبي كل ما أحب كما تعودت أن تفعل دائمًا!

يشاء القدر أن الشخص الوحيد الذي أشعر نحوه بالعاطفة هو

شخص يقبع فى المنتصف بيننا مجدداً!! وما حدث بالحفل لوالدتي، أشعر بالذنب لأنها نبهتني له، ولكني لم أنصت بالرغم من أن بداخلي أشعر أنها تستحق أن تقاسمني ذلك العذاب! فهي المسؤولة على كل حال! ربما جزء مني كان يريد أن يحدث ذلك!

أشعر أني فتاة شريرة من تلك المشاعر التى تراودني.

وندى لم أستطيع أن أتوقف عن كرهها بالرغم من الجلسات النفسية الاجتماعية للتأمل والتسامح مع الذات التي لجأت لها بالخارج في محاولة للتغلب على ذلك العذاب الذي أشعر به، أكرهها لأنها كانت السبب فى أن تكون طفولتي معذبة، أكرهها لأنها استحوذت على كل ما كان يجب أن نتقاسمة معًا، أكرهها لأنها حرمتني من إخوتها، أكرهها لأنها أخبرتني السبب! ذلك السر الرهيب الذي .... «

دق باب غرفتها لتتوقف عن الكتابة ويدخل الخادم بعد أن سمحت له ليخبرها بوصول د. أحمد بالأسفل ويطلب مقابلتها.

شعرت بدقات قلبها تتسارع وأشرق وجهها بابتسامة وهي تخبره أنها ستحصله حالاً.

تركت القلم من يدها وهي تفكر: ربما الأمر ليس كما تتخيل، بالرغم من كل شئ مازال هناك أمل في أن تحصل على ما ترغب به.

***

جلس أحمد منتظراً عودة الخادم ليحاول استقطاب أي معلومات منه قبل وصول ليلى، كان يتلفت حوله والتوتر بادي عليه بوضوح عندما لمحه عائدًا إليه كما توقع.

- آنسه ليلى تبلغك أنها ستلحق بي حالاً، ماذا تريد أن تشرب سيدي؟

- أخبرني يا عم !!!! ...

- بلال يا سيدي. أجابه الخادم بأدب

- أهلاً بك يا عم بلال، أخبرني، هل تعمل هنا منذ زمن؟ أقصد هل كنت موجود أيام السيد عبد الحميد الله يرحمه؟

- نعم يا سيدي

- هل عاصرت الفترة قبل مرض الآنسة ندى؟

- بعتذر منك يا سيدي، يجب أن أذهب لإكمال عملي. قالها الرجل بأدب منهيًا الحديث قبل أن يبدأ.

شعر أحمد بالإحراج ولكنه قبل أن يحاول معه مرة أخرى ظهرت ليلى وانسحب الخادم سريعًا.

- كيف حالك يا أحمد؟ تفضل

- الحمد لله بخير. أجابها ثم صمت سارحًا فى الإحباط الذي أصابه لفشله فى إتمام مهمته التي حضر من أجلها!

- لقد اتصلت بك عدة مرات منذ الحفل ولكنك لم تجيب!!

- كنت مشغولاً قليلاً، كيف حال السيدة منار؟

- الحمد لله بخير، الجرح سطحي.

- ليس لديك فكرة لماذا فعلت ذلك؟ أقصد أنها كانت متزنة تمامًا وهي تتحدث معي ولم أتخيل للحظة أنها من الممكن أن تقدم على أذية نفسها!!

- لا أعلم. أجابته باقتضاب وهي تنظر ليدها مما أعطاه الإيحاء أنها تخفي أمرًا! شعر بالاختناق فالموضوع يزداد غموضًا واشتباكًا بكل مرة بشكل مستفز!

- على العموم حمد الله على سلامتها. قالها وهو يقف متأهبًا للذهاب

وقفت ليلى بدورها وهي تنظر له بضيق: هل ستذهب بتلك السرعة؟ أنت حتى لم تسألني لماذا كنت أريد التحدث معك؟ لم تسألني عن أحوالي أو حتى تخبرني بما حدث ليلة الحفل؟

لماذا تتصرف معي بذلك البرود كما لو كنا لا نعرف بعضنا بعضًا؟ لماذا أشعر أنك تحملني ذنب ما يحدث؟

- ليس الأمر كذلك، أنا عقلي مشغول فقط بموضوع البحث وتأخري به وما يحدث مع د.خالد بغياب د.هادي.

- فقط؟ تساءلت وهي تقترب لتنظر بعيناه في تحدي.

- ماذا تريدين يا ليلى؟ هل تريديني إخبارك أني أشعر بالحنق من كل ذلك الغموض الذي يغلف عائلتك وحالة أختك التى أشعر أني الوحيد بالعالم الذي يهتم لأمرها في حين من المفترض أن تكوني أنتي؟ هل تريدين إخبارك أني وجدت نفسي فجأة متورط بحالة بدأت بها حياتي المهنية وقد تقضي عليها دون أن أفهم ما يحدث؟ هل تريدين أن أخبرك أنني أصبحت متأكدًا أنك تخفين عني الكثير وأنك لا تريدين مني الاستمرار لمساعدة أختك؟ أجاب مندفعاً بغضب.

- أريدك أن تخبرني شيئاً واحد، هل تهتم لأمري ربع الاهتمام الذي تهتم به لندى؟

صمت ولم يجيبها لتسألة مجددًا بصوت متحشرج: السؤال بصيغة أخرى، هل اهتمامك بندى ينحصر في اهتمامك بحالتها فقط ؟

- لا أعلم. أجابها بعصبية.

- ولكني اعلم، كل ما أريد أخبارك به انك لا تفهم شئ على الإطلاق، الضحية هنا هي أنا، أنا ضحيتهم جميعًا، أبي وأمى وندى وليس العكس. أنهت جملتها وقد سالت دموعها في صمت قبل أن

تلتفت مبتعدة تاركة إيّاه في ضيق شديد، لا يعلم لماذا اندفع بتلك الطريقة؟ لقد سئم كل ما يحدث ويشعر أنه بداخل قفص محكم الغلق يمنعه من التحرك بحرية، شعر بالندم والشفقة تجاه ليلي، زفر بحرارة قبل أن يخرج شاردًا وهو يفكر فيما عليه أن يفعل الآن؟

- في سلامة الله يا باشا.

قاطع أفكاره حارس الفيلا فألقى عليه نظرة عابرة مع همهمة من المفترض أنه رد السلام، ولكنه بالواقع لم يتفوة بشئ مفهوم وسط شرودة ثم توقف فجأة بعد أن كان قد تعدى البوابة وعقد حاجباه عائدًا للخلف ليلقي نظرة على ذلك العجوز الذي يجلس بداخل حجرة حارس البوابة يستمع إلى أم كلثوم فى استمتاع.

- هل هذا والدك؟ توجه بالسؤال لحارس الأمن الذي ألقى عليه التحية منذ دقيقة

نظر له الرجل باندهاش مجيبًا: نعم.

- هل كان هنا من زمان؟

- أن والدي هنا من قبل أن يتزوج السيد عبد الحميد.

دب الأمل مجددًا بأوصال أحمد وشعر بالحماس في حين استرسل الشاب قائلاً: لقد خدمهم والدي كثيرًا، ولكنه كما ترى قد كبر بالسن ولا يمكن الاعتماد عليه بالحراسة لذلك وافق السيد عبد الحميد الله

يرحمه أن أستلم مكانه بالعمل وأن لا يتخلى عن والدي، فقد كان يعتبره علامة من علامات الزمن الجميل التي يصعب الاستغناء عنها كما كان يقول دائمًا، ووفر لي مرتب أضعاف ما يأخذه غيري كي يساعد فى دراستي وزواجي، رحمة الله عليه كان رجلاً طيباً.

- الله يرحمه، هل يمكننى التحدث إلى والدك؟

نظر له الرجل باستغراب قبل أن يقول ببساطة: بالتأكيد، اتفضل.

أشار له بالدخول ليندفع أحمد ملقيًا السلام : سلام عليكم يا حج

- ضاقت عين الرجل وهو يقلل من صوت المسجل ويضعه جانبًا رد السلام قبل أن يسألة: هل أنت ابن الحج سلامة؟ لقد كبرت كثيرًا لم أراك منذ زمن، كيف حالك يا ولدي؟

- لا يا حج، الأستاذ من ضيوف الفيلا، لا أعلم من هو ولكنه يطلب التحدث معك!! قالها الرجل وهو ينظر لأحمد بارتياب

- أنا الدكتور أحمد، المسؤول عن حالة الآنسة ندى، هناك بعض الأسئلة التي أريد إجابتها ستفيدني بالعلاج، أحاول تجميع بعض المعلومات من البيئة المحيطة بها، أتمنى أن تساعدني يا حج.

- آنسه ندى الله يشفيها، كانت فتاة جميلة ورقيقة قبل الحادث، بعدها تغير كل شئ.

- هل كنت موجودًا وقت الحادث؟

- كنت عند البوابة يا ولدي وقد سمعت بما حدث فقط

- وما الذي حدث؟ من قص عليك الحادث؟!

- وقتها كنت على علاقة صداقة بسالم، كان يعمل طباخًا بالداخل، وكان يجالسني مساءً نشرب الشاي معًا ونتحدث في أمور الدنيا، أتذكر جيدًا يومها سهرنا معًا وكل منا يشعر بالأسى لما حدث، أخبرني أنه كان حادثاً مؤسفاً عندما كانت تلعب البنات كعادتهن وقعت الآنسة ندى بحمام السباحة وقد ارتطم رأسها بقوة وغابت عن الوعي وقد امتزج الماء بدماءها!

اذا الحج سالم الذي كان يعتقد انه ولده هو سالم هذا فكر أحمد قبل أن يسترسل العجوز قائلاً: في ذلك اليوم حدث هرج ومرج بالداخل، وجائت عربة الإسعاف لتحمل الانسة ندى إلى المستشفى، على ما أتذكر دخلت بغيبوبة ربما ليومان أو ثلاثة كان حال المنزل وأهل المنزل بهم مزرية، حتى السيدة منار بالرغم من أنها زوجة والدها إلَّا أنها كانت شديدة الحزن، وكيف لا وهي التي قامت بتربيتها منذ أن كانت باللفة!!

- هل تقول أن السيدة منار ليست والدة ندى؟ تساءل أحمد بعيون مندهشة

- لا أجرؤ على القول أنها ليست والدتها يا بني، فالأم التي تربي وتتعب وتسهر وليس من تنجب.

- حسنًا، حسنًا ياحج ولكن... أقصد، أين والدة ندى ؟

- لقد وافتها المنية بعد الولادة بحوالى شهرين، وقتها كانت السيدة منار لا زالت الممرضة الخاصة التي قام بتعيينها عبد الحميد بك لتراعي السيدة إيمان رحمها الله.

تراجع أحمد في جلسته وهو يحدق بوجه العجوز الذي حفرت وجهه خطوط الزمن، لا يصدق ما وصل إليه بالصدفة من معلومات جعلت الصورة تتضح بنظره الآن، لقد بات السيناريو جاهزاً ولكن عليه أولاً أن يتاكد من بعض التفاصيل لذلك سال العجوز باهتمام: أريد أن أعرف كل شئ عن علاقة ندى بالسيدة منار وظروف نشأتها، أريد أن أعرف كل ما مرت به بالتفصيل سيساعدني ذلك فى علاجها كثيرًا، إذا كنت تريد رد الجميل للسيد عبد الحميد فقد جاء وقت ذلك.

تبادل العجوز النظرات مع ولده قبل أن يعتدل بجلستة رافعًا إحدى قدميه على الأريكة قائلا: يا بني مهما فعلت لن أستطيع رد جميل السيد عبد الحميد رحمه الله، كان بودي مساعدتك ولكن كل ما أعرفه هو القليل فعملي خارج نطاق المنزل كما ترى، لم أكن معهم كي أكون ملم بتلك التفاصيل، ولكن كل ما أستطيع إخبارك به أن العائلة كانت سعيدة حتى ذلك اليوم المشئوم، بعدها انقلب الحال ولم يعد شيئاً كما كان.

- إذا أخبرني كيف أستطيع التواصل مع سالم، ربما يستطيع مساعدتي

- الحج سالم توفى منذ عامان. قالها رجل الأمن وهو يرمق والدة الذي ارتسم على وجهه الحزن قبل أن يكمل متحمسًا: لكن هناك تلك الخادمة فوزية يمكنها أن .....

رمقه العجوز بنظرة ذات معنى اسكتته قبل أن يقول بحسم: إنها امرأة خرفه، لا يمكن الاعتبار بكلامها.

- فقط صلني بها وسوف ... قاطعه العجوز قائلاً بإصرار: لا. قبل أن يمسك بالمذياع ويرفع الصوت مجددًا معلنًا إنهاء الحديث!

أشار رجل الأمن إلى أحمد الذي حرّك رأسه متفهمًا ليخرجا معًا من الحجرة.

- هل تعلم كيف أتواصل مع تلك الخادمة التي تحدثت عنها؟! سأل أحمد رجل الأمن فى محاولة أخيرة.

- في الواقع يا دكتور أنا أعلم مكان منزلها بالبلد، لقد كنت أذهب دائمًا لشراء الفطير الفلاحي الأصلي من هناك، كنت وقتها مازلت صغيرًا وكانت قد بدأت تجارتها الخاصة لأكل العيش بعد أن ...

صمتت مترددًا في حين حسه أحمد على الحديث قائلاً: صدقني يا.... ثم صمت وقد تذكر أنهما لم يتعارفا كما يجب.

- عادل. قالها الرجل مبتسمًا في حين أكمل أحمد قائلاً: صدقني يا أ. عادل كل معلومة يمكنني جمعها ستساعد في شفاء ندى وسيكون ردًا لجميل السيد عبد الحميد.

- أستاذ!! ربنا يكرم أصلك يا دكتور، لأجل ذوقك ولأجل السيد عبد الحميد رحمة الله عليه سأعطيك العنوان الذي كانت تسكن به، ولكني لا أعلم إذا كانت مازالت على قيد الحياة! لقد ظل تواصلنا معها لفترة بشكل سطحي من خلال الشراء منها، كان والدي وقتها يحاول المساعدة بشكل غير مباشر بعد أن تم طردها من الخدمة هنا، ثم توقف والدي عن ذلك فجأة ولم يخبرنا يومًا بالسبب!

- ألا تعلم سبب طردها؟

- لقد كنت صغيرًا وقتها ولم أهتم ولكن يبدو أن الموضوع كبير.

- حسنا، لا يهم، فقط أعطيني العنوان وسأحاول، لن نخسر شئ.

- ثانية واحدة. قالها عادل قبل أن يختفى بداخل حجرة الأمن ثم عاد بعد دقائق وبيدة مقصوصة صغيرة قد دوَّن بها العنوان، سلمها لأحمد قائلاً: أتمنى أن تجد هناك ما يفيدك.

- أشكرك. قالها أحمد بحماس قبل أن يودعه بامتنان مبتعدًا وهو يشعر أن أول خيوط الغموض بدأت في الانحلال أخيرًا!!

***

جلس أحمد بالقطار متجهًا إلى تلك القرية الصغيرة بالصعيد لمقابلة تلك المرأة فوزية والتي يشعرلسبب ما أنها ستكون السبب في إزالة الغموض المتبقي وسد الفجوات بالقصة كي تتضح الصورة بالكامل.

كانت الرحلة طويلة وشاقة، ربما الأمل ضعيف بأن يجدها مازالت على قيد الحياة ولكنه أمل يستحق العناء!

أخيرًا وصل القطار إلى وجهته ليترجل منه فى حماس وقد بدأ يشعر بدقات قلبه تتسارع من الاثارة، سأل عن العنوان هذا وذاك حتى وصل أخيرًا، وقف أمام المنزل اللبني الفقير يشعر بالتوتر قبل أن يستجمع قوته ويدق على الباب.

بعد دقيقة فتحت له فتاة جميلة تبدو بالعاشرة من عمرها ووقفت تنظر له بتساؤل!

- سلام عليكم، هل يمكنني التحدث مع الست فوزية؟ تساءل بإحراج

- أبوي، أبوي، في جدع بيسأل على ستي. قالتها الفتاة وهي تركض لتختفي بالداخل تاركة إيَّاه واقفًا فى إحراج.

بعد دقيقتين مروا كالدهر ظهر أمامه رجلاً بجلباب رمادي فضفاض، أسمر اللون، ذو لحية طويلة ينظر له في ريبة متسائلاً: أي خدمة يا أستاذ؟

- هل الست فوزية موجودة؟

- ومن تكون؟!

- في الحقيقة الأمر يطول شرحه، ولكن أخبرها أني من طرف عائلة السيد عبد الحميد الذي كانت تعمل لديهم.

- يا أهلاً يا أستاذ، تفضل. قالها الرجل مرحبًا وهو يفسح له الطريق للدخول قائلاً: أنا راضي ابنها الكبير،اعذرني في السؤال، ولكن ما الذي ذكركم بأمي بعد ذلك العمر؟ فهي لم تعد قادرة على العمل بحكم السن كما تعلم.

- لا، ليس الأمر كذلك أنا فقط أحتاج للتحدث معها قليلا.

- تفضل من هنا، الشاي يا نوارة. قالها صارخًا قبل أن يسبقه لحجرة صغيرة ويحصله أحمد ليلمح امرأة عجوز تجلس على الأرض متربعة، بيدها كوب من الشاي الثقيل ترتشفه بمزاج.

- هناك ضيف يريد مقابلتك يا حجة. قالها راضي للعجوز التى رفعت نظرها لهم وحكت راسها باصباعين من فوق المنديل الملون الذي تربطه على رأسها متسائلة: ضيف؟ ومن هذا الضيف؟

- سلام عليكم يا حجة فوزية، أنا الدكتور أحمد من طرف عائلة السيد عبد الحميد، هل تتذكرينه؟

- عبد الحميد بك؟ وماذا يريد بعد أن قطع عيشي من سنين؟

- في الحقيقة لقد تُوفى رحمه الله، أنا هنا من أجل ابنتة ندى، إنها مريضة وأنا الطبيب المعالج لها وقد كنت أطمع أن تساعديني بالإجابة على بعض الأسئلة التي قد تساعد في شفائها.

- مات؟ الله يكحمه مطرح ما راح. قالتها بفظاظة أدهشت أحمد وقد صدمة رد فعلها في حين قال راضي محاولا تصليح ما قالته بصوت يؤنبها: الله يرحمه يا حجة، لا يجوز على الأموات سوى الترحم، مهما كان فالرجل كان خيره علينا.

- لا، الخير كله كان من الست إيمان الله يرحمها.

- هل عاشرتيها فترة طويلة؟ تساءل أحمد وقد أثارت فضوله بشدة.

- تصعبت وهي تشيح بيدها قائلة : كنت معها من قبل زواجها تلك الزواجة المشؤمة.

دخلت الفتاة الصغيرة التى فتحت له الباب تحمل كوب الشاي وتقدمة إليه مقاطعة حديثهما، فجأة قالت فوزية لأحمد وهي تشير للفتاة: ألا تريد خادمة تساعدك فى المنزل؟ تبدو صغيرًا ولم تتزوج بعد! أنا أفهم في الرجال جيدًا، لن تكلفك كثيرًا.

- ماذا تقولين يا حجة!! تساءل راضي باستنكار قبل أن يكمل : لقد تحدثنا في ذلك الأمر قبلا وهو مرفوض.

- اسكت ساكت، نحن نحتاج إلى المال، إذا لم يأخذ الفتاة فعليه إذًا أن يعوضني بدفع ثمن ما سأخبره به، فما أعرفه خطير.

شعر أحمد بالإحراج وتخنخ قبل أن يفتح حافظته ليلقي عليها نظرة، كان قد أتى بمال زائد للطوارئ ولكنه لا يعلم كم يعطيها، بعد تفكير لثواني أخرج خمسمائة جنية وهو يقنع نفسه أنه سيعتبرهم صدقة أو مساعدة ومسامح فيهم، بالرغم من أنه لاحظ أن تلك العجوز ترتدي ذهب يبدو باهظ الثمن، ولكن يبدو أنها لا تريد التفريط به حتى لو يحتاجون للمال كما تقول!!

أعطاهم لراضي الذي أخذهم منه على حرج وأعطاهم ليد والدته التى قربتهم من عيناها وقامت بعدهم قبل أن تقول بلؤم: أريد فوقهم ثلاثة أضعاف.

- ماذا ؟! تساءل أحمد مندهشًا وهو لا يصدق ما يسمع.

- ألف ونصف فوق هؤلاء أو لن أنطق حرفًا، ولن تسترد تلك النقود أيضًا، سأعتبرهم ثمن التحدث معك وإخبارك أن هناك سرًا بالأساس. أنهت جملتها وهي تضع النقود داخل جلبابها من خلال فتحة الصدر.

- شعر أحمد بالضيق والغيظ : ولكني لا أملك هذا المبلغ الآن!!

- ليست معضلتي.

- اسمعي يا حجة فوزية، لقد جئت من مشوار بعيد ولم أنم جيدًا وليس لديّ وقت كي أضيعه فى إقناعك أن تخبريني بما تعلمي، ثم ألم تقولي أنك تحبين السيدة إيمان! أنا هنا لمساعدة ابنتها!!

رفعت كوب الشاي لترتشف منه قائلة بإصرار طفولي: الحي أبقى من الميت يا ولدي.

- اللعنة. لفظها أحمد وهو يشعر بالغيظ الشديد، لقد رباه والده على احترام الكبير دائمًا، ولكنه لم يتوقع يومًا بأن يشعر أنه يريد قتل عجوز قد تعدت السبعين أو أكثر، يريد قتلها حرفيًّا!

- نظر لراضي الذي فتح كفيه مشيرًا أنه ليس بيده حيلة ونظر أرضًا، يبدو أن تلك العجوز اللئيمة قوية الشكيمة بالرغم من كبر سنها.

نظر حوله بتفكير قبل أن ينظر إلى ساعته، كان قد قام بشرائها مؤخرًا، خلعها من يده وهو يعطيها إليها قائلاً: تلك الساعة ثمنها حوالي ألف جنيه، يمكنك أخذها وبيعها، ليس معى أى شئ آخر والنقود التي بقيت معي تكفيني للعودة.

تناولت الساعة من يده ونظرت بها عن قرب قبل أن تقول بفظاظة: وكيف أتأكد أنها ستجلب لي ذلك المبلغ، ربما تخدعني!

- زفر بنفاد صبر متسائلاً بعصبية: ماذا تريديني أن أفعل الآن كي تتأكدى؟

- خلاص يا حجة، أنا أضمنهولك، سأخذها لعم متولي الساعاتي وأبيعها لكي.

- نظرت لهم بعدم رضى قبل أن ترتديها فى يدها وتنظر له قائلة : حسنا، سأقص عليك كل ما أعلم لأجل خاطر الست إيمان، ومن أجل أن أنتقم لروحها، أنت لا تعلم كم كنت أحبها.

- واضح . أجابها أحمد بتهكم.

- كنت أعمل بذلك الوقت لدى الست إيمان بمنزل والدها، كانت دائمًا تعاملني كصديقتها وليس كخادمة لديها بالرغم من ثراءهم فلم تكن متغطرسة، كانت دائمًا تغدق علي بالكثير من الهدايا على عكس اختها الصغيرة هالة، كانت بخيلة وكشرية في حين أن الست إيمان كانت جميلة ودائمًا مشرقة لكن ظلم الأقدار جعل الست هالة تتزوج قبل الست إيمان اللي حظها كان سيئاً في عرسانها، فلم تكن تكمل مع أحدهم عدة شهور إلَّا و ينتهي الأمر بالانفصال! هيييه دنيا، ست إيمان الجميلة لم يكن لها حظ أختها بالرغم من أنها كانت الاقل جمالا! المهم، في يوم مشئوم جاء والدها وأذاع خبر طلب يدها من شريكة لابنه الوحيد الذي كان يدرس بالخارج، كنا نعلم أن ذلك الارتباط ما هو إلَّا ارتباط مصالح فى المقام الأول ولكنها كانت سعيدة على كل حال، فكل ما كانت تتمناه أن تتزوج مثل أختها وتكون أسرة، وتمت المقابلة بينها وبين عبد الحميد بك، كان وسيم وقد وقعت بغرامه منذ اللقاء الأول وتم الأمر سريعًا، لم يرد والدها أن تطول فترة الخطوبة حتى لا يحدث مثلما كان يحدث من قبل! انتقلت معها بعدها لمنزل الزوجية بطلبها فلم تكن لتستطيع الاستغناء عني أبدًا، سارت الأمور

بشكل طبيعي فى البداية حتى بدأت الست إيمان فى الشعور بالقلق لتأخر الحمل لديها. بالأول شكت أن يكون السيد عبد الحميد هو السبب وبعد مشادات كثيرة والذهاب إلى أكثر من طبيب اكتشفوا أن السبب منها هي وانها تحتاج للخضوع إلى علاج حتى يشاء الله، كانت نفسيتها سيئة للغاية وتزداد سوءًا مع الوقت، خاصة أن عبد الحميد بك كان يهملها كثيرًا ويهتم بعمله بشكل مبالغ، كانت تحتاج له بجانبها، ولكنه لم يكن يكترث لما تمر به من ضغوط، كل همه كان فى جمع المال فقط، حتى أنها بدأت تشك أنه ربما يفكر فى أن يتزوج أخرى لينجب منها أو قد يكون تزوج بالفعل، لم أكن لاستبعد أن يفعل ذلك فهو لم يكن يحب سيدتي من الأساس كما أحبته هى بجنون.

صمتت قليلاً لتسترد أنفاسها قبل أن تكمل : يشاء ربك أن يبطل حجتة ويهدي سيدتي ما أرادت ويعوض صبرها بالطفل الذي تتمناه، بعد ثلاث سنوات من المعاناة أخبرها الطبيب أنها حامل! كانت شديدة الفرح حتى أنها لم تكن تصدقه وذهبت لطبيبين آخرين كي يؤكدوا لها، عمت السعادة المنزل وهدأت الأمور بينهما وازدادت ثقتها بنفسها وبأنه الآن لن يستطيع الاستغناء عنها، لم تكن تعلم أنه غادر يا قلبي عليها وأن حملها هذا الذي كانت تنتظرة سيكون السبب في شقائها.

- لماذا ؟ ما الذي حدث؟ قالها أحمد وهو يتناول كوب الشاي الذي أصبح مثلجًا ليرتشف منه وقد جف حلقة قبل أن يعيده بتقزز.

- أشعر أن هناك نغصة بصدري، اكشف عليَّ ألم تقل أنك طبيب؟ وأهو يكون بباقي ما لم تقم بدفعه.

- أستغفر الله العظيم يا رب. قالها بينه وبين نفسه قبل أن يجيبها محاولاً السيطرة على أعصابه: يا حجة أنا طبيب نفسي وليس عضوي، أرجوكي أكملي ما الذي حدث!

- هممممم، نفسي؟! طيب، قالتها بتهكم قبل أن تكمل: لم يكن حمل سيدتي بخير، بعد أول شهرين بدأت فى النزف وكانت مهددة بأن تفقد حملها، اعطاها الطبيب الكثير من العلاج وطلب منها ألَّا تقوم بمجهود زائد، وطلب من عبد الحميد بك أن يأتي لها بممرضة تقيم معها وتتابعها لنهاية الحمل، بحث عبد الحميد بك عن ممرضة تكون ماهرة وموثوق بها حتى أشار عليه أحد المعارف بواحدة وكانت مشورة سوداء. أنهت جملتها بحقد قبل أن تكمل والكره يقطر من حروفها: كانت تلك الممرضة تلك الحية منار، لم أحبها منذ أن وقعت عليها عيناي، كانت تعاملني بتعالي، باردة، ويحيط بها الشر، كانت تحدث بيني وبينها الكثير من المشادات وكانت تتهمني فى التدخل بعملها، ولكني كنت أعلم جيدًا أنها تريد التخلص مني لأني لاحظت ما يدور بينها وبين عبد الحميد بك بعد مرور حوالي ثلاثة أشهر على وجودها بالمنزل، النظرات المتبادلة بينهما وثقته بها واهتمامه المبالغ بها لم يكن ليفوت على امرأة محنكة مثلي، حاولت تنبيه الست إيمان لما يدور خلف ظهرها وبالفعل طلبت منه أن يقوم باستبدال تلك العاهرة بأخرى، ولكنه رفض ذلك

بإصرار لتتأكد وقتها أن الشكوك التي تحوم حول علاقتهم صحيحة، لقد استغلت ضعف سيدتي ومرضها لتنسج شباكها حول عبد الحميد بك، بعدها بفترة كثرت المشاكل ولكن سيدتي كانت تخشى على فقدان جنينها بسبب ما يحدث فصبرت على أمل أنه بعد أن تتم الولادة على خير سيؤثر ذلك على عبد الحميد بك ويعود لرشده ولكن ازداد الأمر سوءًا مع الوقت حتى أنهم أصبحوا يعاملونها معاملة سيئة لا تليق بها كزوجة وسيدة المنزل، وكانوا يتخلصون من الخدم واحدًا تلو الآخر فلا يظل أحدهم كثيرًا حتى لا يلاحظ ما يحدث ويكشف دناءتهم، أنا الوحيدة التي ظلت شاهدة على شرورهم.

- وماذا كان رد فعل أهل السيدة إيمان؟! كيف سمحوا بأن يحدث ذلك أم لم تكن تشتكي لهم؟ تساءل أحمد باهتمام.

- للأسف، لقد تُوفي والداها بعد زواجها بفترة خلف بعضهما، أمَّا أختها هالة فكان زوجها يعمل بالخارجية، وكانت تعيش خارج البلاد ولم نكن نراها سوى بالمناسبات.

- ماذا حدث بعد ذلك؟

- لقد قرّروا أن يقوموا بحبسها حتى موعد الولادة، لم يعد مسموحًا لها بالتحرك فى حرية بداخل منزلها، حتى أنهم فى ليلة من الليالي كان السيد عبد الحميد فى سفر يخص العمل وقامت مشادة كبيرة بين سيدتي وتلك الحربايا منار انتهت بأن كبلتها منار بفراشها بمساعدة

إحدى الخدم متحججة بخوفها على الجنين من حالة الهياج التى أصابتها والتى كانت هي السبب فيها من الأساس! كانت تقصد إثارتها كي تفعل بها ما تريد تحت غطاء تلك الحجج الواهية، بتلك الليلة ولدت السيدة إيمان، كانت ولادتها مفاجأة لأنها كانت ما تزال بالسابع، كانت حالتها يُرثى لها وتم نقلها للمستشفى وتحفظوا عليها وعلى الفتاة، بذلك الوقت عاد عبد الحميد وقد قطع سفرة بعد ما علم بما حدث واستغل الفرصة بوجود سيدتي بالمستشفى وطلب منى مغادرة المنزل قبل حتى أن أطمئن عليها! بل وهددني أنه إذا قام برؤيتي مرة أخرى أو سمع أنى تفوهت بأي شئ بما حدث تلك الليلة سيقوم بحبسي، كنت خائفة وليس بيدي حيلة ولم يكن بمقدوري شئ وقتها سوى أن ألملم حاجتي وأعود للبلد، بعدها كي أستطيع العيش بدأت فى عمل الفطائر والجبن واللبن الطازج وأقوم ببيعهم لكل من كنت على صلة به قبل العودة، ومن ضمنهم كان عم سيد حارس الفيلا، كان أحياناً يبعث بولده ليأخذ مني طلبية أو اثنين بالشهر وكنت أطمئن على الست إيمان منه، حتى علمت بخبر وفاتها بعد ولادتها لندى بحوالي خمسة أشهر، لقد اعتقد الجميع أنها تُوفيت بسبب ضعفها وحالتها الصعبة بعد الولادة، ولكن أنا الوحيدة التي كانت تعلم الحقيقة.

- أي حقيقة؟!، تساءل أحمد عاقدًا حاجبيه.

- لقد قتلوها. قالتها بصوت قوي وغاضب.

ابتلع أحمد لعابه فى توتر وهو يتبادل النظرات مع ولدها راضي الذي بدى أنه يسمع هذا الكلام للمرة الأولى بدوره وقد اتسعت عيناه ذهولاً قبل أن يقول بتلعثم : ولكن يا حجة السيد عبد الحميد رحمه الله لا يمكن أن يفعل ذلك. قالها باستنكار.

- اصمت أنت، لقد كنت ولدًا صغيرًا لم تراه سوى مرات قليلة، أنا من عاشرتهم وأعلم خفاياهم جيدًا، تلك الوجوه التي كنت أراها على حقيقتها بعد إزالة الأقنعه عنها.

ثم نظرت لأحمد موجهة حديثها إليه بحسم : اسمع يا دكتور، أنا لا أعلم ماذا أصاب الفتاة أو مِن ماذا تعالجها أو معنى طبيب نفسي التى تقولها هذه، ولكن إذا كان هناك أي شيء تشك فيه وأن تلك الفتاة المسكينة مريضة بسببه فاعلم أن لا أحد خلف ذلك سوى منار، إنها حية رقطاء، أكيد تريد التخلص من الفتاة كي تستولى على المال كله لها خصوصًا بعد وفاة عبد الحميد بك كما تقول، أي شيء سيء يحدث ستجد خلفه تلك المرأة، هذا كل ما لديَّ، لك أن تأخذ بكلامي أو تعتبرني عجوزًا خرفة، لك حرية الاختيار، ولكن بالحالتين اتركني واذهب فأنا أشعر بالإرهاق وأريد أن أرتاح. أنهت جملتها وهي تحاول الوقوف ليهب راضي لمساعدتها وإسنادها حتى خرجت من باب الحجرة وهي تزج على قدمها.

ظل أحمد جالسًا للحظات يحاول أن يستعب ما قالته تلك العجوز

من معلومات ستغير مجرى الأحداث كلها، لقد أصبحت الصورة واضحة تمامًا ولا تحتاج إلى تفسير فهي تشرح نفسها، سيناريو بسيط قامت الدراما بتصويره عدة مرات، زوجة الأب الشريرة التى تحاول التخلص من ابنه زوجها كي تستحوذ على المال، ثم نكتشف أنها أيضًا تخلصت من الأم بوقت سابق كي تستطيع أن تمتلك الزوج!

الآن لا يستبعد أن دكتور خالد متورط بشكل ما! ربما هو عشيق لها، فقد رأى لهفته عليها ونظراته لها بالحفل، ربما يساعدها كي يتخلصا من ندى ووقتها سيكون له حق فى النقود كي يبني لنفسة مستشفى خاصة، وماذا عن ليلى؟! هل يمكن أن تكون مشتركة في ذلك المسلسل القذر؟ لا يستطيع تخيل هذا، ولكنه أيضًا لا يستطيع منع نفسة من الشكوك التى تحوم حول الكثير من تصرفاتها المريبة والغموض الذي يحيط بها!!

شعر أن رأسة سينفجر، يحتاج للعودة فورًا والتحدث مع أبيه، لم يعد لديه شك الآن أن ما يحدث لندى هو شئ شرير منار لها يد به كما قالت العجوز، يجب أن يساعده فى تأكيد ذلك أو نفيه، والمهمة الأصعب هي أن يساعده في إقناع د.هادي.

- شكرًا يا سيد راضي على حسن الضيافة، يجب أن أذهب الآن.

- نورتنا يا دكتور، وبعتذر عن ما حدث من الحجة في أمر النقود.. وقاطعه أحمد سريعًا كي يزيل العبء من عليه: لا عليك، إنه شئ بسيط، وإن جئت للحق فما أخبرتني به لا يُقدر بثمن.

- في الحقيقة يا دكتور كنت أريد إخبارك أن .. أنه . بدى مترددًا فحثه أحمد على الكلام: ماذا ؟

- أنت رجل متعلم يا دكتور وتعلم أن كبار السن قد يقولون كلامًا خرف أو يدخلون الأحداث ببعضها، أنا لا أستطيع تخيل أن السيد عبد الحميد قد يفعل شئ من ذلك القبيل.

حرَّك أحمد رأسه متفهمًا وهو يقول بشرود كما لو كان حديث راضي قد ذكره بشيء ما: أصدقك القول، أن السيد عبد الحميد لا يمكن أن يكون قد فعل ذلك أو بمعنى أصح لم يفعلة عن قصد، ربما بتأثير أو خداع زوجته الثانية . قالها وقد بدى أنه يحدث نفسه أكثر من توجيه الحديث لراضي الذي حرّك رأسه مجيبًا: لا حول ولا قوة إلَّا بالله، على العموم تأكد قبل الحكم يا دكتور فإن بعض الطن إثم.

- الله المعين يا سيد راضي، السلام عليكم. انهى أحمد الحديث وقد كانا قد وصلا لباب الدار وانطلق مبتعدًا فى حين ركضت الفتاه الصغيرة تراكله وهو يبتعد مع والدها قبل أن تجذب جلبابه قائلة : أبوي، أبوي حاوطها متسائلاً: نعم يا حلوة.

- ستي لئيمة يابوي وأنا مبحبهاشي.

تنهد الرجل بحرارة قبل أن يربت على كتفها قائلاً : هيا إلى الداخل، ولا تقولي مثل ذلك الحديث مرة أخرى.

قالها قبل أن يلقي نظرة أخيرة على أحمد الذي سار مبتعدًا وقد كان السيناريو يدور برأسه مرارًا وتكرارًا حتى أصبح مقتنعًا به تمامًا، وتذكر الرسالة التي أخبرته بها نجلاء والتى كانت موجهة إليه من السيد عبد الحميد نفسه، لقد حاول أن يبعث له بتلك الرسالة لينبهه، « هناك أسرار خلف كل جدار، وليس كل ما هو ظاهر حقيقي» الآن يفهم.

***

- نيرس إلهام، د.خالد يبحث عنك. قالتها إحدى الممرضات الشابات أثناء مرور إلهام من أمامها.

- حسنًا، سأذهب لمكتبه.

- لا، إنه بالحديقة.

- توقفت إلهام قبل أن تحرك رأسها مشيرة للفتاة أن تكمل عملها قبل أن تغير اتجاهها إلى الحديقة، بالرغم من تلك الجدية التي ترسمها على وجهها الرقيق دائمًا، ومكانتها بالمستشفي حيث أنها المساعدة الخاصة لدكتور خالد والذي يعتبرونه المدير الفعلي للمستشفى بسبب انشغال د.هادي المستمر، إلَّا أنها تختلج دقات قلبها كلما سمعت اسمه أو اقتربت منه، لا تعلم كيف حدث ذلك أو متى! فقط حدث! يبهرها بعلمة وقدرته وأبحاثة وذكائه، كل ما به يمثل فارس أحلامها، ولكنها مجرد أحلام! فهي تعلم جيدًا أنه لا ينظر لها إلَّا كإلهام المساعدة فقط،

تعلم أنه لا يستطيع الاستغناء عنها، ولكن بسبب تفهمها له ولأبحاثه التي لن تتفهم أخرى طبيعتها!

كم تمنت لو كانت ظروفها المادية ساعدتها كي تكون طبيبة، ربما كان أحدث ذلك فارقاً!

وصلت للحديقة بتلك اللحظة، بحثت بعيناها عنه لتجده يقف مع ندى والممرضة هدى ويبدو مستاءً! تنهدت تنهيدة صغيرة قبل أن تتحرك باتجاههم.

- هل تبحث عني يا دكتور؟

- إلهام، أنت تعلمين جيدًا مدى أهمية الاهتمام بجرعات الدواء التى طلبت منك أن تعطيها لندى بنفسك وتتأكدى من تناولها.

- أنا أفعل ذلك فعلاً.

- لقد أهملتي مرتان، وأنتي أكثر شخص يعلم مدى خطورة ذلك!

- أقسم لك لم .....

- قبل أن تقسمي، لقد اكتشفت أن تلك المرتان اعتمدتي فيهم على الممرضة هدى والنتيجة أنها غفلتها ولم تبتلعهم لأنها لا تملك خبرتك ولا تعلم أهمية ما نفعل. قالها بحدة في حين بلعت لعابها بصعوبه وهي تنظر لهدى نظرة نارية التى أشاحت بوجهها في ارتباك.

- اليوم أثناء تغيير الفرش عثروا على الحبات مخبّأة، فتح يده ليريها إياهم قبل أن يلقي بهم في غضب ليتناثروا على أرض الحديقة قائلاً: خطأ مثل ذلك قد يفعل الكثير، أخر مرة سأسامح فى إهمال كهذا.

- آسفة يا دكتور، أعدك أنها أول وأخر مرة. قالتها وهي تنظر للأرض، لا تجرؤ على رؤية تلك النظرة في عينه تجاهها، لقد كانت غبية فعلا ولم تحسب الأمور بشكل جيد، لقد خذلته!

نظر إلى ندى التى كانت تقف دون أي تعبير على وجهها كما لو كان الأمر لا يعنيها من قريب أو بعيد، زفر مفكرًا قبل أن يوجه حديثة إلى إلهام عاقدًا حاجبية: أعيدوها إلى حجرتها الآن، وأعطيها جرعة مكثفة من الدواء (ب) بنفسك.

سرحت فى تلك الشعرات الفضية على جانبي رأسه والتي تزيده وسامة و .....

- نيرس إلهام، هل تنتظرين شئ!!

- أمرك يا دكتور، حالاً. قالتها بارتباك قبل أن تشير لهدى آمرة: أحضريها، وتعالى خلفي على حجرتها.

تحرَّكت هدى ممسكة بذراع ندى لتتحرك بها خلف إلهام فى حين التفتت ندى برأسها للخلف مثبته نظرها على د.خالد الذى راقبها فى قلق حتى اختفت عن أنظاره!

تقدمتهم إلهام لداخل الغرفة وانتظرت حتى دلفا لتغلق الباب خلفهم بعنف قبل أن تمسك بذراع ندى من هدى بقوة دافعة إيّاها على المقعد بغضب: أيتها الخبيثة، بسببك أتعرض للتوبيخ من د.خالد! لم يحدث ذلك على مدار عملي من قبل، لن تخرجي من هنا أبدًا مهما حاولتي، على جثتي.

ثم نظرت لهدى مشيرة لها بأصبعها : أمَّا أنتي، لن تكوني مسؤولة عنها بعد الآن، سأجد بديلاً لكي.

ثم تحرّكت باتجاه الباب قبل أن تلتفت قائلة: سأذهب لإحضار جرعة الدواء وعندما أعود سنرى من سيأخذ مكانك هنا معها. ثم فتحت الباب وخرجت وأغلقته خلفها بعنف.

ضاقت عين ندى وهي تشعر بالغيظ، ما يصبرها أن أحمد على اتصال بهدى وأخبرها أنه اقترب من طريقة لعلاج ندى وإخراجها من هنا وطلب منها أن تطمئنها وتخبرها أنه قادم لأجلها، فقط عليها أن تلتزم الهدوء وتتحمل لبضعة أيام أخرى، ولكنها لم تعد تستطيع التحمل أكثر من ذلك.

اقتربت منها هدى ووضعت يدها على كتفها بلطف فرفعت نظرها إليها فى صمت قبل أن تثبت نظرها على الباب مجددًا وقد لاحت ملامحها عن غضب مكتوم.

***

تحرَّكت إلهام في خطوات سريعة وكعب حذائها يدق الأرض بعصبية باتجاه حجرتها الخاصة بالمستشفى، دلفت إلى الحجرة وأغلقت الباب خلفها، ثم اتجهت إلى خزانة ملابسها التي تحتفظ فيها بزجاجات الدواء الخاصة بندى والتى تحتفظ بها بشكل خاص بعيدًا عن الأدوية الأخرى التى يتم وضعها في صيدلية المستشفى، أمسكت بزجاجة صغيرة مكتوب عليها حرف الباء، ولكنها وجدتها فارغة إلَّا من حباية واحدة، ألقت بها على الفراش بعصبية: اللعنة. قالتها قبل أن تضع يدها على وجهها وتحاول أن تهدأ وقد دمعت عيناها، لم تحب فكرة توبيخها أمام الممرضة هدى بذلك الشكل واتهامه لها بالتقصير، تلك الغبية هدى هي السبب فيما حدث، لم يكن من المفترض أن يحدث ذلك لولا أنها اعتمدت عليها بسبب انشغالها، ستجعلها تدفع ثمن إهمالها هذا، ما يضايقها حقا هو استياء د.خالد منها، فهي لا تستطيع أن تتحمل فكرة أن يغير نظرتة لها ويفقد ثقتة بها، بعد أن كانت هدف لمدحه وضرب المثل بدقتها فى العمل، مجرد الفكرة بأنة غاضب منها تثير جنونها! زفرت بحرارة وعدلت من ملابسها قبل أن تخرج من حجرتها متجهة إلى المبنى المجاور الخاص بعلاج الإدمان، بذلك المبنى يقع به في الطابق الأخير حجرة خاصة كانت مهمله قبل أن يتخذها د.خالد لمزاولة أبحاثه وتجاربه بها لا يعلم احد عنها شئ سواها! فالطابق فارغ ومهمل منذ زمن، كان يحتفظ هناك بزجاجات إضافية من الدواء عليها أن تجلب بديلاً لتلك الفارغة لديها.

دلفت إلى المبنى ألقت التحية على من قابلتهم بطريقها بحركة رأس سريعة قبل أن تتجه إلى المصعد ضاغطة على الطابق الخامس، كانت مازالت تفكر بدكتور خالد وكيف تصلح صورتها لديه عندما توقف المصعد بها فجأة ما بين الطابق الرابع والخامس! اخذت بالضغط مرارًا على رقم الطابق بنفاد صبر فتحرك قليلاً قبل أن يتوقف مجددًا!

- اللعنة، ما خطب اليوم؟ قالتها وهي تضغط على زر التنبيه المخصص للأعطال ولكن دون جدوى!

فجأة شعرت برغبة ملحة في الخروج من المصعد، كما لو كانت تشعر بالاختناق! لم تكن لديها فوبيا من الأماكن المغلقة وبطبيعتها لديها قوة جأش لتحمل مثل ذلك موقف، لم تكن المرة الأولى على كل حال فالمصعد قديم وفعلها من قبل، ولكن تلك المرة كانت الأطول في الانتظار! شعرت فجأة برغبة في أن تحاول فتح الباب بيدها لترى أين يقف ربما تجد من يساعدها، حاولت مرارًا وتكرارًا حتى انفتح أخيرًا جزءًا منه فنظرت من خلاله، ولكنها لم تجد أحد بالممر أمامها، طبيعي فذلك وقت الغذاء بكافتيريا المستشفى ولا يوجد سوى القلة وغالبًا بيكونوا بالأسفل فى ذلك الوقت! حدثت نفسها.

- هو يوم ظاهر من أوله. قالتها بحنق وهي تحاول أن تفتح جزءًا آخر من الباب يسمح لجسدها النحيل بأن يمر من خلاله فهي لن تظل هنا إلى ما لا نهاية.

نجحت فى فتح جزءًا بسيطاً آخر من باب المصعد تحت ثقل قوة دفعها له، كانت تشعر أن رغبتها فى الخروج مُلحة بشكل غريب، لم تعتاد الشعور بالخوف من قبل بمثل ذلك الإصرار!

أخرجت رأسها أولاً بالجانب وهي تحاول دفع جسدها للخارج فجأة تحرك المصعد لثانية هابطًا فتسمرت مكانها في رعب وقد جحظت عيناها، ولكنه توقف فتنفست الصعداء قبل أن تحاول بإصرار أكبر تلك المرة فأخرجت رأسها وكتفاها وكادت تدفع بجسدها خارجًا عندما تحرك المصعد مجددًا فجأة صاعدًا ولكنه تلك المرة لم يتوقف! وانتشرت الدماء بكل مكان!!!!

***

تعلقت عينا أحمد وأيمن بوالد الأول الشيخ محمد الشحري بعد أن انتهى أحمد من سرد كل شئ على مسامعهم، منتهيًا بقصة الحجة فوزية وأخيرًا اعتقادة بأن ما يحدث مع ندى خارج أسوار العلم!.

اعتدل الشيخ محمد بجلسته وقد كان يسبح طوال الوقت دون أن يقاطعه حتى انتهى تمامًا من سرد كل ما لديه، كان أحمد شديد الحماس وقد أصبح يؤمن بنسبة مئة بالمئة أن السيناريو كما رتبه تمامًا، كل الأحداث تشير إلى منطقية ذلك.

- إذا أنت تعتقد أن تلك الفتاة تقع تحت تأثير السحر؟

- أنا واثق من ذلك، أنا متأكد أن السيدة منار استخدمت السحر كي تمرض ندى وتجبرها على دخول المستشفى دون أن تثير الشك حول نواياها تجاه ابنة زوجها، وبالتالي ستستطيع أن تتحكم بالثروة كما تريد، ود.خالد يساعدها في إبقاء ندى حبيسة المستشفى والمقابل مادي أو قد يكون عاطفي، أو ربما الاثنين معًا! ولكن ندى تمتلك شفافية خاصة تجعلها تستطيع التواصل مع الأرواح أو السفر لعالم البرزخ بطريقة ما! إنها هبة وهبها الله إيّاها وميزها بها وتلك الهبة هي التي ساعدتها على البقاء متوازنة، وكذلك من خلالها استطاع السيد عبد الحميد إيصال تلك الرسالة لي والتي تبدو منطقية تمامًا بعد مقابلة الحجة فوزية، فكروا معي بالجملة « هناك أسرار خلف كل جدار، وليس كل ما هو ظاهر حقيقي» إنها تتوافق تمامًا مع ما توصلت له، كان يريد تنبيهي أن منار ليست والدة ندى، وأن هناك أسرار إذا اكتشفتها سأزيل الغموض عن القصة بأكملها، كان يريد أن يساعدني كي أنقذ ابنتة من زوجته التي استغلت وفاتة كي تطيح بها وخانت الأمانة، إذا قمنا ربط ذلك بما حدث مع ليلى قديمًا بعد وقوع الحادث، وكيف كان رد فعل السيد عبد الحميد عنيف وقاسي وأبعد الفتاة عن أمها وعنه فسيكون من المنطقي أن تشعر الأم بالضغينة تجاه ندى لأنها بنظرها هي السبب، وهذه تمامًا هي المشاعر السلبية التي نقلتها لابنتها ليلى وبالتالي نشأت الفتاة على كره أختها وعدم الاعتراض على أذيتها لأنها بداخلها تؤمن تمامًا أنها تستحق ذلك.

- تحليل نفسي قوي ومنطقي جدًا. يا إلهي أشعر أنني أشاهد مسلسلاً، لا أصدق أن هناك مثل تلك المشاكل بالحياة الواقعية فعلاً. قالها أيمن بأسى.

- للأسف يوجد ما هو أسوأ. قالها الشيخ محمد قبل أن ينظر لأحمد متسائلاً باهتمام: هل اطلعت د.هادي على ما أخبرتنا به؟

- لقد عاد أمس من السفر، سأتصل به اليوم للاتفاق على موعد كي نقابله معًا، وجودك معي سيكون له تأثير قوي عليه، أنت تعلم أنه لن يقتنع بسهولة أن نخوض تجربة فك السحر تلك.

- أريد أن أكون حاضر بتلك اللحظة، لن تذهب دوني. قالها أيمن بحماس مما جعل والد أحمد تنفرج ملامحة ضاحكًا وهو يجيبه: هل تعتقد أنها عملية طرد أرواح شريرة كالتي ترونها فى تلك الأفلام الخائبة؟ إنه علاج بالقرآن الكريم وقد يؤتي مفعوله إذا أراد الله لها الشفاء وقد لا يحدث.

- ماذا تقصد أنه قد لا يحدث؟ تساءل أحمد عاقدًا حاجبيه فى اهتمام

- يجب أن تعلم بأنه سبحانه مصرف الأمور، وأنه متى شاء شيئاً كان واذا لم يشأ لم يكن سبحانه وتعالى، فالأمر بيده جل وعلا ، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن فعند الإيمان وعند الصدق مع الله يزول المرض بإذن الله وبسرعة، وتنفع الأدوية الحسية والمعنوية.

- أنا أثق بك يا أبي، لا يوجد من هو أقدر منك أو أكثر إيمان.

- سنستعين بالله يا ولدي ونتمنى منه التوفيق. قالها مبتسمًا مما ملأ قلب أحمد بدفء الاطمئنان على إثرها.

فجأة دقّ الهاتف المحمول فنظر أحمد فى الرقم قبل أن يقول متعجبًا: إنه د.هادي!

- أيوه، عليكم السلام يا دكتور، حمد الله على السلامة لقد كنت أنوي الاتصال بك اليوم إن شاء الله و.... صمت عن الحديث وهو يستمع فى اهتمام قبل أن ينهي المكالمة عاقدًا حاجبيه.

- ماذا هناك؟ تساءل أيمن بفضول

- يقول أن هناك حادث قد وقع بالمستشفى اكتشف على إثرة شيئاً هامًا يخص د.خالد، ويريدني أن أذهب إليه الآن!!

- إذا أعتقد أنه الوقت المناسب كي نذهب معًا، جميعًا. قالها أيمن مشيرًا للحج محمد.

- نعم، أعتقد ذلك. قالها أحمد مؤيدًا، فلم يعد الأمر يحتمل التأجيل، لقد حان وقت المواجهة.

***

كانت المستشفى بأكملها ممرضين وأطباء ليس لهم حديث سوى ذلك الحادث المريع الذي حدث لإلهام!

لم يكن أحدهم يحبها بالمعنى المفهوم، ولكن الجميع كان يحترمها ويقدر عملها ويعلموا أن موتها خسارة فادحة خاصة لدكتور خالد الذي كان يعتمد عليها اعتمادًا كاملاً.

عندما وصل أحمد إلى المستشفى لاحظ عدم التوازن عند الجميع وقد صادف نجلاء التي أخبرته بشكل سريع عما حدث أمس وما حدث من هرج بعد اكتشاف الحادث، لقد صادف عودة د.هادي بنفس اليوم ولم يمهله ما حدث وقتًا للراحة فقد جاء من المطار على المستشفى فورًا. ثم استأذنت منه، لم يشعر أحمد بالحزن على ما حدث للممرضة إلهام فهو لم يكن يرتاح لها وكان لديه شك أنها متورطة بدورها في قصة ندى، ولكنه شعر بالشفقة عليها من الطريقة البشعة التى ماتت به!

أكمل طريقه إلى مكتب د.هادي ومعه أيمن ووالده الشيخ محمد فما أن وصلوا حتى وجد ضابط الشرطة يخرج من المكتب مبتعدًا، دقّ أحمد على الباب مستأذنا للدخول فأجابه صوت د.هادي وقد بدى عليه الإرهاق الشديد.

دلفوا إلى الحجرة فوقف د.هادي مندهشًا وهو يرحب بالشيخ محمد في حرارة فقد كان على علاقة طيبة به بسبب أنهم كانوا جيران قديمًا قبل أن ينتقل بمسكنه لمكان آخر، وكان يكن له شديد الاحترام، وقد

كان ذلك هو سبب اهتمامه بأحمد فى المقام الأول، ثم ألقى السلام على أيمن قبل أن يلتفت لأحمد قائلاً: جيد أنك جئتني على الفور، هل سمعت بما حدث؟

- ليس بالتفصيل لكن نعم علمت بالحادث الذي وقع للممرضة إلهام بالأمس، البقاء لله.

- ونعم بالله، لقد تم تسجيل الحادث قضاء وقدر، حمدًا لله أنهم لم يضعوا المسؤولية على عاتق المستشفى أو كان سيضر ذلك بسمعة المستشفى وسمعتي أيضًا. ثم أشار للشيخ محمد بلياقة.

- تفضل يا حج. قبل أن يكمل بترحيب: لقد اشتقت لجلساتنا القديمة ومناقشاتنا معًا، أنا سعيد والله بتشريفك مكتبي اليوم.

- الله يعز مقدارك ويباركلك. قالها الشيخ محمد وهو يتخذ مجلسة على المقعد المواجه للمكتب قبل أن يقول بهدوء: بالطبع إنت مندهش لتلك الزيارة المفاجئة.

- إنت تنور بأي وقت يا حج.

- في الحقيقة يا دكتور هادي، أنا الذي طلبت من والدي أن يأتي معي اليوم لأنه الوحيد القادر على إقناعك بما أريد فعله.

- وما الذي تريد فعله ؟ تساءل د.هادي باهتمام عاقدًا حاجبيه.

- بالبداية أريد أن أقص عليك أمرًا يخص الحالة ١٠٧، لقد كنت أتابعك بكل ما هو جديد بحالتها وأنت بالخارج، وحضرتك أخبرتني أن ما وصلت له مبهراً.

- نعم، هذا صحيح.

- حسنًا، لقد وقف د.خالد بطريقى للعلاج وطلب مني الابتعاد وقد وافقته والده ندى على ذلك.

- لقد اكتشفت لماذا كان يريد د.خالد الاحتفاظ بحالة ندى والاستحواذ عليها وحده ويعود الفضل في ذلك الاكتشاف إلى حادث وفاة إلهام للأسف، ولكن غريبة أن توافقة مدام منار على ذلك!

- فعلاً، لقد كان الأمر بالنسبة لي غريبًا أيضًا حتى اكتشفت السبب، ولكن كيف كان حادث إلهام كاشفًا لما يفعله د.خالد؟ تساءل أحمد بتعجب.

- أخبرني أولاً بما جعلك تأتي بالحج محمد بنفسه إلى هنا من أجله، ثم سأخبرك.

أخذ أحمد نفسه قبل أن يقص مجددًا الحكاية بأكملها على د.هادي الذي جلس يستمع له في اهتمام عاقدًا يديه أمامه دون مقاطعة، فقط كانت تتغير تعابير وجهه بين الضيق تارة ورفع حاجباه اندهاشًا تارة أخرى في بعض المقاطع حتى انتهى أحمد من الحديث.

- ما تقولة خطير جدًا يا أحمد، لو كنت جئتني من قبل اليوم لما استطعت التصديق أن د.خالد من الممكن أن يكون متورطًا بتلك الصورة، ولكن بعد ما حدث وربط الأحداث معًا، للأسف يبدو الأمر منطقيًّا بالنسبة لي.

- هناك أمر أخير يا دكتور أريد تجربته مع ندى وهذا ما جعلني أدخل أبي بالموضوع، أنت تعلم أننا جربنا كل الطرق العلمية فى علاج ندى، حتى ما فعلته معها أتى بنتيجة ناجحة بنسبة ستين بالمئة فقط، لقد عادت لتوازنها واستعادت قوتها وإدراكها وأسلوب تعاملها السوي مع المواقف والمتغيرات المحيطة، ولكنها ظلت ترى نفسها بنفس الصورة وبنفس الإحساس، بالرغم من أني أثبت لك علميًا أن ما تمر به لم يعد له أي صلة بمتلازمة كوتار كما كان التشخيص لها فلم يبقَ لي سوى التفكير بشكل مختلف وهو أنها خاضعة تحت تأثير نوع من أنواع السحر لتكون تحت رحمة المرض النفسي.

- سحر؟! كيف لك كرجل علم أن تفكر مثل هذا التفكير؟! تساءل د.هادي مستنكرًا.

- هنا تدخل الشيخ محمد قائلاً: أستأذنك يا د.هادي، أنا أختلف معك، أنت رجل علم وأنا رجل دين وقد جمع الله سبحانه وتعالى العلم والدين بكتابة الكريم، لا تستطيع أن تنفي وجود السحر، لقد تم ذكره بالقرآن والإنجيل ولا يمكن نكرانه، ربما يكون أحمد مخطئ فى

استنتاجه، ولكنه أيضًا قد يكون مصحًا! لماذا لا نخوض تلك التجربة البسيطة؟ مستقبل تلك الفتاة بين يدك كإنسان فى المقام الأول قبل طبيب، سأقوم بقراءة بعض الآيات عليها والرقية ليس أكثر، لن يكلفك الأمر أي شئ أو يثقل على كاهلك بمسؤولية ما.

- لقد غلبتني كالعادة يا حج محمد، تلك أغرب حالة مرت عليَّا على الإطلاق، مهما مر المرء بخبرات فبحر الحياة لا ينضب، حسنًا، نستطيع الاتفاق على موعد نقوم فيه بتلك المحاولة ونرى إذا كان الأمر علمي أم خارج أسوار العلم!

- شكرا يا دكتور لثقتك بي. قالها أحمد براحة.

- ثقتي بالحج محمد، لقد كان تصرف ذكي منك أن تأتي به معك، فقد كان يغلبني دائمًا فى الجدال كما كان يغلبني في الطاولة. قالها ضاحكا

- ثقتنا جميعًا بالله سبحانة وتعالى. أجابه الشيخ محمد مبتسمًا

قبل أن يسأله أحمد باهتمام: لم تخبرني يا دكتور ما الذي كشفه الحادث عن د.خالد؟

- لقد كانت إلهام في طريقها للطابق الخامس بمبنى الإدمان عندما وقع لها الحادث، الطابق الخامس مهجور ولا نقوم باستخدامه منذ فترة إلَّا لتخزين بعض الأثاث المتهالك أو صناديق الدواء الإضافية وهكذا،

لم يكن هناك ما يخصها لذلك كنت مندهشًا لمحاولتها الصعود إلى هناك! ثم اكتشفت بالأعلى حجرة مجهزة خاصة لا أعلم عنها شئ! كان بها بعض زجاجات من دواء يبدو مركبًا وغير معلوم وكل زجاجة تحمل رمز معين! كان هناك مقعد خاص بالجلسات الكهربائية وله قيود! ومنضدة طويلة وبعض المواد الكيماوية التي تستخدم فى تركيب الدواء! وملفات بها الكثير من العلامات وما يبدو كأبحاث خاصة!

- هل تلك الحجرة خاصة بدكتور خالد؟!

- يبدو أنه صنعها من خلف ظهري ولا أعلم لأي هدف؟ إذا كان يحتاج لمعمل خاص لأبحاث يقوم بها لم أكن لأرفض ذلك طالما ما يقوم به قانوني وفى المصلحة العامة، ولكن ما لفت نظري والمثير بالأمر أن جميع الملفات كانت تحمل اسم واحد فقط! ندى عبد الحميد البنداري!!

- هل تقصد أنه كان يقوم بعمل تجارب على ندى؟! تساءل أيمن باندهاش

- أو يحاول أن يساعد فى إبقائها مريضة. أعقب أحمد على سؤال صديقه عاقدًا حاجبيه بغضب.

- كل هذه مجرد تكهنات لا يعلم مدى صحتها إلَّا الله، فأنا لم أتحدث معه بعد.

- ألم تبلغ الشرطة؟ تساءل أحمد بغيظ.

- سأتحدث معه أولاً، قبل أن أفكر فى اتخاذ أي إجراء. إجابة بضيق قبل أن يغير الموضوع قائلاً: المهم أن ما حدث يجعلنى أميل إلى تصديق نظريتك حول ندى، وحتى ينكشف ذلك الغموض سأوافق على جلسة العلاج بالقرآن التى طلبها منى الحج محمد، فقط أمهلاني بضعة أيام حتى تنتهي تلك الفوضى وتعود الأمور إلى طبيعتها.

- ولكن يا دكتور ....

- بضعة أيام لن تضير شئ يا أحمد، وأعدك أنى سأشرف على حالة ندى بنفسي حتى ذلك الوقت. قالها د.هادي مقاطعًا اعتراض أحمد.

- إذا، نلقاك بعد بضعة أيام على خير إن شاء الله. قالها الشيخ محمد وهو يقف مستعدًا للرحيل حاسمًا للأمر.

شكره الشيخ محمد وخرج راضيا يسبح، في حين كان أيمن يشغل باله أمر ذلك المعمل الذى أخبرهم به د.هادي، أمَّا أحمد فقد كان لا يشغل تفكيره إلَّا شيئاً واحدًا فقط، ندى.

***

جلس أحمد مع أيمن بحجرة الأخير بمنزله وقد بدى الضيق على أحمد.

- لقد مر ثلاثة أيام حتى الآن ولم يتصل بنا د.هادي. قالها وهو يلقى بهاتفه المحمول على الفراش أمامه بنفاد صبر قبل أن يكمل بحنق: لقد أخبرتني هدى أن د.خالد قد ترك المستشفى بعد أن قدم استقالتة كما أخبر د.هادي الجميع دون تقديم أسباب، لا أعلم كيف لم يتخذ معه أي إجراء قانوني أو يقدم ضده شكوى لنقابة الأطباء!!

- أنت تعلم أن د.هادي رجل طيب، ولا نعلم ما دار بينهم من حديث! ربما أبدى د.خالد ندمه وإعطاه د.هادي فرصة كي يبدأ صفحة جديدة خاصة أنه من حديثك عنه وحديث العاملين بالمستشفى يظهر أنه على قدر كبير من المهارة والعلم كطبيب.

- لا أجد ذلك مبررًا كي نتغاضى عن أنه خان شرف المهنة، ولا أعتقد أن شخص بنرجسية د.خالد من الممكن أن يندم أو يتغير بسهولة كما يعتقد د.هادي!

- على كلٍ، فلتنظر للجانب المشرق من الأمر وهو أن ندى لم تعد تحت رحمته بعد الآن، ود.هادي يشرف على حالتها بنفسه وسيرى مدى صحة كلامك فى تشخيص حالتها، وأنه خلال أيام قليلة سيعطينا فرصة أن نجرب معها ما أردت تجربته من جلسة علاج بالقرآن لنرى تأثير ذلك.

- أتمنى أن يحدث ذلك سريعًا وينتهي الأمر.

- أخبرني، وأنت مع ندى ألم تفكر للحظة أنه ربما تكون مريضة حقا ولكن بمرض غريب أو نادر؟ ربما ليس لدينا الخبرة الكافية لاكتشافه؟ تساءل أيمن باهتمام.

- لا، لم أشعر أنها مريضة بمرض نفسي تنطبق علية القواعد التي درسناها، كل ما بدر منها كان نتيجة طبيعية للدواء الذي كان يجبرها د.خالد على تناوله، وأمر رؤيتها لنفسها بتلك الصورة التي كانت تؤثر على أعصابها ليس هناك سبب منطقي لها على الإطلاق ولا تنطبق عليها نظرية متلازمة كوتار كما أخبرتك من قبل، ولكن لماذا تسأل؟!

- لأني أجد أمر تحضير د.خالد لمعمل خاص لمجرد أن يبقيها مريضة غير منطقي! أشعر أن هناك حلقة مفقودة! شرح د.هادي لما وجده بالمعمل بتلك الصورة واهتمام د.خالد بإخفاء الأمر يدل على أنه كان يستخدمة في أمر أكبر من ذلك، مثل إجراء تجارب وأبحاث خاصة.

- ربما لا يقتصر الأمر على حالة ندى فقط، من الممكن أن يكون قد أصابه الجنون وكان يقوم بالتجارب على مرضى آخرين معها، نحن لا نستطيع الجزم بما كان يفعل حقا ولا يشغلني الأمر كثيرًا، كل ما أنتظرة الآن هو اتصال د.هادي وتحسن حالة ندى لإخراجها من المستشفى كما وعدتها.

بدى التفكير على أيمن الذى بدى أنه سيقول شئ ما، ولكنه تراجع قبل أن يتحرك أحمد عازمًا على الذهاب : هل يمكنك شحن الهاتف

من أجلى ؟ ذلك الهاتف اللعين لم تعد بطاريته تحتمل، سأتركه لك ولا تغلقة إذ ربما يتصل بنا د.هادي بأي لحظة، ساذهب إلى العمل لتقديم طلب الأجازة حتى أتفرغ للامتحانات مثل كل عام كما تعلم.

- حسنًا، سأقوم بوضعه على الشاحن قليلا قبل أن أذهب إلى المستشفى، فاليوم هو أخر يوم لى هناك كي أنهي البحث وأقدمة لدكتور هادي، يمكنك أن تأخذ السيارة، سيمر عليَّ إيهاب لكي نذهب معًا.

- إذا سأمر عليك بعد ساعتين من الآن عند المستشفى كي آخذ الهاتف وأعيد إليك السيارة. قالها أحمد ببساطة وهو يمسك بمفاتيح السيارة التى قام أيمن بإلقائها له بالهواء.

- اتفقنا، نتقابل بعد ساعتين إذا أمام مستشفى د.هادي. قالها أيمن مبتسمًا

- إن شاء الله.

***

أنهى أيمن ما اتى للمستشفى من أجله وكان لا يزال نصف ساعة على موعده مع أحمد، لذلك لم يتردد كثيرًا عندما وجد ندى تجلس فى الحديقة بهدوء، وحيدة، شاردة واقترب منها ملقيًا السلام، رفعت رأسها ناظرة له للحظات قبل أن يشرق وجهها بابتسامة قائلة: أنت زميل أحمد، أليس كذلك؟

- فى الحقيقة نحن أكثر من إخوات. قالها مبتسمًا قبل أن يكمل محاولاً التغلب على خجله: هل يمكنني الجلوس معك قليلا؟

- بالتأكيد، تفضل.

جلس على المقعد المواجه لها وهو يشعر بالارتباك، لم يكن يعلم ما يريد معرفته بالضبط، ولكنه شعر بالفضول فى أن يتحدث معها بعد كل ما حدث!

- كيف حال أحمد؟ لماذا يبعث لي بالأخبار مع هدى ولم يعد يأتي ليراني؟

- فى الواقع الأمر ليس بيده، لقد كان ذلك طلب د.هادي له بتلك الفترة.

- على العموم بعد أن تخلصت من د.خالد لم يعد الأمر يقلقني، أعلم أنها مسألة وقت وسأخرج من هنا قريبًا، أشعر أنى أتحسن، حتى د.هادي لاحظ ذلك.

- نعم، واضح. أجابها أيمن وهو يتمعن بملامحها قبل أن يستجمع شجاعته قائلاً: ولكن، الست قلقة من عودتك للمنزل؟

- لماذا؟ سأعود لحياتي الطبيعية مجددًا مع والدتي وأختي، ما الذي قد يجعلني قلقة!

- على حسب ما قصَّه أحمد لي، فأنت علاقتك بهما ليست على ما يرام، ومع ذلك أرى أنك تحاولين إظهار عكس هذا!!

- ربما أكون غاضبة أو مستاءة، ولكن لا يوجد شخص يكرة عائلته مهما حدث، فأنا أعلم بالرغم من كل ما حدث أن والدتي فعلت ذلك، لأنها تعتقد أنه لصالحي.

- إذا فأنت متصالحة مع الأمر لأنها والدتك؟

- بالتأكيد. قالتها باقتضاب وقد بدأت تشعر بالضيق من أسلوب الطبيب النفسي الذي يحاول ممارستة عليها.

- وماذا لو لم تكن والدتك؟ سألها بشكل مفاجئ

- ظلت متمعنه به دون أى انفعال على وجهها قبل أن تجيبه بهدوء: ماذا تعني؟!

- مجرد سؤال فضولي، أنتي تقولين أنك تسامحيها لأنها والدتك فماذا لو اكتشفتي أنها ليست والدتك؟

أراحت ظهرها إلى الخلف عاقدة حاجباها قبل أن تجيبه ببرود: لقد اكتشف أحمد ذلك إذا؟

كما توقع أيمن تمامًا، لقد كانت تعلم، ولكن السؤال الذي يحيرة حقا هو لماذا لم تخبر أحمد من البداية ؟!!

- أنتي تعلمين اذا؟

- لقد علمت بذلك بعد الحادث.

- لماذا لم تخبري أحمد؟ كنتي ستوفرين عليه الكثير وقتها؟

- أردته أن يكتشف ذلك بنفسه، أن يتوصل للحقيقة كاملة دون أي تدخل مني، خاصة أنني كنت بنظرهم مجنونة! إذا كنت أخبرته كان سيحاول مواجهتها وربما كان ينبههم هذا لإخفاء الأمر أو إنكارة، خاصة أن والدي رحمه الله ويغفر له قد سجلني باسمها هي.

- وكيف اكتشفتي الأمر إذا؟

- بالصدفة، تستطيع القول إنها كانت رسالة من الله لي كي أعلم الحقيقة.

- كيف ؟ تساءل عاقدًا حاجبية وقد تعجب إجابتها!

- لا أريد التحدث بالأمر. أجابته ببرود

- نعود للسؤال الأصلي إذا، هل مازلتي مصرة أنك تسامحينها على ما فعلت بكي مع واقع أنها ليست والدتك؟

- ما الذي ترمي إليه؟

- لا شئ، إنها مجرد دردشة بسيطة.

- ماذا لو كنت مكاني؟ هل كنت ستسامح في حقك؟

- هناك قانون فى علم النفس يقول: إن هناك فروقاً فردية بين الأفراد تكون المسؤولة عن ردود الأفعال فى مثل تلك المواقف، فما يتقبلة شخص قد لا يتقبله الآخر.

- لم تجاوبني على سؤالي!

- وكذلك أنتي. قالها بهدوء.

- نعم أسامحها. قالتها بشبه تحدي.

- لماذا؟ كان يحاول الضغط عليها كي يتأكد من أمر ما يدور بخلده.

- كل ما أريده هو أن أعود لحياتي الطبيعية مجددًا وأن أحيا في سلام.

- هل تحاولين إقناعي أنك ستعاودين الحياة معهم كما لو كان شئ لم يكن! ألَّا تعتقدين أن ذلك سيكون نوعًا ما من التظاهر؟

- ما الذي تريد قوله ؟ تساءلت بغضب.

- أريد القول أنه ليس من الطبيعي أن تحاولين إنكار الحقيقة التي تعلمينها جيدًا لتصلي إلى هدفك بأن تعودي إلى حياتك من قبل! ليس من الطبيعي أن تقومي بكتمان مشاعر الغضب والضيق والحزن والتظاهر بأن كل شئ على ما يرام! أعتقد أنك حتى لو تخلصتي من تلك المتلازمة أو السحر الواقع عليكي كما يعتقد أحمد فأنتي ستزالين محتاجة إلى العلاج والتقطيب النفسي، لو كنتي أجبتيني بشكل طبيعي

مخرجة غضبك وحنقك كنت سأقتنع وقتها أن أحمد ليس مخطئاً، ولكن الآن أعتقد أنه قد تسرع في ربط مرضك بتلك المتلازمة فقط!

- هل تقصد أنك تراني مجنونة؟! هل هذا ما ستخبر به أحمد؟

- المرض النفسي ليس جنون، انت تحتاجين إلى المساعدة، إذا أهملنا ذلك قد يصل بكي الأمر إلى الجنون ووقتها قد تتسببين في إيذاء نفسك أو الغير.

- لا أريد إكمال ذلك الحديث، أعتقد أنه عليك الذهاب الآن.

- لقد كنت على وشك الذهاب على أي حال، لم اقصد اغضابك أو الضغط عليكي ولكن فقط أريد اخبارك أن اول خطوة في العلاج النفسي هي أن يواجة المريض حقيقة معاناتة ويتفهمها كي يستطيع التغلب عليها ويعود لحياتة الطبيعية كما تقولين، استمرارك في التظاهر سيجعل الأمر يزداد سوءًا وقد يصير خطر لقنبلة موقوتة على وشك الانفجار بأي لحظة.

ظلت محدقة به دو أن تنطق فتناول مذكرتة والبحث الذي قام بإنهائه من على المنضدة قبل أن يقف عازمًا على الرحيل: أتمنى أن تفكري بكلامي جيدًا. قالها دون أن ينتظر منها إجابة والتفت مبتعدًا وقد سلطت نظرها على ظهره فى تفكير.

تحرك خارجًا من بوابة المستشفى، كان موعد لقاءه مع أحمد قد مر عليه خمس دقائق، وقف بانتظاره وهو يفكر بذلك الحديث الذي دار بينه وبين ندى، يجب أن يتحدث إلى أحمد بالأمر، لن يسمح له أن يندفع خلف عواطفه وإهمال ما قام بدراسته، قد يؤثر ذلك عليه كطبيب فيما بعد!

رأى أحمد على الجانب الآخر من الطريق فأشار له مبتسمًا، أجابه أحمد بإشارة من يده بدوره أنه سيقوم بالدوران له فهو يعلم جيدًا الرهبة لدى أيمن من المرور وسط السيارات! حتى أنه كان دائم السخرية منه قائلاً: ستكون أول حالة لي في العلاج النفسي لكي أخلصك من تلك «الفوبيا»**

**** الفوبيا: هو مرض نفسي يعرف بأنه خوف متواصل من مواقف أو نشاطات معينة عند حدوثها أو مجرد التفكير فيها.**

فجأة ودون سابق إنذار وجد أيمن يمر بالشارع دون اهتمام! كان الطريق سريعًا أمام المستشفى! لتصدمة سيارة تفاجأت به أمامها ليطير على إثرها عدة أمتار قبل أن يقع تحت نظرات أحمد الذاهلة!!

***

- لقد دخل بغيبوبة.

- قالها الطبيب موجهًا حديثه إلى والد أيمن وبجانبه أحمد والحج محمد ود.هادي الذي علم بالخبر من أمن البوابة وانتقل معهم فوراً إلى المستشفى.

كان أحمد مازال تحت تأثير الصدمة! لا يستطع استيعاب ما حدث لصديقه أمام عينيه!

- وماذا يعني ذلك يا دكتور؟ تساءل والد أيمن بصوت مرتعش

- الغيبوبة هي حالة من فقدان الوعي التام بالمحيط، قد يكون قصير أو طويل المدى، لقد تضرر جزءًا من الدماغ ولكننا استطعنا إيقاف النزف، ليس بيدنا شئ سوى الدعاء. قالها الطبيب بأدب قبل أن يستأذنهم فى الذهاب.

- لا حول ولا قوة إلَّا بالله، لا حول ولا قوة إلَّا بالله. أخذ يرددها والد أيمن الذي لم تكن قدماه قادرة على حملة فأسنده أحمد بعيون دامعة في حين وقف د.هادي فى حزن يراقب الموقف.

- فلتكن ثقتك بالله كبيرة يا حج عبد الحفيظ، حمدا لله انه مازال على قيد الحياة، لقد كانت الصدمة قوية، أن شاء الله يقوم بالسلامة، فالغيبوبة كما قال الطبيب مجرد حالة من الإغماء قد تطول وقد تقصر، علينا بالدعاء له وأنا على ثقة أن الله لن يخذلنا.

- لله الأمر من قبل ومن بعد يا حج محمد، ونعم بالله.

ربت الحج محمد على كتف ولده محاولاً تثبيتة حتى لا يفقد أعصابه أمام والد أيمن قبل أن يشير د.هادي للحج محمد كي يحدثه بعيدًا عنهم

- أنا أعلم أنه ليس بالوقت المناسب، ولكن إذا كان مازال لديكم رغبة فى إتمام تلك التجربة على ندى فسأنتظركم بعد يومين، لقد اتصلت بي م.منار وقد بدى عليها التوتر والارتباك وأخشى أن تفكر بنقل ندى إلى مكان آخر!

- حسنًا يا د.هادي، أعتقد أن أحمد يحتاج إلى ما يشغله الآن حتى لا ينهار من ما حدث لأيمن، أنت تعلم مدى قربهم من بعضهم، أعتقد أنه مازال تحت تأثير الصدمة لذلك يظهر متماسكاً، ولكني أعلم ولدي جيدًا فهو عاطفي ولا يستطيع التحكم بمشاعره.

- ألقى د.هادى نظرة سريعة على أحمد: أعتقد أنك محق، موضوع ندى سينتشله من الحزن ويخفف عنه وقع الصدمة عندها سيبدأ عقلة فى امتصاصها، في علم النفس نسمي ذلك « المثير» ما يلفت الانتباه والاستجابة، فبالتالي يقوم بالتخفيف من ثقل ما حدث.

- سنكون عندك بالموعد بأذن الله.

- أراكم على خير.

تنهد الحج محمد بعد ذهاب د.هادي ثم جلس على المقعد يدعو إلى أيمن الذي طالما كان بمعزة أحمد عنده، رفع يده بالسبحة المعلقة بها

والتى لا تفارقه سائلاً الله : يا رب إنى لا أسألك رد القضاء ولكنى أسألك اللطف بنا، يا رب أنت السميع الرحيم القريب تجيب دعوة الداعى إذا دعاك وأنا عبدك الفقير ليس لى قوة إلَّا بك، اللهم يا سامع الدعاء تقبل دعائي وحقق فيك رجائي لا إله إلَّا انت سبحانك مالك الملك وإنت على كل شئ قدير، إذا أردت شيئا تقول له كن فيكون، اللهم اعفو عنه وعافيه، اللهم اعفو عن وعافيه.

ثم أخذ فى التسبيح.....

***

دلفت ليلى إلى حجرتها وأغلقت الباب خلفها واستندت إليه مغمضة عيناها وقد تركت لدموعها العنان، ثم تحركت لتجلس على مكتبها الصغير وأخرجت مذكرتها كي تدون بها ما تختلج به مشاعرها، تشعر أنها لم تعد تستطيع تحمل ذلك الضغط النفسي الرهيب خاصة بعد تلك المحادثة التى دارت بينها وبين والدتها، لقد أخبرتها بكل شئ، لم تعد قادرة على التحمل بدورها خاصة بعد ما حدث مؤخرًا وانسحاب د.خالد الذي كان يدعمها ويضمن لها أن يظل الأمر تحت السيطرة! أمسكت بقلمها وأخذت فى تدوين ما يدور بعقلها الذي تشعر أنه أصبح على وشك الاحتراق.

« الآن اصبحت اعلم القصة كاملة، لقد تم خداعي كي أحيى في ظلام روحي وقد عانيت كثيرًا ويبدو أن المعاناة لم تكتب لها النهاية بعد!

ذلك السر الذي حاول والدي التستر عليه وإبعادي عنه لم يكونا يعلما انه كان يكبر معي بسببها! لقد فصلوا بيننا ولكنها تركت أثرها بداخلي كل ذلك الوقت فظلت تلاحقني حتى ونحن بعاد فلم أنعم بالسلام الذي طالما تطوقت إليه! والآن، أعلم انها ستعود لتكمل انتقامها! أشعر بأقتراب ظلها الذي لازمني طول لوقت ليطغى على كل ما هو لي! «

تركت القلم من يدها وهي شاردة في كلام والدتها الذي كان يعاد بداخل عقلها مرارًا وتكرارًا! لقد استطاعت ندى أن تتخلص من القفص الذي وضعوها به بإرادتها بعد أن اكتشفت حيلتهم، والآن ستعود لتنتقم!

***

- تناولي هذا يا بنيتي. قالها الشيخ محمد وهو يناول ندى كوب من الماء الذي وضع فيه سبع ورقات من السدر الأخضر بعد دقها وقد قرأ عليه آيات السحر في القرآن** ومعها سورة الفاتحة والمعوذتان والإخلاص ثلاث مرات بعد أن كان قد انتهى من قراءة القرآن واضعًا يده اليمنى على رأسها ورقيتها بالرقية الشرعية، كانت ندى قد بدأت تشعر بالإعياء، وقفت هدى بجانبها في حين جلس أحمد ود.هادي فى صمت يراقبان ما يحدث، تناولت ندى الكوب وشربت الماء لتشعر فجأة بالغثيان، فجأة تقيأت مادة سوداء وقت جثت على ركبتاها، أمسكت بها هدى من كتفاها وهي تجثو بجانبها فى لوعة في حين وقف أحمد متوترًا وهو ينظر لوالده الذي ابتعد عنها مسبحًا وهو يراقبها.

- ماذا يحدث لها ؟ تساءل د.هادي بقلق.

- لقد تخلصنا من السحر بداخلها بإذن الله، ذلك القئ الأسود يدل على ذلك.

- هل انتهى الأمر بتلك البساطة؟ تساءل أحمد

- لم يكن السحر قويًا، حمدًا لله، لقد قامت بتناوله في شئ ما قد تم تقديمه إليها من خلال مشروب أو طعام وقد أبطلت مفعوله كلمات الله و بإذنة.

ساعدتها هدى على الوقوف لتنظر لهم قائلة بصوت مرهق: هل انتهى الأمر؟

اقترب منها أحمد وبيده مرآة صغيرة ووضعها أمام عيناها، نظرت للمرآة ثم لمست انعكاس صورتها بأناملها وقد تسارعت أنفاسها في سعادة: لقد عدت لرؤية نفسي مجددًا، لم أعد ذلك الوحش الذي كنت أرى نفسي عليه!

ابتسم أحمد وهو ينظر لوالدته بامتنان في حين وقف د.هادي مندهشًا من تلك النتيجة المبهرة قبل أن يقول: يجب أن أكون صريحًا معكم، لم أتوقع أن يكون الأمر حقيقي!

- ولكني كنت متأكد. قالها أحمد وهو ينظر لندى في حنان وهي مازالت تمسك بالمرآة في يدها تتلمس وجهها وشعرها مثل أي أنثى طبيعية اشتاقت لرؤية نفسها جميلة.

رفعت نظرها له فجأة بعيون دامعة وهي تقول برقة : أشكرك.

انفرجت أسارير هدى وهي تدعو لأحمد بسعادة في حين التفت إلى د.هادي يسأله باهتمام: الآن ما الذي سيحدث؟ هل ستكتب لها تصريح بالخروج؟

- ليس الآن، يجب أن تظل تحت ملاحظتي بضعة أيام أخرى قبل أن أكتب تقرير باستقرار حالتها وتصريح الخروج.

- وماذا عن عودتها للمنزل؟ أعتقد بعد ما قمنا باكتشافه لم يعد من الأمن وجودها معهم تحت سقف واحد!

- بخروج ندى عن أسوار المستشفى لن يعد لي أي سلطة على حياتها الخاصة، ولكن بوجود التقرير الذي يثبت صحتها النفسية لن يكون هناك مبررًا لوصية م.منار عليها، ويمكنها أن تسترد حقوقها كاملة وأن تكون حرة في تصرفاتها.

تبادل أحمد النظرات مع والده قبل أن يعيد نظره إليها، كانت لا زالت تنظر بالمرآة في سعادة ووجهها مشرق بابتسامة واسعة تتبادلها مع هدى التى بدت في غاية السعادة من أجلها ودار بخلده تساؤل: كيف يمكن لتلك البراءة أن تواجه ذلك الشر الذي ينتظرها خارج الأسوار!! كانت لديه رغبة ملحة بأن يظل بجانبها كي يقوم بحمايتها إذا فكروا في أذيتها مجددًا! فدكتور خالد مازال ينعم بحريته بعد أن أعطاه د.هادي فرصة، لقد أبعده عن المستشفى ولكنه لن يستطيع أن يبعده

عن حياة ندى الخارجية، ليس له سلطة كي يفعل ذلك، فجأة طرأت له فكرة أقل ما يقال عنها أنها جنونية! ولكنها بدت له الحل الوحيد إذا أراد أن يظل بجانبها!! نظر لها ليجدها مثبتة نظرها عليه وعندما تلاقت نظراتهم ابتسمت له أرق ابتسامة رآها بحياته.

**** آيات السحر في القرآن: الأعراف ، وهي قوله تعالى (وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك فإذا هي تلقف ما يأفكون فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين) /١١٧-١١٩ ، وفي يونس وهي قوله تعالى (وقال فرعون ائتوني بكل ساحر عليم) إلى قوله جل وعلا (ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون) من أية ٧٩ إلى أية ٢٨، وكذلك آيات طه (قالوا يا موسى إما أن تلقي وإما أن نكون أول من ألقى) ... إلى قوله سبحانه (ولا يفلح الساحر حيث أتى) من أية ٦٥ إلى أية ٦٩ ، وهذه الآيات مما ينفع الله بها في رقية السحر**

***

جلست منار واضعة قدمًا على أخرى وهي تحرك قدمها العليا صعودًا وهبوطًا في عصبية، أمَّا ليلى فكانت تتحرك ذهابًا وإيّابًا بتوتر، كانت منار قد استقبلت مكالمة هاتفية من د.هادي منذ عدة أيام يخبرها أن ندى أصبحت بخير وأنه سيصرح لها بالخروج قريبًا، حاولت الاعتراض، المجادلة، ولكنه كان مصرًا، بل وأشار لها فى حديثه بشكل غير مباشر

أن رد فعلها يثير الريبة لذلك صمتت ورضخت للأمر الواقع، لقد توقعت هذا على كل حال بعد أن ترك د.خالد المستشفى ولكنها لم تتوقع حدوثه بتلك السرعة! كانت تعتمد على ذلك السحر الذي يجعلها غير متزنة في نظر الآخرين، هل اكتشفوا الأمر؟ هل تظاهرت أنها بخير واستطاعت خداعهم بعد أن تخلصت من تأثير عقار د.خالد عليها؟ اليوم صباحًا حادثها د.هادي مجددًا ليخبرها أنه صرّح لندى بالخروج على مسؤليتة وأنها أصبحت طبيعية تمامًا! ماذا يعنى ذلك؟ فكرت بغيظ، سألته عن موعد خروجها كي تذهب إليها، ولكنه أخبرها أن ندى ترفض ذلك وطلبت أن يقوموا بانتظارها فى المنزل! وها هم فى انتظارها وكلا منهنَّ تتزاحم الأسئلة بداخل رأسها عن ماذا بعد؟!!

كانت منار قد اتصلت بدكتور خالد فى وقت سابق وطلبت منه أن يكون موجودًا معها بتلك اللحظة ولكنه رفض ذلك، أخبرها أنه ليس من الحكمة الآن أن يثيروا غضبها بأي شكل من الأشكال، عليها أن تكون هادئة معها وينتظروا حتى يروا ما تعزم عليه! وطلبت من ليلى أن تعاود السفر مجددًا وتبتعد عن كل هذا ولكنها رفضت بأصرار، لم تكن تنوي أن تسمح لها بأن تكون السبب مجددًا فى غربتها، لم تكن على استعداد للاستسلام خاصة بعد أن اتضحت الصورة بشكل كامل أمامها، عليها المواجهة والتمسك بما يخصها.

دق جرس الباب ليقطع أفكارهم، تبادلا نظرة خاطفة قبل أن يسمعا الخادم يفتح الباب قائلاً بترحيب: حمد الله ع السلامة يا آنسة ندى.

تحركا ببطء ليخرجا في استقبالها، فوجئت ليلى بحضور أحمد معها، لم تكن قد رأته أو تحدثت معه منذ أخر مرة التقيا بها هنا! شعرت بدقات قلبها تتسارع وقد اشتاقت إليه، كما شعرت بالحقد على ندى.

- حمد الله على السلامة يا عزيزتي. قالتها منار بهدوء مرحبة في حين وقفت ليلى مكانها مثبتة نظرها على أحمد دون أن تنطق بكلمة!

- أمي، لقد اشتقت لكي كثيرًا. قالتها ندى ببراءة قبل أن تندفع بشكل مفاجئ لتحتضن منار التى ثبتت فى مكانها للحظات قبل أن ترفع يدها بتردد لتضمها اليها وتربت على رأسها بلطف.

- هل اشتقتي لي؟ تساءلت ندى وهي تبعد عنها قليلاً لتنظر بعيناها مباشرة

- بالتأكيد. قالتها منار وهي تحاول رسم الابتسامة على وجهها.

- ليلي! قالتها وهي تبتعد عن منار لتقترب من أختها وتمسك بيدها الباردة بحرارة قائلة: أخيرًا سنعود معًا دون أن يفرقنا أحد مجددًا.

نظرت لها ليلى دون أن تجيبها

ابتسمت ندى وهي تكمل بمرح: أريد أن تملؤا المكان بالمرايات، لقد اشتقت لنفسي وللمنزل ولكم. ثم اقتربت لتقف بجانب أحمد قائلة: أريد أن أعرفكم على أحمد، كي ترحبوا به بشكل لائق.

لقد سبق وتعرفت إلى د.أحمد من قبل. قالتها منار ببرود وهي تنظر له

- لا، لا أريدك أن ترحبي به كطبيب، أحب أن أعرفكم إليه من جديد. ثم صمتت للحظات قبل أن تتعلق بذراعة قائلة: أريدك أن ترحبي به كفرد جديد بالعائلة، لقد أصبح زوجي الآن.

- ماذا؟ قالتها منار بدهشة وقد عقدت حاجباها فى حين كان وقع الصدمة أكبر على ليلى لتنظر له بعتاب كما لو كانت تسأله: لماذا!!

ابتلع أحمد لعابه فى توتر وهو يهرب بعينيه من نظرات ليلى التي شعرت بتلك اللحظة أنها تكره ندى كما لم تكرهها من قبل!

- ماذا فعلت! هل جننت؟ وجهت منار غضبها إلى أحمد الذى وقف محرجًا بالرغم من أنه كان يعلم أنه سيكون هناك رد فعل عنيف لما حدث، وأن الطريق أمامه طويل كي يخرجها من تلك المصيدة التي نصبت حولها! ولكنه كان مستعدًا لمواجهة أي شئ مقابل أن يكون متواجدًا لحمايتها، لم يخبرها بعد اكتشافه بأن منار ليست والدتها، وأن السحر الذي كانت تحت تأثيرة ربما يكون بفعلها أو بفعل ليلى أو ربما اشتركت الاثنتين في ذلك كي يتخلصوا منها بالرغم أنه تمنى بداخله ألّا تكون ليلى مشتركة بتلك الجريمة! كان ينتظر الوقت المناسب كي يخبرها دون أن يتسبب في صدمتها، شعر أن الأمر أصعب مما تخيل خاصة بعد رؤيته لفرحتها بعودتها وسطهم الآن! على الرغم من اندهاشه لأنه

يعلم جيدًا أنها هي نفسها أشارت له في حديثها من قبل أنها تشك بأن ما أصابها ليس مرض! ومع ذلك بدت كما لو لم يحدث شئ! أم أن شكوكها تتجه إلى أختها بسبب تلك الفجوه بينهما؟! هل قررت أن تفتح معها صفحة جديدة وتتناسى ما حدث!! أحيانًا يشعر أنه لا يستطيع فهمها!!

- أنا لا أوافق على تلك المهزلة. قالتها مناربغضب مقاطعة أفكاره قبل أن تكمل بغيظ: أنت لا تعلم ما الذي أقحمت نفسك به.

بدى ذلك بالنسبة له كتهديد!

- أرجو أن تهدئي يا سيدة منار، فما حدث قد حدث ووجودي الآن واقع عليك تقبله حتى لا تصعبي علينا الأمر.

همت بأن تقول شئ ما ولكنها تراجعت باللحظة الأخيرة، كانت تحتاج للتفكير بهدوء و مراجعة د.خالد.

حرَّكت رأسها بعدم رضى قبل أن تلتفت لتبتعد في حنق متجهة إلى المكتب تاركه إيّاهم.

- أمي! قالتها ندى لتتوقف منار للحظة دون أن تلتفت ثم أكملت طريقها للمكتب وأغلقت الباب خلفها.

- أعتقد أنه عليَّ التحدث معها. قالتها ندى لأحمد قبل أن تتجه للمكتب خلفها دون أن تنتظر إجابته.

ساد الصمت للحظات بعد ذهاب ندى قبل أن تقترب منه ليلى لتواجهه متسائلة بعتاب: لماذا فعلت ذلك؟!

- لقد فعلت ما يجب عليَّ فعله حتى أستطيع حمايتها.

- حمايتها!! رددتها بسخرية قبل أن تنفجر ضاحكة فجأة مما أثار دهشته

- إنها فعلا تحتاج إلى الحماية ولكن ليس منا، بل من نفسها. قالتها بحزن

- ليلى، أعتقد أنك تحتاجين للمساعدة. قالها عاقدًا حاجبيه

- أعتقد أنك أنت من يحتاج إلى المساعدة الآن، كي ترى ما لم تستطيع رؤيته.

- لقد علمت كل شئ.

- ماذا تقصد؟

قاطعتهم صرخة مدوية من داخل المكتب ليندفعا على آثارها إلى هناك، فتح أحمد الباب بعنف ليجد السيدة منار مسجية على الأرض غارقة بدمائها وندى تجلس بجانبها تبكي!

- أمي! أميييي. صرخت ليلى وهي تدفع بندى بعيدًا لدرجة أفقدتها توازنها، ممسكة بوالدتها وهي تحاول إفاقتها دون جدوى

اقترب أحمد منها ليجد نبضها ضعيف جدًا

- إسعاااف . قالها صارخًا بالخدم الذين تجمعوا على باب الغرفة

- ما الذي حدث؟! تساءل أحمد ناظرًا إلى ندى

- لا أعلم، لا أعلم. قالتها ندى من بين دموعها

- أنت السبب، أنت التى قتلتها. قالتها ليلى بشراسة وهي تندفع لتمسك بها، أبعدها أحمد بصعوبة وقد أصابها هياج شديد وهي تصرخ: سأقتلك، سأقتلك

ساعده الخدم فى الإمساك بليلى لترتمي ندى على صدره باكية فضمها أحمد بحنان وهو ينظر لجثة منار بعدم فهم!!

***

كانت الشرطة قد وصلت لمعاينة مكان الحادث وأخذوا بأقوال أحمد وندى والخدم، أخبرهم الضابط أنه ينتظر رأي الطبيب الشرعي بالرغم من أن الأمر بدى واضحًا أنها حالة انتحار، فقد كان من الواضح أنها قامت بقطع شرايين يدها وقد أخبرهم الخدم أنها ليست المرة الأولى!!

- كيف حدث هذا؟! تساءل د.هادي بصوت منخفض وهو يخرج من حجرة ليلى بعد أن استطاعوا أخيرًا السيطرة عليها وإعطاءها حقنة مهدئة.

- لا أعلم! إجابة أحمد وهو يحرك رأسه بعدم فهم

- يبدو أن تلك المرأة كانت تقع تحت تأثير ضغط نفسي قوي.

- لا أفهم! لم يبدو عليها أنها تنوي الانتحار! لقد بدت غاضبة فقط مما حدث.

- هل أخبرت والدك بما قمت به؟ تساءل د.هادي مؤنبًا قبل أن يكمل: أنا لا أعلم كيف فعلت ذلك دون الرجوع إلينا؟ ما الذي يجبرك على تحمل تلك المسؤولية وأنت مازلت في بداية الطريق لتحديد مستقبلك

صمت أحمد دون أن يجب، كان يشعر بالخجل لأنها المرة الأولى التي يخفي فيها شئ على والدة كما أن شرح الأمر سيطول ولم يكن بمزاج يسمح بذلك الان!

- على العموم، ليس ذلك الوقت المناسب لمناقشة الأمر. استطرد د.هادي حديثة قبل أن يكمل قائلا: ليلى أصابها إنهيار عصبي حاد، يجب أن تكون تحت الملاحظة الفترة القادمة

- أعتقد أنها تحتاج لنقلها إلى المستشفى. قالتها ندى التى ظهرت فجأة خلفهم ليلتفتا لها باندهاش

- كنت أعتقد أنك سترغبين بأن تظل تحت رعايتك! قالها د.هادي مندهشًا

- الأمور بيننا ليست على مايرام، قد يزيد هذا الأمر سوءًا. قالتها بحزن

- أنا أيضًا أعتقد أن نقلها للمستشفى كي تكون تحت الملاحظة سيكون أفضل. قالها أحمد مؤيدًا

- حسنًا كما ترغبون، سأطلب من هدى أن تتصل بالمستشفى ليبعثوا لنا بسيارة لنقلها على الفور.

كان د.هادي قد جلب هدى معه كي يتركها مع ليلى بحكم قربها من ندى.

- أستأذنك أيضًا يا د.هادي أن تقبل استقالة هدى، فأنا أحتاج إليها معى، سأقوم بتعيينها كمدبرة منزل هنا.

- هل هي موافقة على ذلك؟

- نعم، لقد تحدثت معها وأبدت سعادتها بذلك.

- حسنًا، لا يوجد مشكلة، سأعود إلى المستشفى وأبعث لكم بالسيارة لنقلها، وتستطيعين إبلاغ هدى أن ليس لديَّ مانع من تقديم استقالتها ولكن عليها أن تقدمها بشكل رسمي لإنهاء الإجراءات اللازمة بالعمل. ثم نظر إلى خالد قائلا: أراك بالجامعة، عليك التركيز بالفترة القادمة من أجل الامتحانات، أتمنى أن تؤجل كل شئ وتلتفت لمستقبلك. قبل أن يستأذن في الذهاب معزيًّا ندى للمرة الثانية.

- هل أنتى بخير؟ تساءل أحمد وهو ينظر لها فقد بدت هادئة أكثر مما يجب!

- أنا بخير، سأدخل كي أطمئن على ليلى. قالتها باقتضاب وهى تدلف إلى الحجرة بهدوء.

وقف أحمد شاردًا وهو يفكر في كل تلك الأحداث التى مرت به فى شهور قليلة لم تكن فى الحسبان وقد قلبت حياته رأسًا على عقب! أكثر ما يشغله الآن هو غموض انتحار السيدة منار! يستطيع الجزم كطبيب أنها لم تبدي أى إشارة إلى إقبالها على الانتحار لا بتلك المرة، ولا بالمرة الأولى!!!!

***

مر أسبوع ظل به أحمد مع ندى بالمنزل ينام بحجرة منفصلة حتى لا يتركها وحدها بعد ما حدث، وكانت الممرضة هدى قد قامت بتقديم استقالتها من المستشفى والبقاء مع ندى بالمنزل، كان أحمد مندهشًا من تلك العلاقة القوية التى تربطها بندى، يبدو أنها قد وجدت بها تعويض عن الابنة التى فقدتها.

لم ينسَ أن يسأل على والدي أيمن دائمًا ويرى إذا كانوا يحتاجون إلى أي شئ، وكان يذهب من وقت لآخر ليلقى نظرة على صديقه والألم يعتصر قلبه داعيًا له أن يتعافى.

كانت العلاقة بين أحمد وندى بها قليل من الروتينية والتحفز، كان ينتظر الوقت المناسب كي يفاتحها في أمر علاقتهم، بقي أسبوع واحد على بدء الامتحانات وكان يريد التفرغ كما وعد والده بعد

أن كاد أن يغضب عليه نتيجة فعلته تلك، ولكن أحمد حاول بكل الوسائل والطرق حتى نال رضاه أخيرًا ووعده أن ذلك لن يؤثر عليه.

جلسا يتناولان العشاء فى صمت يتبادلان النظرات دون أن ينطق أحدهما، أخيرًا قرر أحمد أن يكسر ذلك الصمت قائلا: لقد سألت د.هادي اليوم بخصوص ليلى وأخبرني أنها دخلت بحالة اكتئاب شديد.

- هل تعلم أنها ولسخرية القدر تقيم بنفس الحجرة التي كنت أقيم بها؟ لقد أصبحت هي الآن الحالة ١٠٧

- هل تشمتين بها ؟ تساءل بضيق

- كيف تقول هذا ؟ بالطبع لا. قالتها مؤنبة

ساد الصمت مجددًا للحظات قبل أن يستجمع شجاعتة قائلا:

- أريد أن أحدثك فى أمر آخر هام.

- ما هو؟

- لقد كان اتفاقنا أن يتم الزواج على الورق فقط حتى أكون بجانبك، خوفا من أن تسلمك والدتك لدكتور خالد مجددًا أو تعيدك إلى مستشفى أخر، الآن بعد وفاة السيدة منار ليس لدى د.خالد أي سلطة بأن يقترب من حياتك من قريب أو بعيد، وبدخول ليلى إلى المستشفى أصبحتى أنت الوصية الرسمية عليها بصفتك أختها الكبرى

وعائلها الوحيد، وأعتقد أنه لم يعد هناك مبرر لوجودي أو أن نكمل بتلك التمثيلية.

- هل تريد أن تتركني؟

- لن أتركك أبدًا، سنظل على اتصال دائم وسأكون موجودًا لأجلك إذا احتجتى أى شئ.

شعر بنغصة في قلبه، لا يستطيع تخيل حياته دونها، ولكنه أيضًا لا يريد أن يكون وجوده ثقيل بعد أن زال السبب، يجب أن يتركها لتحيي حياتها ويتفرغ لمستقبلة محاولاً نسيان كل ما مر به.

- أنا أيضًا مثلك، أريد إنهاء تلك التمثيلية سريعًا. قالتها بهدوء وهى تحدق بوجهه.

احمرت أذناه وشعر بأنه يجب عليه الذهاب الآن، لقد كان ردها قاتلاً بالنسبة له أو ربما تمنى للحظة ألَّا توافقه الرأي!

وقف قائلا: جيد، سأذهب لجمع متعلقاتي من الحجرة وسأترك المنزل اليوم، وغدًا إن شاء الله سأبعث لكي بورقتك.

هم بالذهاب ولكنها انتفضت من على المقعد لتمسك بذراعه: أحمد

التفت لها وغرق بعيناها : ماذا؟

- أنت لم تفهمنى، أنا أريد إنهاء تلك التمثيلية السخيفة، وتحويل الأمر لحقيقة نحياها معًا، إذا.... إذا كنت تريد ذلك!

- هل تقصدين ...

- نعم. قاطعته مبتسمة قبل أن تستند على أطراف أصابعها وتلف يدها حول رقبته قائلة برقة: هل اعتقدت حقا أنى من الممكن أن أستغنى عنك؟ ليس لي أحد سواك الآن.

اتسعت ابتسامته بسعادة وقد تسارعت نبضاته بقربها، قام بضمها إليه بحرارة ليبدءا معًا أول ليلة في زواجهما الحقيقي!

***

- أراك بعد ثلاثة أيام من اليوم. قالها أحمد بلطف للشاب النحيف الجالس أمامه قبل أن يستأذن الشاب ويخرج، فتح أحمد ملف الشاب أمامه مدوّنا التشخيص المبدئي للحالة «anorexia nervosa»**

قبل أن يترك القلم من يده ساندًا ظهره بإرهاق على مقعد مكتبه، كانت قد مرت ستة أشهر الآن تغير بهم الكثير، لقد نجح بتفوق وكانت أول هدية استلمها عيادة صغيرة خاصة قامت ندى بشراءها وتجهيزها من اجله ليمارس بها مهنتة، كان يقوم بزيارة والدية أسبوعيًا ومعه ندى التى أحبوها كثيرًا وهي أيضًا كانت تحبهم ولم تنسَ فضل والدة الشيخ محمد فى تخليصها مما كانت فيه، ثم تنهد وهو يتذكر صديقه أيمن الذي كان لا يزال تحت تأثير تلك الغيبوبة، كان يتحدث إلى والداه بصفة دورية ليطمئن عليهما ويراعي طلباتهما، وكان يحدد أول كل شهر لزيارة أيمن بالمستشفى والاطمئنان على حالتة والمشاركة فى

دفع جزء من المصاريف حتى يخفف عن والداه الحمل والخوف من فقدان ابنهم إذا لم يستمرا فى الدفع حتى يبقى على أجهزة التنفس، تذكر اليوم هو ٣٠ من الشهر غدًا موعد زيارته إن شاء الله، كانت علاقتة بدكتور هادي مستمرة وقوية فهو يحب هذا الرجل كثيرًا ويحتاج أن يكون قريبًا من علمة دائمًا كي يستفيد منه، وكان يتابع معه حالة ليلى التى أصبحت نوعًا ما مستقرة ولكنها منعزلة عن العالم، أخبره بمرة أنها لم تعد تتحدث كثيرًا وكل اهتمامها بمذكرتها الصغيرة التى تقوم بالكتابة فيها بشكل دائم وأخبره أن ذلك صحي جدًا حيث تخرج طاقتها السلبية بتلك المفكرة كي ترتاح بما تجول به نفسها! فكر أحمد كثيرًا أن يقوم بزيارتها خاصة أن إهمال ندى لها كان يضايقه ويؤنب له ضميره، فهو حتى الآن لم يستطع إخبار ندى أن السيدة منار لم تكن والدتها وبالتالى يقع غضب ندى بالكامل على ليلى لأنها فى اعتقادها أنها هى التى تسببت فى وضع السحر لها كي تمرض، فبحكم الفجوة التى بينهما كان الأمر طبيعى أن تعتقد ذلك، فهى أبدًا لن تفكر للحظة أن والدتها هي من قد يكون قد فعل ذلك بها! وربما يكون ذلك هو السبب الرئيسي أنها تشعر بأن وجود ليلى كمريضة بالمستشفى وبنفس الغرفة هي نوع من أنواع النهاية الشاعرية!!

تنهد وهو يفكر، ليس مستعدًا بعد لمواجهة ليلى أو الحديث معها أو فتح الموضوع مجددًا بأي حال من الأحوال، يشعر أن طاقته بالكامل قد استنزفها بتلك القصة من البداية، وبالرغم من مرور تلك الأشهر

بهدوء إلَّا أنه يشعر إنه مازال يحتاج إلى المزيد من الهدوء والسلام النفسي كي يستعيد طاقتة بالكامل، لقد كانت الأحداث صادمة ومتتالية وسريعة!

دق باب الحجرة لتدخل المساعدة إليه

- هل هناك حالات أخرى؟ سألها وهو ينظر بساعته، كان لا يزال نصف ساعة على انتهاء موعد العيادة.

- لا، ولكن هناك شخص بالخارج يريد مقابلتك بشكل شخصي، لقد جاء من بكير ولكنه أصر أن ينتظر حتى انتهاء كل الحالات.

- ما اسم ذلك الشخص؟ تساءل عاقدًا حاجباه، ولكن قبل أن تجيبه المساعدة كان الشاب قد دلف إلى الحجرة لينتفض أحمد في ذهول وقت اتسعت عيناه، لقد كان الواقف أمامه هو أيمن!!!!!!!!!!

anorexia nervosa = فقد الشهية العصابي - هو اضطراب الأكل الذي يتَّسِم بفقدان الوزن غير الطبيعي، والخوف الزائد من اكتساب الوزن، والإدراك المشوَّه لوزن الجسم. يُولِي الأشخاص الذين لديهم فقدان الشهية اهتمامًا كبيرًا للتحكُّم في وزنهم وشكلهم، وذلك ببذل الجهود الشديدة التي تتعارض بشكلٍ كبير مع حياتهم.

***

بعد مرور عشر دقائق كاملة من السلام الحار جلس أحمد مع أيمن على الأريكة الصغيرة بالمكتب يتبادلان الحديث، لم يكن أحمد قد أفاق من المفاجأة بعد، لا يصدق أن صديقه قد عاد أخيرًا ليتشاركا كل شئ من جديد، لقد كان يفتقدة كثيرًا وكم تمنى لو كان معه فى الأحداث التى مر بها مؤخرا.

- متى أفقت؟ ولماذا لم تتصل بي على الفور؟

- لقد حدث ذلك منذ حوالي أسبوعين أو أقل قليلا.

- ولكن... لقد اتصلت بوالديك بتلك الفترة أكثر من مرة، كيف لم يخبراني!! لقد كنت أشعر أن هناك شئ مختلف بصوتهما ولكن لم يخطر ببالي أنهم من المكن أن يخفوا عني خبر كهذا!

- اعذرهما يا أحمد، لقد كانوا متحمسين جدًا لاخبارك ولكن أنا من طلبت منهم ألَّا يفعلوا.

- لماذا؟ تساءل أحمد بدهشة وتأنيب

- كنت أحتاج لبعض الوقت كي أسترد نفسي وحياتى وأن أصفي ذهني وأرتب افكاري حتى استطيع أن أواجهك بما أريد دون أن تتهمني أني عدت كي أخرب لك حياتك! خاصة بعد أن علمت بالتطور الذي حدث لك بتلك الفترة التى غبت بها.

- لا أفهم! ما الذي تقصدة؟

- يجب أن تأتي معي أولا لموعد هام، بعدها ستفهم كل شئ.

- لا أعلم ما هذا الغموض الذي تتحدث به ولكنك أثرت فضولي، سأذهب معك إلى حيث تريد ولكني سأتصل بندى أولا كي أخبرها أني سأتأخر عن موعدي قليلا حتى لا تقلق، وسأخبرها أن تعمل حسابك على الغذاء معنا، فأنا لن أتركك اليوم. قالها أحمد وهو يمسك بهاتفة المحمول كي يتصل بندى.

- لا. قالها أيمن فجأة قبل أن يكمل: لا تخبر ندى أي شئ عنى إلَّا بعد هذا الموعد.

- لماذا؟ تساءل أحمد وهو ينظر له باستفهام تاركا الهاتف من يده

- ستفهم كل شئ، فقط تحملني قليلا وافعل ما أريد.

- فلنذهب إذا. قالها أحمد راضخًا وهو يرتدي سترتة وقد بدأ يشعر بالقلق!

***

وصلا إلى المقهى الراقي الذي اخبرة به أيمن ودلفا إلى الداخل ليتجه به إلى منضدة يجلس عليها شاب يبدو بالثلاثينات وأمرأة أنيقة ربما تعدت الخمسين بقليل!

- مساء الخير. قالها أيمن ليقف الشاب مرحبا به وتحرك المرأة رأسها بكياسة بابتسامة رقيقة، لسبب ما ذكرته ابتسامتها بندى! هناك شبه ما يربطهما!

قام أيمن بتعريفهم على أحمد ليقوما بتحيته بدورة قبل أن يعكس معرفا أحمد عليهم

- م.هالة خالة ندى، وأ.مهاب ابنها.

نظر أحمد إلى أيمن مندهشًا قبل أن يجلس بمقابلتهم وبجانبة أيمن

- سعيدة بالتعرف اليك يا د.أحمد، كيف حال ندى معك؟

- اعتقد أن الأمر كان سيكون أفضل إذا تمت المقابلة بالمنزل كي تتعرفي إليها وتقومي بالأطمئنان على أحوالها بنفسك!

- لن تحب ندى رؤيتي. قالتها بأسى

- ولكن عل حد علمي، هي لا تعلم بوجودك من الأساس لأنها لا تعلم لها والدة سوى م.منار فبالتالي لا تعلم أن لها خالة!

- من قال لك هذا؟ تساءلت عاقدة حاجبيها وهي تتناول سجارة رفيعة من علبتها لتشعلها

- هل تقصدين أن ندى تعلم بوجودك؟! تساءل أحمد بذهول

- بالتأكيد

- هل تعلم أن السيدة منار ليست والدتها الحقيقية؟!

- لم تكن تعلم هذا إلَّا بعد ذلك الحادث المشؤوم الذي حدث لها وتسبب فى مأساة تلك العائلة التى لم يكتب لها السعادة إلَّا قليلا.

- م.هالة، أرجو أن تفهميني بهدوء من البداية، أشعر أني لا أستطيع استيعاب ما يُقال.

قالها أحمد وهو يتبادل نظرة خاطفة مع أيمن الذي لم يبدو مندهشًا مما يسمع ويبدو أنها ليست المرة الأولى له فى مقابلتهم!

- سأخبرك بكل شئ حتى يرتاح ضميري تجاه ليلى وأوفي جزء من فضل منار رحمها الله وأراح روحها.

كان يبدو كلامها غريباً على أذنه وبعيد عن المنطق! بالنسبة لأخت امرأة تعذبت على يد درتها بل وهناك شك أنها ماتت على يدها أيضًا!

أخذت نفسًا طويلاً من السجارة قبل أن تبدأ قائلة: لقد كنت أنا وإيمان ابنتان وحيدتان لأبينا، وعلى الرغم من أن إيمان كانت على قدر كبير من الجمال الملائكي إلَّا أنها كانت متهورة ومندفعة وعصبية، كانت تلك السلبيات بشخصيتها صعبة المراس السبب فى فشلها عدة مرات في الارتباط فلقد كان كل من ينبهر بجمالها في البداية يكتشف عدم قدرته على الاستمرار معها بعد ذلك! وكنت أنا على نقيض شخصيتها تمامًا لذلك بالرغم من أنى الصغرى إلَّا أنى تزوجت قبلها وقد تسبب ذلك في إظهار حقدها وغيرتها بشكل أثر على علاقتنا كثيرًا! كانت إيمان مشكلة تأرق أبي حتى ذلك اليوم الذي جاء فيه بخبر طلب يدها لابن شريكة الذي كان يدرس بالخارج، كان ذلك الشاب هو عبد الحميد، كان والده يقع تحت ضغط خسارة مالية كبيرة بذلك

الوقت تهدد خسارته للشراكة بينه وبين والدنا مما كان سيكون له تأثير مادي كبير عليه! لذلك تم الاتفاق على الربط بينهما بتلك الزواجة وقد استغل والدي تلك النقطة كي يضمن عريس لإيمان وبنفس الوقت لرجل يصون أموالنا ويدير العمل من بعدة لأنه لم يرزق بأولاد، وقد كان زوجي يعمل بالخارجية أي بعيد عن مجال الأعمال تمامًا! وكذلك كان يثق بأخلاق عبد الحميد بسبب علاقة الصداقة التى كانت تربطة بأبيه وبنفس الوقت وجد والد عبد الحميد فرصة ذهبية ليتخلص من الضائقة المالية التى يمر بها ودمج الشراكة ليصبحوا كياناً واحدًا.

لم يعترض عبد الحميد على تلك الزيجة إكرامًا لوالده خاصة أن إيمان كانت جميلة كما أخبرتك فتم الزواج سريعًا برغبة أبي حتى لا يفشل الأمر كما حدث من قبل، رحمه الله وغفر له.

صمتت للحظات كي تشعل سجارة أخرى قبل أن تكمل شاردة كما لو كانت تسترجع الذكريات بخيالها: كانت إيمان شديدة السعادة بذلك الارتباط، حتى إنها عادت لمعاملتي بشكل جيد مما جعلني أشعر بالسعادة أيضًا وتمنيت من كل قلبي أن يهديها الله ويوفقها بتلك الزيجة ويخيب ظني فيما من الممكن أن يحدث نتيجة للتسرع دون أن يتم التعارف بشكل يسمح لعبد الحميد أن يدرس شخصتها جيدًا.

تم الزواج وكنت وقتها مازلت بالقاهرة، حضرت السنة الأولى من زواجها والذي بدأت فيها المشاكل بعد أول عدة شهور عندما بدأت

فى القلق من عدم حملها! وعندما علمت أن هناك مشكلة تحتاج إلى علاج تحول سخطها وغضبها إلى عصبية وغيرة مفرطة حتى انها كانت تغار عليه مني، هل تتخيل ذلك؟! ولكني أشهد أن عبد الحميد رحمة الله كان يعاملها بحنان محاولاً أن يحتوي غضبها وتحمل منها الكثير بذلك الوقت بالرغم أنه كان يعاني من ضغط كبير بالعمل كي يستطيع أن يوقف الشركة على قدمها بالسوق ويعوض خسارة والده.

- ولكن فوزية أخبرتنى أنه....

- فوزية؟؟ قاطعته بدهشة قبل أن تكمل بغضب: هل تلك اللئيمة مازالت على قيد الحياة؟!

- نعم، وقد أخبرتني أنك لم تكوني على وفاق معها على عكس م.إيمان والتى كان يبدو أنها كانت تحبها كثيرًا.

- لم أحبها أو أرتاح لها يومًا، تلك الخبيثة كانت تساعد إيمان على التمادي بالأفعال الخاطئة ودائمة الوسوسة بأذنها، لا أستبعد كونها السبب فى شعور إيمان نحوي بالغيرة والضيق، كانت تستجدي رضى إيمان عنها بشتى الوسائل كي تغدق عليها إيمان بالأموال والهدايا، كانت امرأة جشعة، ولكن إيمان لم تكن ترى ذلك بل كانت ترى بها خادمتها المخلصة حتى أنها اخذتها لتنتقل معها إلى منزل الزوجية وكان ذلك أكبر خطأ، كان يجب أن نتخلص منها منذ فترة ولكن مع تمسك إيمان بها لم يجرؤ احدنا على فعلها، كان غضب إيمان صعب

وكانت هي البكرية وقد دلعها ابي كثيرًا حتى أفسدها ولم يكن يحب أن يتسبب فى غضبها أو حزنها لذلك كان يفوت لها الكثير، بماذا سممت أذنك تلك العجوز الخبيثة؟!

- أكملي أولا قصتك يا م.هالة، بعدها سأخبرك بكل شئ. قالها أحمد متراجعًا، كان بالأول يشك في حديثها بسبب ما أخبرته به فوزية عنها، ولكن الآن بدأ يشعر أنه قد تم التلاعب به!

- سافرت بعدها إلى خارج البلاد بسبب عمل زوجي ولم أكن أحضر إلى القاهرة سوى بالمناسبات فكنت أقوم بزيارة إيمان لأجد أن الأمور تزداد سوءًا بينها وبين عبد الحميد، ولكن بالرغم من النكد والحزن الذي عاش فيه معها لم يفكر فى التخلى عنها إكرامًا لوقوف أبي مع والده وتقديرًا لثقة أبي به، ولكنها لم تكن تقدر ذلك بل كانت تزداد نكدًا وجبروتًا مع الوقت مستغلة حسن أخلاقة ومراعاة الله فيها! ثم أخيرًا أراد الله أن ينجبا وتحققت أمنيتها ولكن سعادتها لم تكتمل بسبب ضعف رحمها وإمكانية تعرضها للإجهاض وفقدان الجنين الذي كانت تنتظره، هنا كان أول ظهور لمنار بحياتهما بعد أن رشحها له صديق مقرب لحسن أخلاقها ومهارتها، وافقت منار على المكوث بالمنزل بشكل دائم حتى تتم الولادة على خير وقد كانت تراعي عملها وتعتني بإيمان جيدًا وتحملت تقلبات مزاجها وأسلوبها المتعالي وتمرها بصدر رحب وصبر، لم تكن فوزية تحب وجود منار بالمنزل، ربما كانت تخشى أن تأخذ مكانتها عند إيمان أو حقدها صور لها أن

الخير الذي لها نصيب منه ستشاركها به منار! خاصة انها لاحظت تقدير عبد الحميد لها و ثقتة بها التى كانت تزداد يومًا بعد يوم وسط اهمال إيمان له وانشغالها بالجنين وصحتها على حساب علاقتهم، كان من الطبيعي أن يحدث حالة من الحب بين منار وعبد الحميد، لقد توقعت ذلك عندما رأيت نظرته لها ذات يوم عندما كنت بزيارة لإيمان، مع الأخذ فى الاعتبار أن عبد الحميد لم يتزوج إيمان عن حب واقتناع من البداية وأنها لم تحاول أن تكتسب ذلك بعد زواجهم بل على العكس تمامًا لقد أظهرت وجها جعل قلبه ينبذها، وقد كانت منار مثال للرقة والحكمة وعلى قدر من الجاذبية للفت نظر أي رجل خاصة بظروف عبد الحميد الذي كانت حياتة كلها عبارة عن عمل ولم يتذوق السعادة إلَّا أيامًا قليلة!

صمتت مجددًا لتتناول سجارة أخرى وهي تزفر بحرارة فتحدث إليها ابنها بلطف قائلا: يكفى سجائر اليوم لأجل صحتك.

ابتسمت له بحنان مجيبة: إنها الأخيرة، أعدك. تركها على مضض فأشعلتها وأكملت: سافرت بعد تلك الفترة ولكني ظللت على اتصال بها عن طريق الخطابات، مع الوقت بدأت تبث لي شكوكها بأن هناك علاقة بين عبد الحميد ومنار وكنت أحاول الرد عليها بتهدأتها وأن لا تستسلم لتلك الشكوك وتخرب بيتها بيدها ولكن هيهات، انقطعت خطاباتها بعد ذلك، كنت أفكر بالنزول إلى مصر في زيارة استثنائية حتى أطمئن على أحوالها خاصة أن ولادتها قد اقتربت، ولكن قبل

نزولي حدثني عبد الحميد هاتفيًا وكان شديد الغضب، لأول مرة أراه بتلك الصورة وقد فقد أعصابه.

أخبرني أن إيمان قد جُنت تمامًا فقد حاولت قتل منار!! كان وقع الصدمة على كبير فلم أتخيل أنها من الممكن أن تصل غيرتها لهذا الحد من الخطورة! أخبرني انها وضعت لها ثعبان بحجرتها ولولا ستر الله لكانت ماتت بالفعل، كنت أعلم أن فوزية الخبيثة هي التى ساعدتها فى فعل ذلك، ربما تكون صحبة الفكرة أيضًا فإيمان لم تكن ليصل تفكيرها إلى ذلك مهما كانت متهورة إلَّا إذا كانت قد فقدت عقلها فعلا! أسرعت فى إجراءات السفر، لم يكن هناك من من الممكن أن يعيدها إلى صوابها بتلك الفترة خاصة بعد وفاة والدينا بفترة قليلة بعد زواجها، كان عليَّ المحاولة حتى لو كان الأمر صعبًا! بالفعل نزلت إلى مصر ومعي مهاب الذي كان وقتها بحوالي السابعة من عمره، قالتها وهي تشير إلى ابنها قبل أن تكمل: كانت حالتها مزرية بذلك الوقت.

لقد كانت تريد إجهاض نفسها انتقامًا من عبد الحميد بعد أن فشلت فى التخلص من منار ليخبرها فى غضون غضبه أنه ينوي الزواج منها! كانوا قد اضطروا لتكبيلها بالفراش حتى لا تؤذي نفسها أو الجنين ويجبرونها على تناول الطعام والدواء، لا أنكر أنى كنت أموت وأنا أراها بتلك الحالة حتى أنى طلبت من عبد الحميد أن ينقلها إلى مستشفى خاصة ليعتنوا بها، ولكنه رفض مبررًا هذا أن إيمان ليست بحالتها الطبيعية وإذا تسرب ذلك الخبر سيستغل أعداءه بالسوق الأمر

لينشروا الشائعات مما سيؤثر على عملة الذي تعب كثيرًا لينجحه، وأن ذلك سيؤثر علينا جميعًا، كان كلامة منطقيًا وقتها ولأني أعلم جيدًا كيف تعب ليصل إلى المكانة التى هو عليها فكنت أقدر موقفة ولكني مع ذلك مددت إقامتي لأظل بجانبها وأراقب معاملة منار لها والحق يقال لقد كانت شديدة الاهتمام بها وبرعايتها على الرغم مما حاولت أن تفعله إيمان بها! وقد نشأت بينى وبين منار صداقة غريبة بالنسبة للظروف التى كنا نمر بها جميعًا ولكن تصرفاتها الحكيمة وطيبتها أجبرتني على احترامها وحبها وعندما انتهت فترة إقامتى سافرت وأنا مطمئنة على إيمان بين يدها.

توقفت عن الحديث لتشعل سجارة أخرى ولكن مهاب وضع يدة على يدها فربتت على يده بحنان وتركت السجارة من يدها وأكملت: بعد سفري بقليل وصل لي خبر وضع إيمان للجنين بوقت مبكر عن موعده، وسوء حالتها الصحية، لم يكن بمقدوري أن أعود مجددًا وقتها وللأسف وصلني خبر موتها قبل أن أراها للمرة الأخيرة! دمعت عيناها وصمتت فى حزن ولم يحاول أحدهم قطع صمتها احترامًا لها قبل أن تكمل: عدت إلى مصر لحضور الجنازة، كان الموقف صعب لفقدان أختى الوحيدة ولكن رؤيتي لندى كان يصبرني أنها لم تنقطع من الدنيا وتركت لي ابنة فأنا لم أرزق بفتيات ولم يكرمنى الله سوى بمهاب وأخيه الصغير علاء، ولكنه يدرس بجامعة خارجية الآن، أخبرني عبد الحميد وقتها بعزمه على الزواج بمنار ولم أكن لأعترض، كنت

أنتوي مفاتحته بموضوع أخذي لندى كي أربيها وسط أولادي على الرغم من علمي أنه قد يرفض ذلك.

ولكن كان عليَّ المحاولة، كنت أنتظر فقط حتى تهدأ الأمور ويتمم زواجه أولاً حتى تصبح لي حجة بذلك، علمت أيضًا أنه قام بطرد فوزية بعد أن اكتشفت منار سرقتها لذهب إيمان حينما كانت بالمستشفى! أخبرني عبد الحميد وقتها أنه ترك لها الذهب فى مقابل أن تصمت ولا تحاول إثارة المشاكل أو إخبار أي شخص عن حالة إيمان قبل أن تموت خوفا على سمعتة وسمعة ندى بعد أن تصبح شابة حتى لا يأتي اليوم الذي يعايرها فيه أحدهم بوالدتها، لم أكن راضية عن ذلك فأنا أعلم أن تلك الخبيثة قد تستغل ذلك كنقطة ضعف كي تطالب بالمزيد، ولكنه أكد على أنه قام بترهيبها وتهديدها أنها إذا اقتربت من المنزل بأي وسيلة ولو صدفة سيقوم بحبسها ويبدو أن تهديده أثمر لأن أحدًا منا لم يسمع عنها شئ بعدها. تذكر أحمد ذلك الذهب التى كانت ترتدية فوزية بيدها وقد أثار اندهاشه بالرغم من ادعائها الفقر مما يثبت صحة قصة هالة!

صمتت وقد بدى عليها الإرهاق، أشار مهاب إلى النادل ليطلب منه عصير ليمون لها وسأل أحمد وأيمن اللذان طلبا كوبين من القهوة، كان الحديث يحتاج للكثير من الكافايين حتى يستوعب أحمد ما يسمعه.

- ماذا حدث بعد ذلك؟ تساءل أحمد باهتمام

- بعد فترة قصيرة تزوج عبد الحميد بمنار وطالبته بأن آخذ ندى لتعيش معي ولكنه رفض كما توقعت، وأخبرني أنه قد كتب ندى باسم منار! ثورت وقتها عليه فقد شعرت أن في ذلك ظلم كبير لروح إيمان التى كانت تتمنى ذلك المولود حتى لو كانت قد فقدت صوابها بالفترة الأخيرة، ولكن ليس ذلك مبرر كي يمحي ذكراها بتلك القسوة! كنت أعتقد وقتها أنه ربما فعل ذلك خوفا من أن ألجا للقانون كي أضم ندى لي! كان ذلك يحزني فبالرغم من أني تفهمت لكل ما مر به لم يكن لدية ثقة بي ولكن بعد أن هدأت فكرت أنه من حقة أن يخشى ذلك بعد ما رآه من ايمان! قاطعنا بعضنا لفترة لم أرَ بها ندى، بعدها اتصلت بي منار وحاولت الصلح بيننا وأخبرتنى بحملها، بالأجازة التالية ذهب لزيارتهم وارتحت وأنا أرى حب ندى لمنار ومعاملة منار لها كما لو كانت ابنتها بالفعل!

وبعد ولادة منار لليلى كنت أقوم بزيارتهم بكل أجازة وقد عادت علاقتنا جيدة، كانت ندى تعتقد أني أخت منار، هذا ما قاله لها عبد الحميد وأنا اضطررت لتمثيل ذلك الدور وإخفاء أمر إيمان لمصلحة ندى كما أخبرني عبد الحميد، كان يريد للفتاة أن تنشأ فى هدوء بين والدتها وأختها التى لا تعرف سواهم بالحياة وأن لا يكون هناك تأثير سلبي على نفسيتها إذا علمت أن منار ليست والدتها! استمر الأمر على ذلك وكبرت الفتاتان وكانت علاقتى باثناتهما ممتازة، حتى أني تأقلمت مع فكرة أني أخت منار فعلا فلقد توطدت علاقتنا معًا وكنا صديقتين مقربتين

بحكم الاخوات وأحببت الفتاتان وكانت ليلى بالنسبة لي بمثابة ابنة أختي الثانية، مرت أول السنوات فى سعادة وسلام حتى ذلك اليوم المشؤوم الذي وقع به الحادث لندى، لم أكن بمصر وقتها وأخبروني بما حدث، انخلع قلبي عليها خاصة أني علمت أنها دخلت بغيبوبة، ولكنها لم تستمر فلقد أفاقت منها بعد أيام قليلة، بعدها أبدت لي منار قلقها من حال ندى فقد تبدلت الفتاة رقيقة تمامًا بالبداية أصبحت منعزلة قليلة الحديث تنظر لهم بنظرات غريبة وتتحدث معهم بحدة، عندما سأل عبد الحميد الطبيب وقتها أخبره أنه من الطبيعي أن تمر ببعض عدم الاتزان بسبب قوة الرطمة، ولكنها ستعود إلى حالتها الطبيعية بالتدريج، ولكنها مع الوقت أصبحت أكثر حدة وعصبية فى تعاملتها مع منار وأختها ليلى بل كانت تميل تصرفاتها أحيانا للعنف، وكذبت بشأن ليلى فقد أخبرتهم أنها هي التى دفعتها لتقع ولم تحاول نجدتها!

- أليس من المحتمل أن يكون ذلك ما حدث فعلا؟ تساءل أحمد

- لا، لقد شاهد إحدى الخدم ما حدث بالصدفة وأخبرهم بالحقيقة عندما سمع باتهام ندى لأختها وخشى أن ينال ليلى غضب والدها ويحملها الذنب، ولكن لم يخبر عبد الحميد ندى وقتها أن احدهم قد شاهدها، فقد اراد أن يكتشف لماذا تكذب! لماذا تحاول أن تشوه صورة أختها الصغرى بهذا الشكل!! كانت منار تزداد قلقا كل يوم عم ما قبلة، كانت تتصل لتحاكيني وتخبرني بالتفاصيل وكنا نحاول معًا

إيجاد لي سبب لذلك التغيير المفاجئ! حتى ذلك اليوم الذي اكتشفا به بوادر قدرة خارقة.

أحمد حاجباه متسائلاً كي يتأكد أنه لم يسمع ما قالت خطأ: بوادر ماذا؟!!

- أعلم أن الأمر يبدو مبتذلاً وجنونيًا ولكن هذا ما حدث فعلا، لقد أبدت ندى قدرة خاصة على التحكم بالأشياء عن بعد، كان ذلك كثير وكان يجب أن أشاهد بعيني ما تقصة منار على أذني، كنا جميعًا مذهولين مما يحدث، وباليوم الذي وصلت به لزيارتهم وكانت المرة الأولى بعد الحادث كان يوم كارثي حرفيًا، لقد ثارت بوجهي وأخبرتنا انها تعلم كل شئ، بهتت منار وأصاب عبد الحميد الذهول، فلم يكن هناك مخلوق يعلم بما اتفق علية ثلاثتنا حتى الخدم اللذين كانوا يعملوا بالمنزل فى تلك الفترة وقتها، كان عبد الحميد قد قام بتغييرهم بالكامل ولم يكن هناك اى اتصال بين ندى وأشخاص أخرى سوى بمدرستها والتى كانت فى أجازة طويلة منها بعد الحادث! حاول عبد الحميد أن ينفي ما تقول، ولكنها كانت تتحدث بثقة مطلقة وأخبرتنا أن والدتها أخبرتها وأنها تستطيع رؤيتها أثناء نومها!! كان الأمر يفوق قدرتنا على الاستيعاب وقتها، أخبرتني أنها لا تريد رؤيتي مجددا لأني كاذبة ومخادعة وخنت أختي، وتركتنا لذهولنا وصدمتنا وصعدت إلى حجرتها، كانت ليلى تبكي ولا تفهم ماذا يحدث لأختها أو لماذا تقول ذلك الكلام وبدأت تحاول الاستفهام ولكن لم يكن هناك ما يمكن

قوله! خرجت يومها وأنا فى حالة يُرثى لها وشعرت أن روح إيمان تحاول النيل منا عن طريق ندى! باليوم التالي الحت علي منار كثيرًا كي أتناول معهم الغذاء، كانت تريد أن ندعم بعضنا البعض أمام ندى ونحاول أن نشرح لها موقفنا، كان لديها أمل أن تتفهم الأمر وأن كل هذا مرحلة غضب ليس أكثر!! وافقتها على مضض، كان مهاب وقتها مع والده وأخذت معي علاء بتلك الزيارة، عندما رأتني ندى ثارت وتحدثت معى بشكل حاد قائلة :» ألم أخبرك أني لا أريد رؤيتك مجددا؟»

كنت مصدومة من تلك الجرأة والوقاحة التى أصبحت عليها، ثم اتجهت بنظرها إلى علاء الذي كان يقف بالقرب من الباب الزجاجي المؤدي إلى الحديقة تلاعبة ليلى بالكرة، فجأة ودون سابق إنذار ترك علاء الكرة وتحرك مبتعدًا ثم ركض بقوة ليصتدم بالباب الزجاجي، صرخت أنا وليلى من الصدمة ووقفت منار شاهقة بذهول، كان عبد الحميد وقتها بحجرة مكتبة وخرج مسرعًا على إثر صوتنا، حدث كل هذا فى أقل من دقيقة ولكن علاء لم يتوقف بل ركض مجددا ليصدم نفسة فى الزجاج مجددًا كما لو كان قد أصابه الجنون!! افقت من صدمتى وركضت لأمسك به فى نفس اللحظة التى صرخ فيها عبد الحميد مناديا ندى بحدة! فنظرت له بغضب قبل أن تتركنا وتركض صاعدة إلى حجرتها! كان علاء يبكى بقوة وقد أصيبت رأسه بكدمة كبيرة، لا أكذب عليك، لقد شعرت بالرعب وقتها، سحبت علاء

وخرجت كما لو كان يطاردني الشيطان، حاولت منار تهدئتي ولكني كنت اتخذت قرارًا لا رجعة فيه، لن أدخل ذلك المنزل مجددًا أبدًا!

- ماذا حدث بعدها؟ تساءل أيمن بفضول

- لم أراهم مرة أخرى أبدا، تركت المسؤولية كاملة على منار بالرغم من أني كنت أنا الأولى بها منها، ولكني كنت أضعف بكثير من تحمل تلك المسؤولية، تحملت منار الكثير ولكنها لم تتخلى أبدا عن عبد الحميد، مرت فترة وأنا لا أحاول الاتصال بهم أو إجابة محاولات منار للاتصال بي، لا تعلم ما أشعر به الآن من خذى وتأنيب ضمير لأني تخليت عنها بوقت كانت تحتاج لي به، ولكني كنت خائفة، مثل تلك الأمور فى ذلك الوقت كانت مرعبة، وحتى بعد انتشار تلك الحكايات التى نسمعها الآن فهي مرعبة ولكن هناك فارق بأن تعتاد الأمر وأن تواجه شئ لم تسمع عنه من قبل!

بعد فترة كنت قد هدأت وأعدت الاتصال بها لأجد الكثير من الأحداث قد فاتني! كانت متلهفة لمكالمتي، كانت تريد أن تتحدث مع أحد لتخرج ما بداخلها من حزن ولم تكن لتفعل ذلك مع عبد الحميد لأنها كانت تريد أن تكون دائمًا مصدر القوة له كي يصمد أمام ما يحدث! كانت تعلم مدى حب عبد الحميد لندى، أخبرتني بحزن عن قرارهم بإرسال ليلى بعيدًا، لم يكن يجب أن ترى أختها بهذه الصورة وقد تحججا وقتها بموضوع إتهام ندى لها وقت الحادث وأن ذلك عقابًا

لها، ولكن الحقيقة أنهم كانا يحاولا حمايتها، كانت منار تكاد تجن من ابتعاد ليلى عن حضنها ولكنها كانت مقتنعة بقرار عبد الحميد وتثق به.

كانت ندى قد أثارت الكثير من المشاكل بالمدرسة حتى اضطر عبد الحميد أن يخرجها منها، أحضر لها مدرسين بالمنزل، أصبح خروجها نادرًا، ظللت على اتصال بمنار على فترات متباعدة محاولة على قدر الإمكان إلَّا التورط بالأمر، و على الرغم من ذلك كانت منار متفهمة للأمر ولم تحاول عتابي ولا مرة واحدة! كبر الأولاد وازدادت المسؤوليات وتلاهيت بالحياة وانقطعت الأخبار فترة طويلة ثم حدث اتصال بيننا وقد كان الاتصال الأخير، أخبرتنى أنهم قد عرضوا ندى على الكثير من الأطباء دون جدوى، كل ما هو ظاهر أن هناك نشاط زائد بالمخ، بالطبع لم يكن عبد الحميد يخبرهم بما تستطيع فعلة، فقط نوبات الهياج وتغيرات المزاج التى تصيبها والتغيير الذي حدث بشخصيتها بعد الحادث، أخبرتني أن ندى كلما زاد عمرها أصبحت أكثر تحكم وأكثر قوة، أخبرتني أن ندى حاولت أذيتها وكانت تبدو مصدومة جدا، فلقد كانت هي وعبد الحميد يؤمنون بقوة أن ندى يمكنها أن تؤذي أي شخص إلَّا أحدهم، كما لو كانا يربيان وحشا يثقون في ولاءه لهما! ولم أكن أعلم من أين لهم تلك الثقة! فمن يعتقدوا أنها ابنتهم قد تبدّلت مائة وثمانون درجة! ولأول مرة أشعر الخوف بصوت منار! أخبرتنى أن عبد الحميد مريض بالقلب وقد نصحة الطبيب بآخر نفسي لأنه يقع تحت ضغط كبير ويحتاج

لمتابعة معه بالإضافة إلى العلاج، وقتها تعرف عبد الحميد على د.خالد وبالرغم من فارق العمر بينهما إلَّا أنهما أصبحا مقربين بفترة وجيزة، أعتقد أن عبد الحميد كان يحتاج لذلك بشدة، كان يحاول هو أيضًا أن يكون قويًا أمام منار ولكن الحقيقة انهكان يتألم بشدة وأن الأمر كان فوق احتماله، قص لدكتور خالد قصة ندى وفوجئ بأن د.خالد اهتم بالأمر بشدة وكان لديه فكرة عما يحدث لها، وأخبره أنه يريد رؤيتها وسيحاول معهم لإيجاد حل لحالتها، كانت تلك هي المكالمة الأخيرة بيننا ولم أسمع بعدها شئ حتى وصلني خبر وفاة عبد الحميد.

كانت صدمة بالنسبة لي، وكنت أعلم أن منار في موقف لا تحسد علية فعبد الحميد كان الوحيد القادر للسيطرة على ندى، كانت تحبه وتخشاه، ولكني للأسف بدلاً من أن أقف بجانبها، خشيت أن أتصل بها وتطلب منى المساعدة! أعلم ما قد تفكرون فيه نحوي وأنا أنطق تلك الكلمات ولكنها الحقيقة للاسف، لقد تخليت عن منار وعن ابنة اختى الوحيدة، عندما أثقل ضميري ذلك الهروب أردت أن أعلم ما الذي حدث بعد وفاة عبد الحميد، بعثت بمهاب ليسأل عليهم فعلم بخبر دخول ندى للمستشفى فذهب للاطمئنان على أحوالها وهناك قابل د.خالد.

توقفت عن الحديث ونظرت لمهاب الذي استلم منها الخيط قائلاً موجهًا كلامه لأحمد وأيمن: شعرت اني اقوم بتقضية الواجب لا أكثر وكنت خجلاً من نفسي لأني لم أتواصل مع ابنة خالتي كل تلك الفترة،

لم أكن أعلم تلك القصة بالتفصيل بعد، فقط كانت والدتي تخبرنا دائمًا أن هناك مشاكل تمنعنا من التواصل معهم حتى فوجئت بها بذلك اليوم تطلب منى أن أذهب للسؤال عليهم ولكن دون أن ادخل إلى المنزل أو اتواصل معهم بشكل مباشر، ولكن عندما علمت بدخول ندى إلى المستشفى رأيت أنه من واجبي على الأقل أن أطمئن على حالتها، لم أحاول الدخول لها لأنه لم يكن هناك ما يمكن قوله ونحن لم نرَ بعضنا البعض منذ سنوات، ولكنى حتى اقوم بأراحة ضميري قمت بإعطاء إحدى الممرضات رقمي وأخبرتها أن تتصل بي إذا حدث أي شئ.

بعدها سافرنا برحلة طويلة للاطمئنان على علاء فكما أخبرتكم هو يدرس بالخارج فى حين قد استقررت بمصر أنا ومهاب بعد وفاة والدهم، انقطعت أخبارهم عنى تمامًا حتى قام صديقك أيمن بالاتصال بمهاب وطلب مقابلتة، حتى أنى علمت بخبر وفاة منار منه، مسكينة، أعتقد أنها انهارت لذلك أقبلت على الانتحار. أنهت كلامها بعيون دامعة.

صمت الجميع ولم يجد أحمد ما يقولة! لقد كان عقله وقلبه كلاهما بصدمة قوية وفوضى عارمة!

- ها قد أجبتك على سؤالك لماذا لم أحضر إلى المنزل كي أرى ندى، والآن جاء دورك، ما أخبار ندى معك؟ لقد علمت من صديقك إنكم متزوجون من حوالى ستة أشهر!

- نحن بخير! قالها وهو يحرك يده فى حركة مبهمة بأنه لا يعلم ماذا يقول! كان يشعر أن من يتحدثون عنها فتاة أخرى غير زوجتة الرقيقة التى تنتظرة بالمنزل الآن!

- أتمنى أن تظلوا بخير، ربما يكون علاجها على يدك

- علاجها من ماذا؟ أنا لم أفهم بعد كل ما أخبرتني به ما هو مرض ندى؟

- لا أحد يعلم! يمكنك أن تسأل د.خالد، هو الوحيد الملم بحالتها من البداية وكان يحاول مساعدة منار وعبد الحميد!

- وربما كان استطاع علاجها فعلا لو لم تكن قد تدخلت. قالها أيمن لينظر له أحمد بتفكير دون أن يجيب.

- حسنًا، اعذاني ولكني أشعر بالإرهاق وأريد أن أرتاح قليلا، إذا احتجت لأي شئ اتصل بي، فلم يعد هناك سواي الآن ويجب أن أواجة المسؤولية التى تهربت منها لسنوات.

ظل أحمد صامتًا بعد ذهابهم فانتقل أيمن للجلوس قبالته قبل أن يقطع الصمت قائلاً: يجب أن تراجع كل ما قمت ببنائه.

- ربما تكون حالتها غريبة ولكنها لم تقم بأذية أحد!

- ألم تسمع ما أخبرتك به م.هالة؟! لقد حاولت أذية طفلها وأذية السيدة منار! وماذا عن زملائها بالمدرسة!!

- لكنها لم تقم بأذيتهم فعلا! ربما كانت غاضبة ليس أكثر، ربما إذا حاولت أن أسيطر على ذلك الجزء عندها سأستطيع مساعدتها، بل استطعت فعلا بوجودي بجانبها، ستة أشهر لم يحدث بهم أي شئ!

- وماذا عني؟ تساءل أيمن عاقدًا حاجبية وهو يحدق بوجه صديقه.

- ماذا عنك!!

- ألم تسأل نفسك كيف اندفعت إلى الطريق بتلك الطريقة وأنت تعلم جيدًا الرهبة التي أعاني منها؟

- ماذا تقصد؟

- لقد كنت أتحدث مع ندى قبل الحادث بدقائق، لقد أخطأت وأخبرتني بعلمها أن منار ليست والدتها وأعتقد أن حديثي أغضبها لأني أخبرتها أني أرى أنها مازالت تحتاج للعلاج! أو ربما خافت أن يؤثر عليك رأيي وهي تعلم جيدًا مدى قربنا، لا أعلم حقا ما الذي كانت تفكر به، ولكن كل ما اعلمة انى عندما كنت واقفا فى انتظارك شعرت فجأة برغبة عارمة كي أهبط عن الرصيف، كنت بداخلى أشعر أن هناك ما يحثني على فعل ذلك دون إرادة منى! الآن أنت وأنا نعلم السبب.

ابتلع أحمد لعابه وهو لا يجد ما يجيبه به فى حين أكمل أيمن: عندما أفقت من الغيبوبة واستعدت توازني كان الحادث يمر بخيالي بكل لحظة، لم أكن أفهم ما تلك القوة الخفية التي دفعتني لفعل ذلك ولكن بداخلي كنت أعلم جيدًا أن ندى لها علاقة بالأمر؟ ثم تذكرت

هاتفك المحمول الذي كنت قد تركته معى يوم الحادث كي اقوم بشحنه لك، كان معى وقت الحادث كي أعطيه لك، ولكن في غمرة ما حدث يبدو أن قد نسيت أن تسأل عليه.

- لم يكن الوقت مناسبًا لذلك، واعتقدت أنك فقدته بالحادث، ثم عند مقابلة د.هادي أعطانا الموعد الذي كنت أنتظرة فلم يعد الهاتف هامًا لي وقتها، بكل الأحوال كنت أنوي تجديده. قالها أحمد شارحًا.

- ولكنك نسيت أمر آخر هام أو ربما أهملته بعد أن استطعت التواصل مع تلك الخادمة فوزية وسمعت منها ما كنت تريد سماعة ويتماشى مع تخيلك للأمر فى إدانة السيدة منار.

- نسيت ماذا؟ تساءل أحمد.

- نسيت أنك طلبت من الممرضة نجلاء أن تبعث لك برقم قريب ندى الذى ذهب لزيارتها عندما تعثر عليه، كانت تلك هي الرسالة التى وجدتها عندما قمت بفتح هاتفك، لقد كان بالأمانات بالمستشفى بعد الحادث وسلماه لوالدي الذي قاما بتركة على مكتبي منذ يومها، كنت أنت قد أخبرتنى بما دار بينك وبين نجلاء لذلك اتخذت قرارى واتصلت بالرقم ليجيبني مهاب ويخبرني بدرجة قربة من ندى، كنت احتاج لأى بارقة أمل تساعدني فى فهم ما حدث، كان مترددا بالبداية ولكن عندما أخبرته بما حدث قام بمقابلتي وإخبارى بما يعلم واتفقنا على تحديد موعد بينك وبين والدتة م.هالة كي تسمع منها القصة

كاملة بنفسك، لقد توقعت أن تحاول الدفاع عنها إذا أخبرتك أنا بالأمر بنفسي وأن تحاول إيجاد ثغرات لأنك لا تريد التصديق، ولكني لم أتوقع أن تفعل ذلك بعد سماعك من م.هالة!!!!

زفر أحمد بحرارة وهو يشعر أن عقله على وشك الاحتراق!

- أحمد، يجب أن تزيل ذلك الغشاء عن نظرك وتبدأ في رؤية الأمور جيدًا،! هل تستطيع الجزم أنها لن تؤذي أحدًا ما مجددًا، هل تستطيع الجزم بأنها لن تؤذيك أنت شخصيًا لأي سبب قد يغضبها حتى لو تافة كما يحدث بالحياة الطبيعية! لقد حاولت قتلي، هل تدرك ما أقول!

فجأة مرت المشاهد بخيال أحمد، محاولة منار للانتحار يوم الحفل وقد بدت غريبة، ثم انتحارها بالمرة الثانية وبالمرتان كان فى وجود ندى! الرسالة!! الرسالة التي حاول عبد الحميد إيصالها له وقد دارتها عنه هدى! لم يكن يقصد وقتها أن ينبهه من منار، بل من ندى! كان يقصد بالأسرار ما كان يدور بداخل المنزل ويحاول إخفائه عن الجميع! وماذا عن ليلى! لقد ظلمها كثيرًا، بل ظلموها جميعًا دون أن يشعروا حتى انهارت تمامًا!!

- ما الذي من المفترض أن يحدث الآن؟ تساءل أحمد وهو يفرك جبينه بإرهاق.

- يجب أن نجد د.خالد، هو الوحيد القادر على الإجابة.

- كيف؟ لقد اختفى تمامًا دون أن يطلع أحدًا على مكانه.

- يجب أن نعثر عليه، ربما نستطيع أن نجد من يعرف مكانه بالمستشفى.

***

وقف أحمد مع أيمن بعد أن قاما بسؤال كل من مرَّ عليه بالمستشفى دون جدوى، كان د.خالد قد قام بتغيير مقر سكنة أيضًا، يبدو أنه أراد أن يبتعد عن كل تلك الإشاعات التى طالته بعد تقديم استقالته!

- د.أحمد، كيف حالك يا دكتور؟ قالتها نجلاء بمرح وهي تقترب من أحمد وأيمن اللذان التفتا لها ليرحب بها أحمد بابتسامة لطيفة.

- كيف حالك يا نجلاء؟ لقد جئتي بوقتك

- خير يا دكتور؟

-ألا تعلمي أين يسكن د.خالد الآن أو مكان عيادته؟

- لا والله يا د.أحمد.

- حسنًا، لا عليكي. قالها أحمد بتنهيدة وهو يفكر ناظرًا لأيمن وقد فقدا الأمل.

عزما على الذهاب لتستوقفة نجلاء قائلة بعتاب: مبروك على العيادة يا د.أحمد، لم يكن العشم أن تأتي بمساعدة أخرى لك ولا تعرض علي

العمل معك، كنت سترحمني من مواعيد النبطشيات بالمستشفى، ولكن يبدو أن حظي ليس مثل حظ سعاد التي تركت المستشفى لتعمل بعيادة د.خالد!

تبادل أحمد وأيمن النظرات قبل أن يلتفتا ليعودا إليها بطريقة أجفلتها: ألم تقولي أنك لا تعلمي مكان د.خالد؟!

- أنا لا أعلم. قالتها بذهول وهي تنظر بينهما.

- ركزي يا نجلاء، ألم تقولي الآن أن سعاد تركت العمل بالمستشفى وذهبت لتعمل لدى د.خالد بعيادته؟!

- اااه، سأخبركم القصة، بعد أن ترك د.خالد المستشفى بحوالى شهر، قامت سعاد بتقديم استقالتها، كنت أعلم أنها المفضلة لدى د.خالد من بعد إلهام رحمها الله، فقد كان يطلبها بالاسم أحيانًا، صحيح لم تكن مقربة له مثل إلهام ولكنه كان يعتمد عليها، لذلك خمنت أنها ذهبت للعمل معه.

- خمنتي أم متأكدة؟

- يا د.أحمد بالمنطق، لماذا تترك المستشفى إلَّا إذا كان أمامها فرصة أفضل! وما هي نسبة الصدفة أن تكون الفرصة فى نفس توقيت ترك د.خالد للمستشفى واستقلاله بالعمل!

- هل تعلمي أين تسكن؟

- بالطبع، ١٢ش (.....) بالعبور

- شكرًا يا نجلاء، أنتى رائعة. قالها أيمن بحماس وهو يتحرك مع أحمد ليذهبا

- د.أحمد، ألن تقوم برؤية آنسة ليللا، لقد تحسنت حالتها وخرجت اليوم بطلبها للحديقة بعد أن سمح لها د.هادي بذلك، إنها.....

- سأعود إليها لاحقا يا نجلاء، ليس الآن. قالها مقاطعًا ثرثرتها وهو يتحرك مبتعدًا مع أيمن.

***

- لقد كنت في انتظارك، ولكنك تأخرت عن ما توقعت. قالها د.خالد إلى أحمد الذي دخل عليه حجرة مكتبه بمرافقة أيمن بعد أن قاما بمعرفة مكان العيادة عن طريق سعاد.

نظرا لبعضهما قبل أن يتقدما إلى الداخل.

- أريد أن أعرف كل شئ بالتفصيل عن مرض ندى. قالها أحمد

- من قال لك أن ندى مريضة؟ ندى ليست مريضة، ندى حالة. قالها وهو يضغط على الكلمة الأخيرة.

- ماذا تعني؟ تساءل أحمد.

- اجلسا، سأشرح لكما كل شئ. قالها خالد وهو يشير لهما بالجلوس قبل أن يعتدل ليقول بجدية شديدة كما لو كان يشرح محاضرة هامة: ما أصاب ندى هو حالة نادرة جدًا لم يذكرها التاريخ الطبي إلَّا قليلا! أولاً اجعلوني أشرح لكم تلك الحالة ثم نقوم بربطها بندى، أنتم تعلمون بالطبع أن هناك حالة بالطب تدعى:

trumanic brain injury» « وهي حالة تلف الدماغ التي تتبع الإصابات الجسدية، نحن درسنا الأعراض من البسيطة إلى الخطيرة بتلك الحالة كما ذكرتها الكتب والمراجع الطبية ولكن لكل قاعدة شواذ! هناك بعض الحالات النادرة على مر التاريخ تسببت لها الصدمات بردة فعل مختلفة تمامًا عن المتعارف علية طبيًّا!

في تلك الحالات النادرة الحدوث يتعرض المصاب لاختلاف تام فى كيميا الدماغ، من الممكن أن تحولة حرفيًّا إلى شخصية أخرى تمامًا غير التى كان عليها قبل الصدمة! أو تعطيه قدرة من القدرات المهارية أو الحسية لم يكن يملكها من قبل! قد يحدث ذلك بالايجاب أو بالسلب ولم يستطع الطب إلى يومنا هذا أن يكتشف السبب خلف ذلك التغير الغير محسوب أو مفهوم علميا! هناك أمثلة لبعض تلك الحالات مثل حالة (جايسون بادجيت)

فقبل حوالي عقد من الزمان تعرض إلى هجوم مباغت من قبل بعض اللصوص، وقد أشبعه المهاجمين ضربا على رأسه، أنت تعلم

كطبيب ما الذي من المفترض أن ينتج عنه هذا الضرب المبرح على الرأس من أصابه بالغة تندرج تحت أعراض ال

«tbi» ** لكنه حصل في المقابل على موهبة خارقة في الرياضيات! لقد أصبح عبقريًا في الرياضيات فجأة! فحين فتح الرجل عينيه مجددًا في المستشفى بدا كل شيء مختلفا عن السابق، جايسون وصف ذلك قائلاً : «أينما أدير وجهي كنت أرى معادلات رياضية معقدة .. مثل معادلة فيثاغورس .. كل منحني .. كل دائرة .. كل شجرة .. كان جزءًا من هذه المعادلة».

جايسون لم يكتف بوصف ما يراه، بل حوّل رؤاه العجيبة إلى مخططات رياضية معقدة أسماها الكسوريات. وبحسب جايسون فإن كسورياته هي : «أشكال معقدة عندما تقوم بتكسيرها وتجزئتها إلى قطع صغيرة، فإن القطع جميعها تكون مماثلة أو مشابهة للكل».

وبحسب بعض التقارير الإخبارية فإن جايسون هو الشخص الوحيد في العالم الذي بإمكانه عمل تمثيل مرئي للباي (Pi)، وهو ثابت يستخدم في الرياضيات والفيزياء بشكل مكثف. ويعرف على أنه النسبة بين محيط الدائرة وقطرها. العجيب أن جايسون لم تكن لديه أية اهتمامات بالرياضيات قبل الحادث، ولا كان متفوقا بهذه المادة في المدرسة والجامعة، ولم تكن له أية ميول فنية. أمَّا اليوم فقد أكسبته مخططاته المعقدة التي يرسمها بيده شهرة واسعة وخضعت

لدراسة وتحليل العديد من علماء الهندسة والرياضيات، بالطبع جذبت هذه العبقرية المفاجئة اهتمام أطباء وعلماء الأعصاب والدماغ أيضًا، فأخضعوا جايسون لفحوصات واختبارات مكثفة.

د. بيرت بروغارت عالم الأعصاب وأستاذ الفلسفة حاول تفسير حالة جايسون وما توصل إليه أنه بعد تعرضه للضرب المبرح على رأسه من قِبل اللصوص، حدث نشاط مكثف في منطقتين محددتين من دماغه، وهما المنطقتين المسئولتين عن الحساب والصور الذهنية! والمرجح أن الأضرار الناجمة عن الهجوم أجبرت دماغ جايسون على تعويض نشاطه في بعض المناطق، وبالتالي أتاح له ذلك الوصول إلى مناطق من دماغه لا يمكن لمعظم الناس الوصول إليها!! وقد أطلق العلماء على تلك الحالة مصطلح (Savant syndrome)**

تلك حالة من الحالات الإيجابية، هناك أيضًا حالات أخرى اختلفت بها ردود أفعال الدماغ حيث كان التاريخ شاهد على العديد من القصص الغريبة لأناس أصبحوا بين ليلة وضحاها يتكلمون لغات أجنبية لم تكن لهم سابق معرفة بها بعد تعرضهم لصدمة قوية على الرأس، وهي ظاهرة تصنف على أنها من ظواهر ما وراء الطبيعة، وتعرف باسم زنوغلاسي (Xenoglossy)** .

وهناك حالات قليلة جدًا موثقة عن هذه الظاهرة، كحالة متسابق الدراجات النارية التشيكي «ماثيو كوس» الذي تعرض لحادث

ودخل في إغماءة لمدة ساعة أستيقظ بعدها وهو يتكلم الإنجليزية بطلاقة! توقف د.خالد عن الحديث كي يترك فرصة لهما كي يقوما باستيعاب ما يدلي به من معلومات قبل أن يكمل قائلاً: ولكن هناك أيضًا حالات غريبة وغير مفهومة كانت وقع الصدمات عليها سلبي وخطير! أشهرها على الإطلاق هي حالة الإمبراطور « كاليغولا «** الذي تحوّل من حاكم طيب ورقيق يعشقه الشعب إلى حاكم مجنون وسادي على أثر مرض خطير تسبب فى رفع درجة حرارته لدرجة قد تكون أحدثت تلفا بالدماغ ** وعلى آثارها حدث ذلك الاختلاف الكامل ببناء الشخصية، هذا بجانب أن من ضمن النواتج الطبيعية لصدمات ال «tbi» كما تعلمون تقلب المزاج

التهيج، عدم التعاطف مع الآخرين، الغضب وما يلي ذلك! نأتي لحالة ندى، ما حدث لها هو مزج نادر جدًا وغريب من نوعه حدث نتيجة اصطدام رأسها بقوة بحافة المسبح عندما كانت صغيرة فغيرت من آلية عمل دماغها، وبدّلت نظرتها لمن حولها! لقد أثبتت الأبحاث العلمية الحديثة أن هناك نوع نادر من الصدمات يؤثر على المنطقة الرمادية**

فتصبح أقل نشاطًا ووضوحًا منها في أدمغة الأشخاص العاديين، ويقول العلماء: أن تلك المنطقة الرمادية بالدماغ هي المسئولة عن التفاعل مع مشاعر الآخرين. وبأن الخلل في هذه المناطق يكون له تأثير كبير على الضمير، فترى الشخص المصاب لا يندم أبدًا على أفعاله المشينة تجاه الآخرين ولا يشعر بالذنب لإيذائه أقرب الناس إليه!

ولا يحاسب نفسه على أخطائه، ويكون الحاكم عنده هو الأنا العليا** إنها الأنانية المطلقة!! والخطير في أصحاب هذه الشخصيات هو أنهم لا يبدون كمرضى، فهم قادرين على التحكم بمشاعرهم، قادرين على التظاهر بالحب والتعاطف!! وهذا بالضبط ما حدث مع ندى بالإضافة إلى اكتسابها لقدرتان خارقتان لا يوجد لهما تفسير علمي!

الأولى هي قدرتها في السيطرة على العقل البشري فتستطيع إيهامك بما تريدة هي! والقدرة الأخرى والتى وقفت أمامها عاجزًا تمامًا هي قدرتها على كسر الحاجز بين الأحياء و الأموات أو تواصلها مع عالم البرزخ وهذا ما قد زاد الأمر سوءًا! فهي تدعي رؤيتها لوالدتها وأنها علمت منها الأسرار التى عاش عبد الحميد محاولاً إخفاءها! لا أعلم حقًا إذا كانت تستطيع ذلك أم أن هناك فجوة ما تم فتحها بينها وبين عالم مظلم استوطن روحها محاولا نقل شرة إلى الخارج من خلالها!!

حالة ندى أصنفها كحالة فريدة من حالات الظواهر الغير طبيعية، وكانت بالنسبة لي كنز علمي، عندما أخبرني عبد الحميد عن حالتها أثار اهتمامي وشغفي لدراستها، كنت مهتم جدا بتلك الأنواع النادرة من التغيرات النفسية التى تلي حوادث جسدية، ولم أتخيل أن تسقط بين يدي يومًا مثل تلك الحالة!

كنت أملهم الوحيد في محاولة فهم ما يحدث والسيطرة علية ولكن الأمر كان شديد الصعوبة مع ندى خاصة بعد وفاة والدها، لسبب ما لم

تكف تلك الفتاة عن أذهالي علميا! فعلى الرغم من كل ما يشير لفقدها إلى الأحاسيس الطبيعية كما شرحت لكم إلَّا أن الأمر كان مختلف تمامًا مع والدها حتى انها قد أصابها أكتئاب بعد وفاتة! وهو الوحيد الذي كان قادرًا على جمح قدراتها وغضبها، كما انه كان الحماية الوحيدة لمنار منها، لذلك كان علينا أن نجد حلاً سريعًا للسيطرة عليها قبل أن تفيق من صدمة موت عبد الحميد، في يوم اتصلت بي منار لتخبرني بفكرة مجنونة قد طرأت لها وهي جالسة تشاهد برامج التلفاز فى شرود، جاء أمامها حوار بين مذيعة ما وفتاة تدعي أنها كان معمول لها سحر بالمرض!

هنا قفزت الفكرة لرأس منار، إذا كان من الممكن أن تفعل ذلك فهو الحل الوحيد المتبقي كي نقنع ندى بأن تذهب بقدمها إلى المستشفى وهناك أستطيع الإسهاب فى دراستها ومحاولة السيطرة عليها وبنفس الوقت تكون بعيدة عن منار التي كانت شديدة الخوف منها بعد أن فقدت شعور الأمومة نحوها.

بالطبع كان اقتراح غريب وسخيف بالنسبة لرجل علم مثلي، ولكن منار كانت قد بدأت تقتنع بها تمامًا، فقط طلبت منى أن أخبرها نوعًا من الأمراض النفسية من الممكن أن يجبر ندى على الرضوخ، ولمعرفتي بندى لفترة كافية استطعت أن أخمن أن أكثر ما سيؤرقها هو أن لا ترى نفسها جميلة! فهي بحكم أنانيتها وحبها لنفسها كانت كثيرة الاهتمام بالنظر في المرآة بشكل مبالغ به! وهكذا تم الأمر، لا أعلم تفاصيل ما مرت به منار كي تقوم بذلك ولم أهتم فى الواقع ولكن

النتيجة كانت رائعة! فقد شعرت ندى بالخوف على نفسها ولم تكن تعلم ما يحدث! ولم يخطر ببالها بالطبع أن الأمر قد يكون مدبرًا!

لذلك وفي لحظة ضعف منها وافقت على الدخول إلى المستشفى وهي لا تعلم أنها كانت تدخل إلى المصيدة بقدمها! ولكنها بعد فترة بدأت تدرك ما أوقعت نفسها به، أو ربما جاءتها رسالة إنذار من العالم الآخر كشفت لها عن الأمر كما تقول! لا أعلم حقا ولكنها بدأت تتصرف بعدائية، كنت أقوم بدراسة حالتها وجلسات الكهرباء والعقاقير المكثفة من المهدئات كانت لتبيط حالة النشاط المفرط بعقلها وقد نجح ذلك فى الحد من قدرتها على السيطرة العقلية مما جعلها تصاب بالغضب لأنها لم تعد قادرة على استغلالها للانتقام منى أو الخروج من المستشفى حتى ظهرت أنت، والبقية أنتم تعلمونها.

- وكنت أنا السبب فى تخلصها من سيطرتك عليها. قالها أحمد ببطء

- بسبب ذلك لم تكن واقعة وفاة إلهام حادث، ولا ما حدث لصديقك. قالها مشيرًا إلى أيمن قبل أن يكمل: ولا ما حدث لمنار أيضًا، هل تتذكر يوم الحفل؟ لقد كانت على وشك قتلها لولا تدخلك بالأمر وكان هذا بسبب توقفها عن تناول العقار الذي كنت أواظب على إعطائه لها بجرعات محددة مما أعاد إليها قدرتها تدريجيًا.

- غريب ما يخفية العقل من قدرات. قالها ايمن

- وفي الواقع نحن لازلنا بعيدين كل البعد عن فهم أساسيات عمل الدماغ، لكننا نأمل من خلال دراسة حالات نادرة مثل حالة ندى أن نحصل على لمحة عما يحدث هناك. قالها د.خالد.

- لماذا لم تحاول إخباري من البداية؟ تساءل أحمد وقد أبدى صوته عما يجول بداخله من صراع نفسي وإحساس بالذنب.

- لم يكن الأمر بسيطًا كما تتخيل، لقد كنت أغامر بسمعتي المهنية من أجل شئ أسمى، ولم أكن أعلم إذا كان شابًا مثلك وبتهورك العاطفي قد يتفهم ما فعلناه أو الأسباب التى دفعتنا لذلك! ثم إنه كي أخبرك كان عليَّ أن أكشف لك الكثير من الأسرار العائلية التى كان عبد الحميد يحارب كي تظل سرًا خوفًا على سمعتهم وما قد يحدث نتيجة لكشفها! وقد رفضت منار ذلك أيضًا بشدة تكريمًا لروح زوجها واقتناعًا منها أن لا تقوم بفعل يلغي كل ما عانته هي وعبد الحميد كي يبقياه طي الكتمان.

- وما الحل الآن؟ تساءل أيمن.

- يجب أن تعود ندى إلى المستشفى مجددًا، هذا هو الحل الوحيد، قبل أن تتسبب فى أذى أحدهم مجددًا.

- تبادل أحمد وأيمن النظرات قبل أن يتساءل أيمن: وكيف يمكننا فعل ذلك؟

- الأمر الآن بيد أحمد. قالها وقد ثبتا نظرهما عليه.

دقَّ هاتف أحمد فجأة ليجفل قبل أن يجد المتحدث د.هادي! استمع للحظات قبل أن يقف قائلا: بالتأكيد فى طريقها إلى ندى.

تبادل د.خالد وأيمن النظرات قبل أن يقفا بدورهما وأحمد يخبرهما وهويغلق الخط: لقد هربت ليلى من المستشفى، أعتقد أنها فى طريقها إلى ندى، يجب أن نلحق بها حالاً. قالها وهو يتحرك مسرعًا ويلحق به أيمن ود.خالد الذي توقف للحظات متناولاً شئ ما من درج مكتبه قبل أن يلحق بهما مسرعًا.

«tbi» – اختصار لمصطلح « trumanic brain injury»

(Savant syndrome) - متلازمة العباقرة**

(Xenoglossy) - تطلق على حالات أكتساب مهارة لغوية مفاجأة دون سابق دراسة لها**

** الإمبراطور « كاليغولا - إمبراطور تولى إمبراطورية رومانيًا فى العام ٣٧ م**

كانت هدى تقوم بتمشيط شعر ندى فى حنان أثناء جلوسهم بالحديقة وندى تجلس متمسكنة بين يدها قبل أن تقول فجأة: هل تعلمي يا هدى أنك الوحيدة التى لم أحتاج للسيطرة على عقلها كي تفعل ما أريد؟ أنتي الوحيدة التي تحبني من قلبها.

- أنا أؤمن بكي يا حبيبتي، أعلم أنك ملاك بيننا على الأرض، كان عليَّ حمايتك من هؤلاء الذين يحاولون إيذائك.

- مساعدتك لي كي ألحق بإلهام حتى أستطيع إجبارها على الخروج من المصعد وكسر عنقها عن طريق التحكم به، وإخفاءك لأمر الرسالة التى حاول أبي أن ينبه بها أحمد، والإيحاء لأحمد وتشكيكه بدكتور خالد، والتخلص من العقار كي أستطيع استرجاع قدرتي، كل هذا كان له الفضل فى خروجي من المستشفى وعودتى إلى منزلي من جديد.

- كل ما أريده أن تظلي بخير وأن أظل بجانبك لحمايتك. قالتها هدى وهى تربت على رأسها فى حنان.

- كان لها حق ابنتك أن تكره الموت لأنه أخذها منك. قالتها ندى مبتسمة.

- لقد عوضني الله بكي. قالتها هدى بعد أن توقفت لحظات في تأثر!

- بل بنا. قالتها ندى وهي تضع يدها على بطنها مبتسمة.

ابتسمت هدى فى حنان قبل أن تعاود تمشيط شعرها بلطف.

- ماذا فعلتما من جرائم أيضًا؟!

التفتا مجفلتان ليجدا ليلى تقف أمامهما وهي تمسك بسكين كبير في يدها!

- ليلى! قالتها ندى عاقدة حاجبيها وهي تعتدل لتقف بمواجهتها

- كيف استطعتي الخروج من المستشفى؟! تساءلت بغضب.

- كان يجب أن أفعل ذلك منذ وقت طويل، لقد حاولوا كثيرًا أن يسيطروا على روحك السوداء لأنهم لم يستطيعوا أن يروا أن الحل الوحيد هو موتك. قالتها ليلى بشراسة.

ضحكت ندى بسخرية قبل أن تقول ببرود: وهل أنتي من ستقومين بفعلها؟ تقتلين أختك؟ هل تعلمي لماذا لم أفعلها أنا بكي بالرغم من أنى كنت أستطيع ذلك عندما عدتي إلى هنا؟ كانوا يحاولون حمايتك منى بإبعادك ولكنهم أغبياء! فأنا لم أكن أخطط لقتلك، أنا أستمتع برؤيتك تتعذبين بكل لحظة وأنتي على قيد الحياة فيها، فأنت ثمرة شر أنجباها على رفات أمي، أخذتي كل الحب واستمتعتى بحضن والدتك في حين حرمتني والدتك من ذلك الإحساس، عشت وسطهم مغفلة، وأنا لا أعلم أنهم قتلة أمي، حتى أراد الله كشفهم لي.

- أنتى مجنونة، لقد أحببناك جميعًا، كنا نعيش فى سعادة قبل ذلك الحادث اللعين! لقد سمحتى للشياطين أن تتلاعب بعقلك وتخترق روحك حتى تملكوها تماما ولم تعودى تستطيعي التفرقة بين الابيض والاسود! لم تعودي أختي التى أعرفها، أنتي أخرى، شيطانة تشكلت فى صورتها.

- تحاولين تبرير جرائمكم بكلمات قد تؤثر على أشخاص مثلك من البشر الطبيعية ولكني أسمى من ذلك، أنا التى عاشت حبيسة المنزل، نواة أم أطلقوا عليها لقب مجنونة لأنها كانت تحاول الدفاع عن حبها وبيتها ومستقبل طفلتها، أنا التي عاشت بين ذراعي امرأة غريبة ادّعت أنها أمها، أنا التى محى والدها أمها من الوجود وشاركت خالتها فى تلك التمثيلية لخداعها، أنا التى اعتبروا قدراتها لعنة وتعاملوا معها كالمجذوبة ومنعوها من ممارسة حياتها الطبيعية وأن تكمل دراستها ويكون لها أصدقاء وحياة. أنهت جملتها وقد لمعت عيناها غضباً لتجد ليلى يدها الممسكة بالسكين ترتعش وتعلو لتكون موجهة لها هي!

- كم أنتي غبية! ها أنتي الآن تحت رحمتي مجددًا كما كنتي دائمًا، أتلاعب بحياتك كما أشاء والآن هي ملكي أنا، يمكنني إنهائها في أقل من ثانية ولن يستطيع أحد اتهامي، أنتي فى نظرهم الآن الحالة ١٠٧. قالتها وهي تضحك بسخرية.

- اقتليني وخلصيني من هذا العذاب، يجب أن تموت أحدنا. قالتها ليلى من بين دموعها.

- ومن قال لكي أني أريدك أن ترتاحي؟ قالتها ندى وهي تدور لتقف خلفها فى حين ظلت ليلى ثابتة على وضعها.

- ندى!! قالها أحمد صارخًا وهويدخل مندفعًا من باب الحديقة الخارجية لتنتبه على صرخته مجفلة وتلتفت له، فتسقط يد ليلى بالسكين وقد فقدت سيطرتها عليها.

- أحمد، لقد هربت من المستشفى وحاولت قتلي. قالتها وهي تندفع باتجاهه مبدية خوفها قبل أن تتوقف فجأة فى منتصف الطريق عندما وجدت أيمن وخالد قد لحقوا به.

- ما الذي يفعلاه هنا؟! قالتها بريبة وهي تتراجع خطوتان إلى الخلف.

- اقترب منها ببطء محاولاً تهدئتها: اسمعيني.

- دفعته بعيدًا عنها صارخة بوجهه: ما الذي يفعله خالد معك؟ ماذا قالا لك؟ هل صدقتهم؟!

- اهدئي، د. خالد هنا من أجل ليلى.

- أنت كاذب، مثلهم تمامًا، ابتعد عني، أنا أكرهك. قالتها وهى تركض مبتعدة لداخل المنزل، اندفعت هدى وأيمن وخالد خلفها فى حين اقترب أحمد من ليلى متسائلاً: هل أنتي بخير؟

أومأت برأسها من بين دموعها

- انتظري هنا. قالها وهو يندفع خلفهم ليلحق بها.

التفتت ندى بغضب قبل أن يلحقوا بها وركزت على الباب الزجاجي الضخم الذي يفصل بين الحديقة والبهو لينفجر فجأة ويتناثر الزجاج باتجاههم فى محاولة منها لإعاقتهم عن اللحاق بها، وضع خالد ذراعة ليحمى وجهه متراجعًا للخلف فى حين أصيب أيمن فى قدمة ليسقط أرضًا متألمًا، أمَّا هدى والتى كانت في المقدمة تحاول اللحاق بها، اخترقت قطعة زجاج حادة عينها اليسرى لتقف للحظات في ذهول قبل أن تقع جثة هامدة عند قدم أيمن الذي زحف مجفلا إلى الخلف مبتعدًا عنها.

- ما الذي جعلتوني أفعله؟ قالتها صارخة قبل أن تلتفت مجددًا محاولة الهرب، كان الخدم قد خرجا إثر الضوضاء يشاهدون ما يحدث فى ذهول!

- أمسكوا بها. قالها خالد آمرًا ليقفوا مرتبكين دون حِراك.

تقدم أحمد من أيمن ليطمئن عليه ويساعدة على الوقوف قبل أن يتقدم منها قائلا: ندى، أنتي تحتاجين إلى المساعدة، سأظل بجانبك كما وعدتك ولكن أعطيني فرصة كي أستطيع فعل ذلك.

- إذا اقترب أحدكم مني سأقتل نفسي، ولكني لن أموت وحدي.

- ماذا تقصدين؟ سألها وقد بهت وجهه.

- أنا لا أحتاج إلى المساعدة، أحتاج أن تتركوني لحالي، لا أريد أن أظل حبيسة.

كان د.خالد قد استغل انشغالها فى الحديث مع أحمد ليلتف من خلفها ثم انقض عليها ليحقنها فى رقبتها على حين غرة، اتسعت عيناها وهي تصرخ «بلا» قبل أن يتركها لتبتعد عن قبضته مترنحة

- هل ستتركهم يفعلوا ذلك بي؟ وبابنتك؟

- ماذا؟ قالها أحمد بصدمة قبل أن تسقط جالسة على الأرض وقد شعرت بدوار.

- ماذا أعطيتها؟ تساءل أحمد وهو يجثو بجانبها ويمسك بها

- إنه مجرد مهدئ قوي من ذلك الذي كنت أعطيه لها من قبل.

- لا تجعلهم يفعلوا بي كما فعلوا بأمى، لا تجعل مصير ابنتنا كما كان مصيري. قالتها بضعف

- ضم يدها بين يده وقد لجمته الصدمة

كان د.هادي قد وصل بسيارة المستشفى كما طلبوا منه بطريقهم إلى المنزل، دلف إلى المكان وقد صدمتة الفوضى التى كانت تعم المكان.

اقترب ممرضان ليأخذا ندى من بين يدي أحمد ويتجهوا بها للسيارة دون أن تقوى على مقاومتهم.

تقدّم أحمد خلفهم هو وليلي حتى صعدت إلى السيارة وأقفلوا الباب خلفها لتلتفت بإعياء ضاربة الباب بيدها فى ضعف وهى تنظر من الزجاج الخلفي إلى أحمد، ثم تحركت السيارة مبتعدة بها وأحمد يتقدم بخطوات ومن خلفه ليلى، راقب أحمد السيارة وهي تبتعد وهو يفكر بندى وطفلته التي تحملها، ماذا سيكون مصيرها؟ هل ستنال نصيباً مما أصاب والدتها؟ هل سيكتب على ذلك النسل أن يستمر فى سلسال تلك الحالة!.....، الحالة١٠٧!!!!

***

-تمت بحمد الله-

الكنزي
ALKANZY